



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

على الطائر الميمون

ولكن غاضت الدمعة التى ترقرق بين الجفون لتأثير ضجيج المودعين وابتهالهم بالدعاء بسلامة حجاج بيت الله المطهر ممزوجا بزغردة النساء وغنائهن الحجازى . وصفير القطار يؤذن بالرحيل فكان تأثراً وتفرحا معا

القينا آخر نظرة على مودعينا الكرام وكان قطارنا هو الذي يبارح القاهرة عند الساعة السابعة صباحا . وقدسبقت العادة بان تقوم قطارات خصيصة بالحجاج ولكن تأثير الازمة جعل عددهم قليلا هذا العام فقمنا بالقطارات العادية

ادوات السفر

تركت النافذة فما رأيت بالديوان غيري وصاحبتي واخراجنا بجانبنا وهما مصنوعان من قماش قلع وطني ملون مقلم وخاط السروجي حافتهما بجلد أصفر مصقول وصنعهما الخيمي ورتب لهما أزرارها وأقفالهما وكتب

عليها الاسم بارزا من قماش لامع ملون على طراز عربي جميل بلغت تكاليفهما نحو الثلاثة جنيهات وربع ولكن كانت النتيجة مؤكدة النفع لانهما أغنياني عن حقائب متعددة وأيضا لان قماشهما وطني وأب باكيتة وطني دباغة مصر والسروجي وطني والخيمي وطني حتى تجسمت فيهما الوطنية فكانا مثار اللفتات والنظرات

وكانت ملابسي الاخرى تستلفت النظر لانني ابست قفطانا حريريا يكتنف لياقته رباط رقبة حرير من صناعة مصرية وتحزمت بحزام غباني وتلفحت بآخر ولبست فوق ذلك المعطف الصوف الطويل والعمامة البيضاء على اللبدة البيضاء فكان هذا اعلانا ضخما بأننا من الحجاج حتى صارت نظرات القداسة وطلبات الدعاء والفواتح توجه الينا في كل وقت وحين .

وقد حشونا الاخراج بمفروشاتنا المكونة من سجادة عجمي وأربعة غطاءات صوف (بطانية) وملاءتين ووسادتين والملبوسات التى تلزمنا وثياب الاحرام وحقيبة صغيرة تحتوي على المصحف الشريف والكتب التي أدرس بها مناسك الحج والتى تبين أماكن ومعاهد الحجاز وما الى ذلك من أدعية وصلوات وحقيبة أخرى تحوي شيئاً من العقاقير اللازمة للعلاج الوقتي السريع وقد رتبها لنا الطبيب الذى طعمنا بالمادة الجدرية وحقنا بالحقن المضاد للكوليرا والتيفود مرتين قبل القيام

وبجانب الاخراج (سبت) كهيئة الصندوق به أدوات الطبخ وأدوات القهوة والشاي وشيء منهما وبعض التوابل كالفلفل والكمون وما اليهما وبعض البقول وبعض الملح . وبيدنا سلة صغيرة بها الاكل الطازج الذى يكفينا لأيام قليلة هذا عدا المظلات والزمازم والجعبة (الشنطة) التى تعلق على الاكتاف



عبدالرحيم

على حافة القنال

وقبل ان تبلغ الساعة العاشرة وصلنا الى الاسماعيلية ثم انتقلنا الى القطار القائم الى السويس وكنا نسير على موازاة ترعة القنال فتذكرت حظنا من هذه القناة حيث كان علينا الغرم ولغيرنا الغنم لاننا فتحناها بكدنا وفى أرضنا والذى جنى الفائدة هم الاجانب الذين استحوذوا على كل الاسهم . ولما كانت الآمال لاتنقاد الا للصابرين فلنتذرع بالصبر الجميل حتى يجيء العام الستين من القرن العشرين هنالك تبلغ مصر أمنيتها من امتلاك القناة

دعاية الى الحج

وقد أرادت الحكومة ان تعمل هى الاخري دعاية الى الحج من جانبها (وأنعم بها من دعاية) فخفضت للموظفين والعلماء مع عائلاتهم ربع المصاريف وقد عم هذا التخفيض أيضا المتقاعدين ولكن بغير عائلاتهم فانتفعت به وان كان عن أجرة الباخرة فقط

على شاطئ الخليج

عندما مالت الشمس الى الزوال أو تكاد وقف القطار علي رصيف محطة السويس وكانت أوامر السكة الحديد تقضي بأن الحمالين لا يصعدون الى دواوين الركاب فكنت اذا لم أجد فراش العربات استعين بساعدي الضعيف فأناول الامتعة للحمال من نافذة القطار

وكان سماسرة النزلات (اللوكاندات) يتلقون القطار ليتصيدوا الحجاج



حفلة الوداع

الى نزلائهم فجاء أحدهم وأطنب فى وصف (اللوكاندة الكمالية) الكائنة بشارع حليم فوافقته ورافقته اليها وقد حمل الحمالون الامتعة على عربة يد والذى أعجبني فيها أنها هادئة وأن أصحابها وطنيون وأيضا متواضعون وكان بالطبقة الارضية منها حجاج مصريون سررنا لمرآهم وغنائهم ومرحهم أما نحن فتسلمنا الغرفة رقم ٤ خصيصة بنا بالدور العلوى وهي تحتوى على سريرين ومقعد للجلوس ولم نستعمل الا فراشنا

كان لزاما علينا ان نذهب الي قلم الجوازات بالمحافظة للتأشير على جوازينا كما اشرنا عليهما سابقا من الوكالة العربية بمصر فبعد أن حطينا رحالنا قمنا اتوا الى هذا القلم ولما سلمناه الجوازين عرفنا بأن ننتظر حتي يعلن عن قيام الباخرة (باعلان يعلق على اللوحة أمام شباك القلم) عند ذلك نحضر لاستلامهما

فعل الخير

وقد طلب منا تبرعات لجمعية المواساة وجمعية أخري دفعناها عن طيب خاطر أما سوى هذا فاننا كنا نقرأ منشورات الداخلية وهي تحذر الجمهور (من دفع نقود لاحد) ولما قدمنا الطلب الى مأمور القسم تنبه علينا كذلك وكذلك عندما استلمنا الاستمارات من القسم ودفعنا النقود الى المحافظة الى أن استلمنا الاورنيك نمرة ٢٠٥ . وهذه خطوات مسددة تخطوها الحكومة للتفاهم مع الجمهور لانه طالما أرهق أعوان الحاكين مثل هؤلاء الحجاج فى الاتعاب أو (البقشيش) كما يسمونه . والرشوة على كل حال جرثومة خبيثة يجب ان تجتث من جذورها والحمد لله قد أصبحت وشيكة الوصول الى [illegible] الانعدام

وعلى هذا مضينا يومنا الذي هو يوم الخميس ١٤ القعدة الموافق ٢ ابريل واني اتيمن بيوم الخميس هذا فأجمل فيه سفري وأيضا أتحراه لا تطلب فيه أهم حاجاتى لأنه قضيت فيه حاجة سيدنا ابراهيم الخليل عندما ذهب الى ملك مصر ليتسلم السيدة سارة الخليلية

صلاة الجمعة والخطابة

أصبحنا فى اليوم التالى وقد أردنا أن نؤدى فريضة الجمعة بمسجد سيدي الغريب ولما حان وقتها ارتقى المنبر أحد الاشياخ (وكان من مودعي الحجاج) وأخذ يخطب فحمد الله بمحامد كانت تسترعي الاسماع وتأخذ بالالباب وصلى على نبيه الكريم بكلام مؤثر بليغ ثم انبرى يناجي المنبر الذي يعتليه ويبين مزايا المنابر ومن يهزون أعوادها بالحكمة والموعظة الحسنة التى تصل الى أعماق نفس السامع فترده الى رشده ثم انتقل الى الكلام عن منبر سيدنا ومولانا خطيب الامم صلوات الله وسلامه عليه الذي صنعه له الغلام الانصارى النجار من ثلاث درجات وكيف أنه لما انتقل اليه حن الجذع الذي كان يخطب عليه قبلا وبكي لفراقه كما يبكي الفصيل عند فطامه وأخذ يبين الخطيب أن هذه المعجزة أفضل من معجزة سيدنا المسيح عيسى عليه السلام فى احياء الموتي لان الميت سبقت له الحياة فلا يستبعد أن تعود اليه أما هذا الجماد فلم تسبق له حياة ثم صدر منه ما يشبه الكلام وهو البكاء. وكنا ننصت الى الخطبة وقد سرى مفعول السحر الحلال من نفوسنا حتى تمنينا أن يطول الوقت فيطيل هو من هذا السلسبيل

أما اهل السويس فانهم أصحاب أعمال وهم يودون سرعة الانصراف الى أعمالهم ولهذا حصل منهم ضجة وغوغاء اضطر معها الخطيب أن يقصر

من كلامه وينزل الى الصلاة وبعدها ارتقى كرسي الوعظ وألقى كلمات طيبة تحث على مكارم الاخلاق

الحث على الاجتماع

بين انفراج الشفاه عن بسمات الغبطة والسرور وعند تلألىء الجباه بفيوضات الهنا والحبور كانت تتبسط النفس فتذهب الى البحث في الحكم الرائعة التي بني عليها التشريع في هذا الدين القويم

انظر الي الحكمة من الحث على صلاة الجماعة حتى يجتمع أهل الدرب أو الحارة ويتباحثون في شؤون أحوالهم الخاصة بدربهم أو حارتهم

ثم ارجع البصر الى الحكمة من صلاة الجمعة تراها لاجل ان يجتمع اهل الخط او الناحية وينظرون ايضا في صالح خطهم او ناحيتهم

وفي هذه الحكمة أيضا ناحية من نواحي الحث علي ضرورة الاجتماع لان الانسان مدني بطبعه والدين الذى اختير له هو دين اجتماعي عمراني حنيف . وقد التفت الافرنج الى اقامة النوادى كما كانت تفعل العرب وكان لنا اجتماعات رائقة زاهرة (بالنادى) لعامرة استبدلناها الآن بالمحال العمومية ومشارب القهوة وفي هذا على الاخلاق بلاء عظيم

الخطاب [illegible]

[illegible] الفكر [illegible] في حالة الاس [illegible] يتعثر في الحواجز الشائكة التي وضعت في طريقه [illegible] لانه وصل من الرفعة الى [illegible] [illegible] تستطلع [illegible]

لى ذهبا) يعني بهذا أن السحابة مهما قذفت بها الرياح لابد أن تلق حملها من الماء فى بلاد الاسلام لسعة ملكه كما يفتخر الانجليز الآن (بان الشمس لا تغرب عن أملاكهم)لان الزمن فى كندا غيره في افريقيا مثلا وقد كان خطيب الامم صلوات الله وسلامه عليه اذا اهمه من امر الاسلام شيء صعد المنبر وخطب الناس فيما ينفعهم فى الحياتين وقد حذا الصدر الاول من الاسلام هذا الحذو وكذلك أخلافهم

الخطب الدخيلة

الى أن وجد الدخلاء منفذا يتوصلون منه الى الفت فى عضد الاسلام فالفوا كتب الخطب الركيكة المسجعة التى يقولون فيها لا تركنوا الى الدنيا وازهدوا فيها وطلقوها بتاتا وهكذا من الالفاظ التى تقعد بالهمم وتثبط العزائم فاستكانت العامة لقولهم وقنعوا بشظف العيش بينما الامم الاخرى تدأب على السعي الحثيث حتى بلغت شأوا عظيما من الرقى والحضارة والحمد لله قد ابتدأنا أن نفتح أعيننا بعد الرقاد الطويل لما ينبهنا به جماعة الوعظ والارشاد ويحضوننا على الاخذ بقوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)

ليس تحتها جديد

يقولون أن ليس على وجه الارض جديد وقد تحققت هذه النظرية [illegible] من صور شتى ترسم أنواع الآلات الحديثة [illegible] ويذكرني بهذا الحديث وصول ناس هذا الزمان الى مدى بعيد فى الاختراع حتى صار التليفون الاثيرى يتكلم

به سكان نيويورك مع أهل لندن وقد استفدت انا الآخر بهذا الاختراع فكنت أكلم أهلي بالتليفون الخاص بنا بمصر مدة اقامتنا بالسويس كأننا كنا معهم والفضل فى هذا للذي علم الانسان مالم يعلم سبحانه وتعالى

الحاج العزيز على قومه يشيعونه الى السويس اما انا فقد اردت أن لا أشق على احد ولا ارهق الجيوب التى أنهكتها الازمة ومع هذا فقد دعى الحنان أحد اخوتي لان يحضر لتوديعي فنزل عندى ضيفا كريما واتخذت له غرفة خصيصة به بالنزل

اصبحنا السبت فاستلمنا الجوازات واعلنا عن قيام الباخرة في اليوم التالي وقد مضينا الليلة كسابقة الليالى فى هناء وصفاء

فهذه ثلاث ليال سويا اقمناها بهذه القاعدة البحرية العظيمة ومفتاح خليج السويس ومرفأ القطر لهذا البحر الاحمر العظيم وكانت هذه الايام الثلاث تعد غرة فى جبين العمر لانتعاش نفوسنا بالفرح بعز اللقاء

الى بور توفيق

استيقظنا مبكرين فى صباح الاحد الموافق ١٧ القعدة و ٥ ابريل ثم حضر عندنا عربجي النقل بايعاز من حسن يوسف الشيال (الذى سلمنا بطاقته يوم وصولنا) وحمل الامتعة الخاصة بنا مع امتعة أناس آخرين نازلين معنا اما نحن فقد ركبنا سيارة اوصلتنا الى بور توفيق التى هى مينا السويس وهناك تلقانا الشيال حسن يوسف وقد تسلم الدفتر ليوصله الى مقرنا بالباخرة

عطف الاصدقاء

لي صديق حميم [illegible] قائم [illegible]

احمد المسيري مدير ادارة الحج والمحاجر الصحية وقد اردت ان انتفع بهذه الصداقة واراد هو بدوره ان يظهر عطفه على اخيه فكانت توصية وكان اعتناء . وانه وإن كان صديقنا العزيز قد وجه الينا عناية يشكر عليها إلا ان هذه العناية كانت تشمل الجميع ايضا لما جبل عليه من مكارم الاخلاق والادارة الحازمة والحمدلله حيث لم تكن هذه التوصية من نوع المحسوبية الممقوتة التي تتغلغل في احشاء الادارة فتجعلها معتلة مختلة وتعرقل تقدم الاعمال. نعم انه يوجد من هذا النوع محسوبية لها خطورتها من النفع والضرورة كان يأتي وزير فيعين خلصائه ابتغاء مساعدته فى اقامة منار العدل والقسط كما كان يفعل سيدنا عثمان بن عفان فى تعيين اقربائه الامويين للمناصب العالية اجتهادا منه حتى يساعدوه فى تدبير أمور الدولة بأمانة واستقامة كما يعهده فيهم

أضف إلى هذا أنك تجد حكام اليوم غيرهم بالامس حيث كنت فيما مضى تري أصغر عسكري يركل الحاج برجله او يلكمه بيده لاتفه الاسباب اما الآن فان مسافة الخلف بين الحاكم والمحكوم قد تقاربت وأصبحا يتبادلان العطف والاحترام هذا ومن جهة اخرى فان الامة قد تنبهت لحفظ كرامتها فهي لا تقبل النزول على الضيم او الرضا بالعسف وسوء العذاب

فى المباخر

دخلنا الى المباخر المعدة لتطهير الحجيج بعد ان ودعنا اخانا العزيز وانتظرنا إلى ان تتم الاجراءات اللازمة للنظافة والتبخير والحق اقول انها عناية من الحكومة في المسائل الصحية تشكر عليها كثيرا ولقد أعجبني جدا

انتباه عمال التبخير لواجباتهم وأيضا أكبرت فيهم الامانة والعناية ولو يطاوعنى القلم لكتبت عنهم طويلا ولكن المدي واسع أمامه فتراه مضطرا لهذا الاقتضاب

على سطح الماء

رايتنا المحبوبة

صعدنا الي سلم الباخرة وتقابلت مع أخينا البكباشى حسين بك يسري (وهو بالمعاش الآن) ومندوب سعادة أمين يحي باشا في ملاحظة الباخرة أداريا فاكرم وفادتي وسلمنا قمرة نظيفة (هى إحدي غرف الباخرة) وكانت خصيصة بنا نحن الاثنين

وهذه الباخرة اسمها (دمشق) احدي باخرتين استأجرهما سعادة أمين يحي باشا من شركة فرنساوية والثانية اسمها (بلجرانو) وقد تقدم يحي باشا الى مناقصات فى عطاءات عن نقل الحجاج فرسي عليه العطاء ولكن لسوء الحظ ان كان عدد الحجاج قليلا فى هذا العام وكنا نأمل ان لو ساعده الحظ وتسنى له انشاء شركة بواخر مصرية تمخر عباب البحار وهى ترفع رايتنا المحبوبة لارتاح البال وكنا نعد انفسنا أمة ولو كاليونان مثلا التي لم تبلغ معشار عددنا وعندها الاساطيل والجيوش الجرارة .

وكانت تخفف من لوعة الحسرة التى لا زلنا نكابد عناءها من يوم ان باعت الحكومة المصرية بواخر البوستة الخديوية للشركة الانجليزية بصفقة خاسرة . كذلك وكنا نمحو من ذاكرتنا ذلك الافتيات على حقوقنا بالضغط على

الرجل الحازم الذى كان يريد ان يرفع رأس مصر عاليا وابتدأ في انشاء شركة بواخر مصرية بادارة حصني بك واجبروه على حل هذه الشركة حتى ينفردوا هم بتحويل مجرى الكسب والثروة اليهم

ولقد سبق ان نفذت بصيرة سيد العرب الي خريطة المعمورة فرأى بثاقب فكره ان من يمتلك نواصى البحار يسيطر على اليابسة بما رحبت فحث قومه على اعتلاء متن اليم بقوله الحكيم (من هاضه البحر فمات فهو شهيد) وقد أخذ أهل الغرب بهذه النظرية العالية حتى تنازعوا سيادة البحار ونحن أصحاب الفكرة وقفنا مكتوفي الايدى ولا نبدي حراكا فعسى ان نتلافى هذا النقص فى كيان قوميتنا .

قيام الباخرة

أقلعت الباخرة بعد الزوال بقليل وسارت بسم الله مجريها وكان يجول بالخاطر شيء من الأسى لفراق الوطن ولكن الحنين الى اللقاء العظيم في أسمي وأقدس مكان حبس العبرة التي كانت تريد ان تفيض وكانت الباخرة ترفع راية مصرنا المحبوبة فكانت نفوسنا تطيب لمرآها الوسيم

الحج مرة فى العمر

انه وأبيك لفراق شاق لاننا تركنا العيال وتركنا المال تحت رحمات القدر ولعظم هذه المشقة قد نظر مولانا اللطيف الرحيم نظرة حنان الى عبيده الضعفاء ففرض علينا الحج فى العمر مرة واحدة وبعضهم يقول انه على التراخى وشرطه مع الاستطاعة التى منها أمن الطريق وتوفر الزاد والراحلة وغير ذلك مما هو واضح فى كتب الفقه (ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدي للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان

آمنا . ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين) ـ قرآن كريم ـ

الطعام فى الباخرة

كانت تنشرح صدورنا لهذه المناظر الخلابة منظر البحر والباخرة تمخر عبابه فى سكون وهدوء وهي تتهادي كالعروس عند زفافها وقد طلبنا الاكل من مطعم الباخرة (الاستراتور) فجاء به الخادم (الجرسون) فى القمرة بعيدا عن الاختلاط في نظير مبلغ خمسة وسبعين قرشا مصريا ندفعه يوميا . وقد تسرب الوهم الينا بأن دوار البحر ربما يؤثر علينا ولكن شيأ من هذا لم نحس ولم نشعر به مطلقا كأن العناية الصمدانية التى سخرت البحر لموسى أرادت أن تهدأه لنا حتى لا يشوب هذا الشعور المنعش الجميل أى تنغبص

ومن عادة البحر الاحمر عدم السكون في معظم أوقاته حتى وفى خليج السويس الذى يري الانسان شاطئيه بالعين المجردة وخصوصا فى البقعة المعروفة ببركة فرعون

غرق فرعون

ولما كان الشيء يذكر بالشيء فاننا نذكر نعمة الله تعالى على بني اسرائيل حين جاوزوا البحر وقد انفلق اثني عشر فرقا فكان كل فرق كالطود العظيم وكان من رحمة الله تعالى بهم أن جعل كل سبط يمشي في درب من الاثني عشر دربا التى تفتحت لهم وبينه وبين جاره نوافذ ليأنسوا برؤية بعضهم حتى انجائهم من عدوهم ولما اتبعهم فرعون بجنوده انطبق البحر

عليهم فهلك هو ومن معه اجمعون

ولغرق فرعون هذا قصة لاتخلو من تفكهة وعبرة وذلك أن ملاكا ذهب الى هذا الفرعون فى زى انسان ومثل بين يديه فى اليوم الذى يباح فيه للشعب بمقابلته وقد استفتاه في غلام أبق منه ماذا يكون جزاؤه ؟ فأجابه فرعون (جزاؤه الغرق) فطلب منه أن يكتب له هذه الفتوي فكتبها له على ورق البردي ولما جاء فرعون على شاطيء البحر الاحمر واراد ان يدخل فى اليبس الذى انحسر عنه الماء ليلحق ببنى اسرائيل جفل حصانه فجاء الملك وركب فرسا أمامه ليغري الحصان على النزول ولما كان فى وسط البحر اراه فتواه فعرف انه هو العبد الآبق وهذا هو سبب المثل الذي يقول (فرعون مسكوه بخطه)

ولقد ثبت فى التاريخ أنه حصل من بني اسرائيل زلة ما كان يحسن بهم أن يقابلوا الاحسان بغير الاحسان وذلك أن أقدامهم لم تجف بعد من طينة البحر الاحمر حين انجاهم مولاهم من عدوهم وخرجوا الى البر فوجدوا نفرا يعبدون أصناما فقالوا ياموسي اجعل لنا الها كما لهم آلهة

وكان غرق فرعون هذا في يوم الاربعاء حتى تجد اغلب الناس يتطيرون من هذا اليوم وانه فضلا عن غرق فرعون فيه فقد ولد فيه سيدنا يوسف الصديق فأصابه ما أصابه من السجن والتغريب وولد فيه أيضا سيدنا ايوب فجرى عليه الكثير من البلاء والتعذيب وبعضهم يقول ان التشاؤم هو من يوم الاربعاء الاخير من الشهر الذى يسمونه (اربع لا يدور) ولكن عندنا ان يوم الاربعاء هو يوم يستجاب فيه الدعاء بعد الزوال لان سيد الكائنات دعي الله فيه يوم الاحزاب فنصره بريح الصبا هدمت مضارب الاعداء وكفأت قدورهم كما قال تعالى (يا ايها

الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا)

فى زمن الدراسة

كذلك وقد عادت بي الذكرى الى زمن الطفولة ايام كنا بمدرسة القربيةوكان زميلنا التلميذ النابغة مصطفى كامل (ك) هو المفرد العلم بها لما امتاز به من حسن الصفات ومن النباهة والفصاحة حتى كأنه خلق ليكون زعيما وكان من امره ان اتبع الناس مبادئه العالية فى الوطنية وتيقظت الامة بعد ان كانت فى سبات عميق فهو بغير مراء قدوة الزعماء اذ الفضل للمتقدم على كل حال وكان من لدائدنا بالمدرسة ايضا عبد السلام بك فهمى وابراهيم بك فوزي وحسن بك حسني ومحمد بك زكى وكثير غيرهم . تذكرت هؤلاء الاتراب وتذكرت الرموز والاحاجي التى كنا نتذاكر فيها وضمنها هذا السؤال الجغرافي.(اخبرنى عن بقعة من الارض لم ترها الشمس الا مرة واحدة فى العمر ؟) وهي بالطبع هذه الارض التى تفسح عنها ماء البحر الاحمر حتى سار عليها بنو اسرائيل

ليس بها نوافذ

ولما كان من عادة الصفو ان لا يرافق الحياة فى كل ادوارها فقد صادفنا عناء بقليل من هذا الصفاء حيث كان جو القمرة حارا جدا لانها تواجه افران الباخرة مباشرة وليس بها نوافذ كافية لجلب الهواء .وكانت هذه الاخرى احدى نصائح الدهر لانها تذكرنا بحر سقر حتى يقلع الانسان عن التهادي فى الغي والطغيان . هذا وقد نوهنا عن هذه

الحرارة حتى اخذت في دفتر الاحوال عند ضابط البوليس المعين بالباخرة

المياه بالباخرة

وكانت المياه العذبة تصرف لكل من الحجاج بقدر معلوم وتصرف فى اوقات معينة يحضرها البوليس ويلاحظها مندوب الباخرة وبيده مفاتيح الفناطيس التى ملئت من نهر النيل المبارك . وطريقة صرفها ان يقدم الحاج جوازه الى ضابط البوليس فيسلمه (ماركة) ليصرف بمقتضاها من العسكري الذى عليه النوبة عند المياه فيملأ الحجاج زمازمهم واوعيتهم بما يلزم لشربهم اما الوضوء والاستحمام فيؤخذ الماء اللازم لهما من ماء البحر

اشرقت شمس اليوم الثاني بالباخرة والجو صحو والنسيم عليل والبحر هادىء والطقس جميل والسفينة تتهادى فى المسير فكنا نسبح بحمد اللطيف الخبير

المواقد وتسوية الطعام

وكان محظورا على الحجاج ان يوقدوا مواقد الاسبرتو والبترول اتقاء حدوث حريق كالذى حصل فى باخرة الحجاج المغاربة فى العام المنصرم أمام ثغر جدة (ولا تزال بقايا الباخرة المحترقة هناك)

وعندما يريد احد من الحجاج ان يطبخ طعامه او يسوي الشاي او القهوة فيكون ذلك بمطبخ الباخرة (وبالاجرة طبعا)

مبيع المأكولات بالباخرة

ووجد أيضا بالباخرة (كنتين) لمبيع البقول والخبز والخضر المطبوخة

باللحم والفول المدمس والفواكه والشاي والقهوة وغير ذلك وبالطبع ان الاسعار في البحر غيرها في البر وهذا الغلاء ليس منشؤه الطمع أو الغبن ولكن الضرورة تقضي به لانه توجد أصناف قابلة للتلف مثل تعفن العيش والفاكهة أو حموضة الطبيخ ولو حصل شيء من هذا يكون من نصيب السمك وهذه الحالة لها قيمتها من الحساب عند التسعير وكذلك أتعاب العمال وطريقة حصولهم على الكسب فانهم بعد سفر الباخرة وتفريغها يستمرون بدون عمل حتى تستعد الباخرة الى دور آخر وهذه البطالة لها قيمتها أيضاً من النظر

الطير ابو قردان

وكان يزيد الحال جمالا على جمال انه كان يحلق فوق الباخرة طيور جميلة تشبه الطير المعروف عندنا (بابى قردان) ولا تختلف عنه الا فى اللون فقط

واني أتكلم هنا عن ناحية من نواحي الحياة فى مصر على ذكر الطير الانيس (أبي قردان) حيث كنت أرى فى صغرى الفلاحين وهم يطاردون هذا الطير النافع مطاردة عنيفة إلى ان جاء المفكرون من الامة وجاءت وزارة الزراعة أيضا ينصحون للناس ويذكرون لهم منافع هذا الطير الوديع وانه صديق الفلاح الحميم حيث يساعده فى تنقية الدودة من القطن لانه يجعلها غذاءه هذا عدا انه يأكل الحشرات الضارة بالزرع ولما عرف الفلاح له هذا الفضل لم يمسسه بسوء حتى تراه اليوم اليفاً يقف وسط الحقل يمرح بين الفلاحين وهم في عملهم

الامام والطبيب

وكانت الحكومة تعين لكل باخرة إماما يبين للناس فيها مناسك الحج

فكان إمامنا يقوم بهذا الواجب خير قيام

وكذلك تعين الحكومة طبيبا لكل باخرة وكان طبيب باخرتنا شابا دمث الاخلاق حسن الطباع

تعداد الركاب

وكان ركاب الدرجة الثالثة يتفسحون فى كل أنحاء الباخرة حتى انهم كانوا يزحمون الاماكن المعدة لاستراحة ركاب الدرجة الاولى والثانية ولم يكن أحد منا يسأم أو يتذمر لانه سفر سعيد يقصد به وجه الله تعالى ولا معنى للفوارق مادامت الراحة متوفرة

وركاب الدرجة الاولى والثانية ٨٠ نسمة بينما ركاب الدرجة الثالثة ٧٩٠ نسمة وكانوا يسكنون العنابر التحتية أو سطح الباخرة (الكوكرتة) وكان يحصل لبعضهم شيأ من هيضة البحر إلا انه قليل جدا لمناسبة هدوءه وكانوا يستعملون المراوح (المانيجة) لسكان العنابر فكانت الراحة متوفرة

حمامات الباخرة

وكانت الحمامات كافية لاستحمام جميع الركاب وكان ماؤها اجاجا الا انه كان يتسنى لبعضهم أحيانا استعمال الماء العذب من الفايض عن حاجة شربهم

ميقات الاحرام

وفى ظهر اليوم الثالث (الثلاثاء) صفرت الباخرة ثلاث مرات اعلاما بأننا اقتربنا من موازاة بلدة رابغ (الجحفة) التى هي ميقات أهل مصر للاحرام (وهي كائنة على الشاطىء الشرقي من البحر الاحمر وبينها وبين جدة



في الاحرام

نحو الست ساعات بسير الباخرة) فخلعت ملابسي العـادية ولبست ازارا (أى تحزمت بيشكير) ولبست رداء (تلفحت بيشكير آخر) وهذافى اصطلاح الشرع الشريف (عدم لبس المخيط والمحيط)

ماأحسنها من ذكرى وما أروعها فى النفس حيث يتجرد الانسان من ثيابه ويعرى رأسه اعظاما واحتراما للامر القادم عليه وهو المثول أمام عتبات البيت العتيق المطهر وما أجمل التلبية التى يلبي بها المحرم عند كل مناسبة (لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)وقد لبست صاحبتى أيضا ثيابا بيضاء والمرأة تحرم بوجهها ولها أن تغطي رأسها وتستر شعرها ولهـا أن تسدل ثوبا خفيفا علي وجهها من فوق رأسها سدلا خفيفا تستتر به من نظر الرجال اليها وقلنا فى نية الاحرام للعمرة (نويت الاحرام بالعمرة وأحرمت بها لله تعالى لبيك الخ) وصلينا ركعتين سنة الاحرام هذا وقد يجزىء الوضوء عند تعذر الاستحمام

اعلام الحجاز

ماأجمل صباح الاربعاء ٢٠ القعده ٨ ابريل والغزالة تطل من كناسها وهى تشمخ بانفها لعلمها ان البارى جل شأنه جعل العالم الكوني ينتفع منها بالحيـاة وبالحرارة وبالنور وكان يزيد بهـاء ظهورها ظهور الشاطيء المقدس معها

ظهرت أعلام الحجاز فكانت قرة عين للناظرين . ظهر ثغر جدة المبارك وألقت الباخرة مراسيها عند الساعة الثامنة صباحا ووقفت بعيدا عن الشاطيء على بعد الميل وكسور الميل لانه توجد أراضى عالية وشعاب بالمينا تمنع البواخر من الدنو الى الرصيف والركاب والامتعة ينقلون فى مراكب

صغيرة شراعية تسمى السنابك وذلك على حساب المتعهد لانه يدخل ضمن أجرة الباخرة

هذه ثمان وستون ساعة قطعت فيها الباخرة المسافة من السويس الى جدة وتبلغ هذه المسافة ٦٤٦ ميلا

القنصل والمندوب

أقبل زورق بخاري يقل حضرات قنصل مصر في جدة ومندوب وزارة الداخلية والطبيب المصري وعند ماوقعت أنظارنا على العلم المصري يرفرف على هذا الزورق الهبنا اكفنا بالتصفيق تحية لعلمنا المحبوب ولفرحنا بهم أيضا لانهم مواطنونا ولاننا نغتبط بعناية الحكومة بمصالح شعبها وهؤلاء هم أمناؤها على النظر في هذه المصالح

وكم كنت أود أن يسود الوفاق وحسن التفاهم بين بلادنا العزيزة وبين الحجاز حتى تتسهل مأمورية القنصلية المصرية ولي كلمة في هذا الموضوع أرجئها الي مناسبة الكلام عنه

صعد هؤلاء الى الباخرة ومعهم طبيب مملكة الحجاز وبعد عمل الاجراءات الطبية واستلام قيمة الرسوم الخاصة بمملكة الحجاز وقدرها ماية قرش وستة قروش مصرية عن كل حاج بعد كل هذا تصرح بنزول الحجاج

وكان الحجاج فيما مضي يدفعون رسوم كل جهة على حدتها وقد أحسنت الحكومة صنعا بتحصيل هذه الرسوم صفقة واحدة ثم هي تسلمها الجهات اختصاصها

سفينة السعادة

وقد جاءني غلام من أهل جدة يدعوني الى النزول في فلوكته

أولى من النزول مع الحجاج فتحصل مضايقه ويحصل تلف للمتاع ولما وجدت مشورته ناضجه نزلت معه أنا وصاحبى ومعنا العفش يحمله الولد على مرات ولا تنس أن الاخراج كانت لها قيمتها عند الحجاج من التقدير والاعجاب

كنا أول من نزل من الباخرة ولما استقر بنا المقام فى الفلوكة صرنا نلبي ونحن مغتبطين فرحين وسارت الفلوكة بنا تحفها عناية الله تعالى الى أن وصلنا الى الرصيف وبالطبع أن نصيب المراكبي كان بمقدار تقديرنا لسفينته حيث كنا نعتبرها كسفينة النجاة التى توصلنا الي العز والسعادة

الى الشاطئ المقدس

كنا والحمد لله أول من خطى الى الرصيف فقابلنا عمال الميناء وأشاروا الينا بالخروج وقد تركنا الامتعه حتى تعمل عنها الاجراءات اللازمه

المطوف

كل حاج يريد أن ينزل الى الاراضى المقدسه بالحجاز لا بد له أن ينزل فى كنف رجل مطوف تعترف به الحكومه الحجازية رسميا ويكون هذا المطوف مسؤولا أماميا عن كل الحجاج الذين ينزلون عنده ويعطى عنهم المعلومات الكافيه ويتحصل منهم الضرائب اللازمه لها. وكان معي جملة أسماء من المطوفين ويتقدمهم رجل اسمه حسن افندى كتوعه موظف بوظيفه أمين صندوق رسوم الرصيف بكمرك جدة وقد اشتغل فى مهنة المطوفين من العام الماضى وقد دلني عليه أحد المعارف فتخيرت أن

انزل عنـده . ولما خرجنا من باب المينا وجـدت وكلاء المطوفين فى انتظار الحجاج وهم كثيرون جدا ولما سئلت عن مطوفى عند الباب أخبرتهم عن اسم حسن افندى كتوعة هذا فتقدم الي وكيله الحاج محمد باتان وهو رجل بشوش الوجه رقيق الطباع ومعه اخوه الحاج احمد باتان وهو أيضا رجل مؤدب فسلمته الجوازين الخاصين بنا ثم أحضر الامتعة من الـكمرك وحملها على عربة نقل تشبه عربات (الـكارو) عندنا

وقد حضر حسن افندي كتوعة وسلم علي سلاما طيبا ورحب بي كثيرا وقد رأينا منه رجلا لين العريكة دمث الاخلاق

نداء سيدنا ابراهيم

لما فرغ سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام من بناء البيت العتيق المطهر صدر له الامر الكريم فى قوله تعالى (وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) فهجس فى خاطره (والى أين يبلغ مـدى صوتي الضعيف ؟) فاجيب من طريق الالهام العالى (انما عليك النداء وعلينا البلاغ) فارتقى أبا قبيس ونادى باعلا صوته (إن لله بيتا فحجوه) فرددت جميع الاكوان صدى صوته حتى وصل الى مسامع الارواح في علم ربها ومن لم يجب منها فلا حج له ومن أجاب مرة فله الحج مرة ومن أجاب أكثر فأكثر . ويظهر أن روحى أجابت غير مرة حيث سبق أن حظيت بالحج منـذ واحد وعشرين عاما وقد من علينا الكريم بالحج هذه المرة أيضا في جو حر طليق مع الرخاء واليسر

ولقد ضمني مجلس سمر مع أحد الاصحاب فتجاذبنا أطراف الحديث ...



فى زمن الحج السابق

أفضى بنا الى ذكر المجتهدين من الوطنيين ومن بينهم رجـــل يستعمل وسائل النشر بطرقه المختلفة وقد نوه عنه صاحبي بأنه يتبع الطريقة الامريكية فقلت له ولماذا لا تقـول انه يتخـذ طريقة خليل الله في النشر عن بيت الله ؟ ألم يكن نداء سيدنا ابراهيم هذا هو تعليم لنا على اتباع النشر وقد سبقتنا اليه أوروبا وأمريكا حتى لا يعلن أهلها عن التجارة فحسب بل وحتى الاسئلة البسيطة يستعملون النشر عنها فى صحفهم

وكيل المطوف

يقول الحاج محمد باتان — كنت أحسب أن عائلتكم القادمة الى الحج كبيرة جدا (يقصد أنها مركبة من خدم وحشم وجواري وعبيد) لان الذي عرفه عن قـدومى بالغ له فى شخصيتى واعتبارى حتى توهم ما توهم والآن لا يري أمامه الا رحلا فردا ومعه زوجه فحسب

على رسلك ياباتان . ان الرحل منا لو انحدر الى مزالق التبذير لا يقوم منها الاصفر اليدين خصوصا ونحن فى حاجة الى المال كاحتياج الظمآن الى الماء الزلال لأن الازمـة قضت على كل رطب ويابس . هـذا ومن باب الاقتصـاد فى النفقات يمكنك الاستغناء عن الخدم وتكاليف من تريد بقضاء حوائجك ازاء أن تبسط كفك بالعطاء

نزلنا بدار باتان التى يملـكها وهى دار فسيحة فى ترتيبها الشرقي الجميل وبواجهتها الرواشن (الشرفات) المخروطة بشـكل عربي متقن وأغلب الدور فى البلدة كلهـا بهذا الشكل . وهى كائنة بجوار السوق وقد استلفت نظرى أثناء المسير أن كل الدور [illegible] على كل دار منها رقم خاص بها وأيضا [illegible]

استبشاري بتقدم النظام وقد أخذنا مكانا خاصا بنا نزلت به مع صاحبتي

ولقد نزل بناحية أخرى من الدار جماعة من أهل قنا بصعيد مصر يبلغ عددهم أربعة أشخاص ومع أحدهم زوجه ويرافقهم أحد اهالي مصر اسمه الحاج محمد سليمان عرفني بنفسه لداعي نزولنا عند مطوف واحد وقد رأيته وتبدو عليه علامات الصلاح والتقوى

فى طرقات جدة

بعد أن استرحنا قليلا تمشينا بين طرقات جدة ومررنا على القبر الذى يقولون عنه انه للسيدة حواء أم البشر . وقد رأيت أن العمران قد امتد الى البلد فحصل بعض التحسين فى البناء ولكنها لا تزال محافظة على شكلها الشرقي وهي بلد تجارية وبها الخانات والمخازن والدكاكين وأسواقها مكتظة بالبضايع لأنها ميناء الحجاز البحرية وبها أيضا سفارات الدول الاجنبية

وكانت تحية قدومنا الى الارض المقدسة أن انعم علينا المنعم الكريم بفاكهة لم نرها فى مصر بعد وهي أننا اشترينا بطيخا وكان ناضجا ولذيذا والبطيخ لا يظهر عندنا فى مصر الا فى شهر مايو

وقد حضر المطوف حسن افندى كتوعة فسلمته جنيهين اثنين عن أجرة السيارة الى مكة المكرمة وجنيها واحدا أجرة جمل لحمل الامتعة الخاصة بنا وأخذ أيضا اثنين وثلاثين قرشا مصريا رسوم وكيل المطوف نقده بكل هذا عني وعن صاحبتي

الماء فى جدة

الماء فى جدة عبارة [illegible] الرائق وهو يصفى (بالكندنسة)

وهي الآلة التى تخرج الاملاح من المياه المستخرجة من البحر وهـذه معدة للشرب والنوع الآخر ماء المطر وهو يحجز فى الصهاريج زمن الامطار وهو عكر وغير نظيف هذا عدا مياه الآبار فى جهات مختلفة

وتصادف أن كنت اتوضأ ورميت بفضلات الوضوء بالشارع وإذا بباتان يقول لى ان الرش هنا ممنوع ويظهر أن الغرض المقصود من هذا هو عدم التبذير فى استعمال المياه

شعرنا بالراحة عند المبيت لاننا خرجنا الى وجه الارض (وكنا لا نزال نشعر بشىء من اثر اهتزاز الباخرة) فنمنا نوما هادئا عميقا وقد حمدنا الله سبحانه وتعالى

على متن السيارة

استيقظنا مبكرين فى صباح الخميس ٢١ القعدة و ٩ ابريل وبعد أن صلينا الغداة (وكنا نصلى قصرا من يوم أن بارحنا ديارنا) وبعد أن فطرنا وشربنا الشاي والقهوة (من عندنا) مكثنا ننتظر السيارة التى تقلنا الى مكة المكرمة الى أن جاءت وقت الظهر فركبت صاحبتى من الداخل من ناحية السواق وركبت أنا بجوارها وأمامها الحاجة القنائية وبجوارها اقاربها وبجوارى بعضهم فصرنا ثمانية وقد أحضروا لنا خمسة من الهنود لتكملة حمولة السيارة اللوري

امنية شاعر

الغواص الماهر اللبيب قد يغوص وراء الصدف المليء بثمين الجواهر

وكذلك كانت قريحة شاعرنا الفحل أمير الشعراء فانها أخرجت لنادرة من نفائس درره الغالية حيث يقول منذ عشرين عاما ونيف

ويارب هل سيارة أو مطارة

فيدنو بعيد البيد والفلوات

فهذه امنية شاعرنا العظيم قد تحققت وهذه السيارة تقطع المسافة من جدة الى مكة فى ثلاث ساعات بعد أن كنا نقطعها على الجمال فى يومين نبيت ليلة منهما فى بحرة ولا يزال بعض الناس يسيرون هذا المسير

اما الطيران فانه سبق أن سخرت الرياح لسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام فكانت تحمل بساطه شهرا فى الغدو ومثله فى الرواح وكانت الطيور تظله لتقيه من وهج الشمس وهجير الحر وهذه من نعمة الملك الذي لا ينبغي لاحد من بعده

وقد اتجهت افكار العرب نحو هذا الطيران حتي قرأنا لهم بعض نظرياتهم فيه ولو دامت مدنيتهم التى كانت آهلة بالروحيات أكثر منها في الماديات لكانوا اتموا التصميم وحازوا قصبات السبق في ابرازه للعالم. وهذه اوروبا جاءت الآن تأخذ نظريات اساتذتهم فاخرجوا الطيران الى حيز الوجود وتقدموا فيه تقدما باهرا فنحن أن اخذناه عنهم لقلنا (هذه بضاعتنا ردت الينا)

هذا ولا يفوتنا أن ننوه بقوه الحكومة السعودية وبطشها لان العربان كانوا يقفون حائلا منيعا دون سير هذه السيارات لأنهم ينتفعون من تأجيرجمالهم فى كل موسم

بين الماضى والحاضر

قبل أن نولي ظهورنا ثغر جدة المبارك ونستقبل قبلة الاسلام المشرفة

لا بد أن نلقي نظرة على الماضي والحاضر حتى نقارن بينهما

في المرة الاولى كنت أشاهد ثغر جدة يموج بمختلف الاجناس من الناس وكان أهلهـا يفرحون ويخرجون ذرافات ووحـدانا لملاقاة المحمل الشريف ويشنفون أسماعهم بنغمات الموسيقى ويمتعون أنظارهم بالاحتفال بوصوله وقيامه الى مـكة المـكرمة وفي ركبه العساكر يحيونه ويحفون به والآن قد حرمت هذه المظاهر لزعمهم ان المحمل ما هو إلا صنم كالاصنام البائدة وإن الطبل والزمر منكر يغضب الله تعالى

كل المسلمين في مشارق الارض ومغاربها يجعلون السفر الى الحج من الافراح التي يهنيء فيها بعضهم بعضـا وكانوا يدخلون الى الحجاز وهم في فرح وهيام تـكاد أن تطيش معه أحلامهم فيستفزهم هذا الى إظهار السرور وخصوصا عند عودتهم بكل الانواع المباحة

لما شرف سيدنا الانسان الـكامل صلوات الله عليه إلى المدينة المنورة وقابله أهلها بالدفوف والانشاد اظهارا لسرورهم فلم يستنكر ذلك منهم

ثم استمع لما ترويه مولاتنا السيدة عائشة الصديقية اذ تقول (دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان من الانصار يضربان بدفين فاضطجع رسول الله على الفراش ودخل أبو بكر فقال (بمزمار في بيت رسول الله) وكان عليه الصلاة والسلام متغشيا بثوبه فـكشف عن وجهه الشريف وقال (دعها يا ابابكر فانها أيام عيد)

وكانت السيدة عائشة الصديقية ايضا تتفرج من شق الباب على قوم من الاحباش يلعبون (بالدبية) وهي واضعة خدها على كف بعلها العظيم ويقول لها (حسبك حسبك) ولكنه لم ينهها عن التفرج

فنستخلص مما توضح آنفا أن اظهار الشعور بالفرح وما اليـه (من

طبل وزمر) ليس فيه حرج بل التضيق على الناس حتى ينزووا وينكمشوا هو بعينه المنكر والمحظور سيما وإن عظماء الصدر الاول وهم لاتزال ماثلة أمام أنظارهم انوار النبوة وتعاليمها المجيدة لم تأنف نفوسهم الزكية من اقامة الافراح واظهار المسرات

كانت الامم قديما تعالج المرضى فى مستشفياتها بالموسيقى وقدأخذت السلالة الحديثة عنهم هذه النظرية . وكذلك كانت الامم تولد الحماس في نفوس جندها بنغمات الموسيقى ولا تزال الامم المتحضرة تحذو هذه الفعال فلست أدري لماذا يحرم من هذه المزايا أمم الاسلام ودينها سهل لين حيث يقول ذو الخلق العظيم لمعاذ بن جبل وزميله وهو يوصيهماعند سفرهما الى اليمن بقوله الحكيم (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولاتنفرا)

انظر الى تربية النشىء عند معاصرينا المتمدينين وهم يقوون عضلاتهم بالرياضة البدنية تحت نغمات الموسيقى حتى يشبوا نشطين فرحين وحتى لا يسأموا الحياة المضنية المملة

وما لنا نذهب بعيدا وهذا التاريخ ينبئنا عن مجلس الذكر الحكيم عند سيد الحكماء حين كان يقف عندحد من الكلام فى شؤون العلم الشريف ويقول (حمضونا) فيتكلم الاصحاب الاخيار فى قصص الامم الغابرة ويتناشدون اشعار العرب

نعم ان بعض المسلمين قد تورعوا عن الملاهي ولكن هؤلاء قوم تجردوا من حظ هذه الحياة وتبتلوا الى الله سبحانه وتعالى وانقطعوا اليه فاستخلصهم لعبادته وخصهم برحماته الصمدانية فهم أولياؤه وأصفياؤه وليسوا هم كل المسلمين بل الاسلام يأمرنا بأن نعمل لدنيانا كاننا نعيش ابدا يعني ان نقيم الصروح والمعاقل ونشيد القصور والمنازل وننشىء

الاساطيل والجحافل ونضرب بسهم وافر فى كل نوع من أنواع الحياة ولا نهمل فيها حتى لا يدوسنا العدو باقدامه وأمامنا الحلال بين والحرام بين

ثم وهذا المحمل بحفله وموكبه كله دعاية بريئة الى الحج الشريف والحج هو زرع الحجاز وحصاده والحج أيضا هو دعوة سيدنا ابراهيم الخليل (ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون)

انه يتحتم على الحجاج الذين يقومون بالسيارة أن يقللوا من الامتعة التى يأخذونها معهم فكان معظمهم ليس معه إلا ربطة الفرش وخرج صغير وتعلق هذه الامتعة فى قوايم دروة السيارة (سقفها)

قيام السيارة

قامت السيارة اللوري على بركة الله تعالى ونحن بثياب الاحرام وكنت بفضل المولى عز وجل الشخص البارز فيها للسر الذى يودعه الخلاق العظيم فى النفوس اللاجئة اليه وهو سبحانه وتعالى الذى يوزع على كل نفس قسطها من هذا السر . وكنت أنشد لمن معى بكلمات التلبية وهم يرددونها وذلك فى أوقات متعددة أثناء السير وكنا نلبي اذا علونا مرتفعا أو هبطنا واديا أو لقينا ركبا كذلك ويلبي الانسان عقب كل فريضة وفى سائر بقاع الحرم رافعا بها صوته الا فى مسجد الجماعة خوف التشويش والمرأة (لا ترفع صوتها)

انطلقت بنا السيارة انطلاق القذيفة من فم البندقية وكنت أنظر الى

هذه الرواسي الشامخات على الجانبين وأتذكر يوم أن كنت أرى بين كل مسافة وأخرى حشدا من الجنود الترك يجتمع فى حصن لهم فوق قمم الجبال لحفظ الطريق من عبث العربان وعيثهم وكانت هذه مسائل صورية فقط لأن هؤلاء الاتراك لا يريدون أن يشتبكوا مع العرب فى خصومة تقض مضاجعهم بما يضعونه من أشواك الغدر والوقيعة بهم ولهذا عند ما كانوا يسمعون أصوات استغاثة يجملون كأن فى آذانهم وقرا فلا يسمعون وعلى أعينهم غشاوة فلا يبصرون

والآن نرى هذا الطريق وهو خلو من أي جندي أو شرطي والحجاج والسابلة يسيرون بكل اطمئنان وهذا الامن الذى يمتد رواقه على ربوع الحجاز يعد من مفاخر الحكم السعودي

كانت اللوري تتعطل فى الرمل لان الارض فى معظم الطريق رملية فكنا ننزل ونزحزحها من مكانها حتى تسير وما أحلاها من مناظر سارة وما أطيبه من عطل محبوب

وبالطريق نقط تسمى رأس القائم والرغامة وجرادة . ولقد مكثنا فى بحرة قليلا للاستراحة وشرب الشاي والقهوة وكنت أشترى (الكشرى) الارز بالعدس مطبوخا للبرك و اشترى ايضا من الشربات الحلوة التى كان يعرضها البدو للبيع

وفى بحرة الرغاء هذه مسجد صغير يقال ان السيد الكامل بني أصوله [illegible] غزوة الطائف سنة ثمان من الهجرة

وبعد بحرة محطة حده وبعدها السيسي وبها مسجد صغير محـــل [illegible]

بيعـــة الرضوان

الـكاتب القدير هو الذى يجعل القلم في يده كريشة للمصور تصور الحقائق تلمسها الايدى وترمقها الاعين واضحة جلية . ومن لى بقلم جرىء يصف ما لهذه البيعة من اثر صالح وفضل عظيم وكان أحرى بنـا إزاء هذا الفضل ان نكتب على مكانها بأحرف من نور (هذا محل الشجرة المباركة شجرة بيعة الرضوان التى بايع تحتها من جادوا بالنفس فى سبيل الرحمن)

(إن الذين يبايعونك انمـا يبـايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) — قرآن كريم —

وسبب هذه البيعة أن صاحب دعوة التوحيد ارتأى أن يزور البيت العتيق معتمرا في السنة السادسة من الهجرة وكان مع قريش على حرب فلما علمت بمقدمه الشريف من المدينة المنورة أخذتها العزة بالاثم واجمعوا أمرهم على أن لا يدخلها عنوة أبدا حتى لا يكونوا مضغة فى أفواه العرب وحمية الجاهلية زينت فى رؤوسهم هذا العناد حتى وقف أمامه خالد بن الوليد على رأس جيش بعسفان ليصده عن البلد الحرام بغيا من عند أنفسهم وهو ابن بجدتها وفى الذروة العليا من مقام سادتها

ولما رأى الحـكيم الرشيد أن لا مناص من الحرب قال (اشيروا على أيها الناس اتريدون أن نؤم البيت ومن صدنا عنه قاتلناه ؟) وهنا بدت ظاهرة مـن ظواهر افضليـة هذه الامة على باقى الامم حيث يرد عليه سيدنا المقداد بن الاسود بقوله (لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (إذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) ولكن اذهب [illegible]

فقاتلا انا معكم مقاتلون والله يارسول الله لو سرت بنا الى برك الغماد لسرنا معك ما بقي منا رجل) فتهلل وجهه الشريف بالبشر والسرور

واعقب هذا الفضل فضل آخر نكتبه عداد الشكر لهذه النعم التى تفضل بها المنعم الكريم على هذه الامة الملحوظة بعنايته الصمدانية . وذلك أن سيد الاصفياء لما رأى وقوف جيش المشركين في طريقه قال (هل من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم) فسلك بهم أحد الصحابة طريقا وعرا ولما تجاوزوه الى أرض سهلة قال (قولوا نستغفر الله العظيم ونتوب اليه) فقالوها ثم قال (والله انها للحطة التي عرضت على بني اسرائيل فلم يفعلوها) بل صاروا يتدللون ويتلكأون بطرا بالنعم التى يتقلبون فيها وقد قال الله تعالى عن هذه الحطة (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين)

ولو استمعت الي حى أبين لك حسن الانقياد وجميل الاخلاص وانكار الذات أمام الزعامة العظمى من قول عروة بن مسعود الثقفي عظيم القريتين الذي عنته قريش بقولها (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) حيث يقول عندما عاد بعد اداء المفاوضات مع قيادة جيش الموحدين اليوم . لقد رأيت ما يصنع أصحاب محمد به إنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا [illegible] الا اخذوه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده [illegible] النظر اليه تعظيما له ثم قال يامعشر قريش اني جئت [illegible] في [illegible] في ملكه والنجاشي في عزه فما وجدت [illegible] أصحابه به

[illegible] الا [illegible] الذي أدى

ربه فأحسن تأديبه

وقد يتجلى أمامنا الاخلاص أيضا بكامل معانيه عندما توجه سيدنا عثمان بن عفان الى مفاوضة قريش وقد عرضوا عليه أن يطوف هو بالبيت والطواف كما لا يخفى ضربة لازب على كل داخل الى البلد الحرام ولكنه أبى ما دام رئيسه ممنوعا . ولما كانت القلوب تتناجى فتتعرف مكنونات أسرار بعضها فقد قال صفوة الرحمن إن عثمان لا يطوف ما دمنا ممنوعين

ثم انظر ايضا الى عطف الرئيس وحنانه حيث يقوم هؤلاء الالف واربعمائة ذات من ذوات المؤمنين ويبايعون قائدهم العظيم ثم يضع هو يده اليمنى على اليسرى ليبايع عن عثمان وهو يقول (اللهم ان عثمان فى حاجتك وحاجة رسولك)

هلم بنا نجوس خلال هذا المعسكر الاسلامي المنير الذى خضعت له رقاب الورى لننظر فى أمر هؤلاء الرابضين فى رحالهم حيث تراهم ليوث الشرى يزأرون ويتحفزون للوثوب عند أي اشارة تصدر من القيادة العظمي فهم كما يصفهم القرآن الكريم (اشداء على الكفار) ثم أعد الكرة وأمعن النظر تراهم كما يقول القرآن أيضا (رحماء بينهم) لا فرق بين كبير وصغير وأمير وحقير وهم يعيشون عيش الزهد و يعرضون عن هذه الحياة الدنيا لانهماكهم فى تأييد كلمة التوحيد التى يجودون لاجلها بالمهج والارواح

فى عصرنا هذا يتباهي الافرنج بأنهم عريقون فى الديموقراطية ويفتخر البعض منهم بأن المساواة أدت بهم الى تبوأ العمال عندهم كراسى الحكم ولكن منذ ثلاثة عشر قرنا ونيف كنت ترى المساواة الصحيحة والاخاء الحقيقي . ترى علي بن أبي طالب وابا بكر الصديق وعمر بن الخطاب مع حظوتهم بالقرب من مقام زعامة الاسلام فانهم يتساوون مع بلال وعمار

وعامر بن فهيرة فى الحقوق أمام القانون السماوي وفضلا عن هذا فقد عين سيد الحكماء شابا ليس من خواص الاشراف وهو اسامة بن زيد ابن حارثة على رئاسة جيش فيه عظماء الصحابة مثل ابى بكر وعمر . فهو بهذا يعلمنا بأن مناصب الدولة يجب أن لا تكون وقفا على طبقة الارستقراطية بل يعين فى الحكم من يكون جديرا بالقيام باعبائه كائنا من كان

صلح الحديبية

وأخيرا تم صلح الحديبية وكتبت عنه شروط المعاهدة وهي تنحصر فى خمس مسائل

(١) الهدنة لمدة سنتين

(٢) من يأتي من قريش إلى المسلمين بغير إذن وليه يرد الى مكة

(٣) من يأتي من المسلمين إلى قريش لا يرد إلي المدينة

(٤) كلا الطرفين له تمام الحرية أن يتحالف مع من يريد

(٥) لا يدخل المسلمون مكة فى هذا العام بل يدخلون فى العام المقبل

وقد أغضبت هذه المعاهدة فريقا كبيرا من المؤمنين وكأني بهم وقد غفلوا عن بعد نظر الزعامة العظمى وحكمتها العالية والتوفيق الالهي الذى يلازم خطواتها المسددة حيث أن البند الثاني من المعاهدة اصبح شجى فى حلق قريش لانه لما اسلم ابو بصير واراد ان لايشق على خير الاوفياء ويذهب اليه وهو على عهد مع قريش بل تراأى له انه يمكث بطريق القوافل الى الشام وانضم اليه ابو جندل بن سهيل بن عمرو ومع نخبة من القوم حتى اجتمع منهم زهاء السبعين انسان فقطعوا طريق قريش وهم لا بد لهم من الذهاب الى الشام للتجارة فناشدوا الآمر بصلة الرحم صلة الرحم فانجدهم وأمر فعاد اليه ابو جندل اما ابو بصير فقد قضى نحبه راضيا مرضيا

وانصرف الذين كانوا حولهم من الاعراب وعلى هذا فقد لقى البند الثانى من تلقاء نفسه حتى كانت (الحديبية تعد من اعز فتوحات الاسلام) وكان مقام من حضرها من السادة الاجلاء كمقام اهل بدر الكرام

فهذا ملخص وجيز عن مسجد البيعة الذى نمر عليه ولا نمبأ بمركزه العالى الذى فاضت منه فيوضات المولى الكريم سبحانه وتعالى على هذه الامة

وفى اثناء سيرنا كان الهواء يهب من جهة الجنوب حارا ساخنا ويأتي بغبار أصفر يسد الانوف والعيون ولكن ما احلا النسيم الذى يهب في ارض الحبيب حتى ولو كان من لهيب

فى البلد الحرام

ظهرت اعلام مكة فكان القلب يرقص طربا من لذة القرب وسالت العبرات على الوجنات وما اهدأ وما اهنأ دموع الفرح بهذا اللقاء ولدى وصولنا اوقفت اللوري عند مخفر الشرطة واخذ اسمى مع أسم المطوف وتعداد الراكبين فى السيارة لاجل تحصيل (الكوشان) وهي الضريبة المقررة من الحكومة

كلمة عن العمال والجنود

قبل أن أحط رحالى ببلد الله الحرام لا بد ان القي كلمة هادئة عن كل المناظر التى انطبعت فى ذاكرتى بطابع الاعظام والاجلال من يوم أن تشرفت بالنزول إلى الارض المقدسة من شاطيء جدة الى البلد الامين

كل هذه المناظر قد حلت من نفسى مكانا عليا من الاكبار والاعجاب حيث رأيت عمال المينا صغيرهم وكبيرهم وعمال الكمارك رئيسهم ومرؤوسهم والعساكر وضباطهم وكبار الشرطة وأتباعهم حتى وسواقى السيارات ونقبائهم كلهم في جد ونشاط يؤدون واجباتهم بغير اعياء أو ملل . والاحسن من هذا والاكثر غبطة هو احتفاظهم بزيهم العربي الجميل (بالكوفية والعقال والقفطان والعباءة) الامر الذى جعلنى أدعو الله تعالى أن يسدد خطوات هذه الحكومة (الشرقية) ولا سيما انني أحفظ لها فى أعماق نفسى كثيرا من الحب والاحترام لانها قضت على الفوضى وقطعت دابر المفسدين

ولقد مررت على القشلاق الحميدي الذى كان مكتظا بفيالق الجيش العثماني فوجدته الآن خاويا على عروشه وسبحان من تفرد بالدوام والبقاء

دخلنا الى (جرول) وهي غربي مكة وباب الدخول اليها وعندها بئر ذى طوى التى اغتسل منها سيد الاصفياء لدى دخوله إلى مكة فى حجه المبارك

الشيخ محمود

وهذه الجهة مشهورة أيضا باسم (الشيخ محمود) نسبة الى الفيل الذى برك فى هذا المكان . وسببه ان ابرهة (وابرهة باللغة الحبشية معناها أبيض الوجه) وهو أحد كبار ملوك الحبشة قد شيد كنيسة له فاخرة وزخرفها وزينها بانواع الجواهر وأراد أن يحول الناس عن البيت الحرام ليحجوا اليها ولهذا صمم على هدم الكعبة المشرفة ثم سار بجنوده التى ملأت الفضاء وسدت منافذ الهواء ويصحبهم دواب النقل مع الخيول والافيال

ولدى وصوله الى أرض الحجاز نزل بقرب ذى المجاز (بين عرفة ومنى) ثم أرسل رسوله الى كبير قريش وزعيمها وشيخ البيت الحرام عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف يدعوه الى مقابلته فى معسكره وفى اثناء ذلك جاء رعاة ابل الشيخ عبد المطلب واخبروه بأن جنود ابرهة اغاروا على الابل واستاقوها الى ناحيتهم فلما وصل الى السرادق الفخم المعد لاقامة الملك وتقدم للدخول هابه الملك وأكرم نزله ونزل عن سريره وجلس معه على البساط حتى لا يعلوه ثم كلمه والترجمان يتوسط بينهما فى التفاهم فيسأله ما حاجتك فيقول حاجتي ان ترد الي ابلى فقال له الملك إننى اكبرتك اذ رأيتك ولكنك لما سألتنى الابل وتركت البيت الذى هو عزك وعز قومك سقطت من عينى فاجابه اننى رب الابل (اما البيت فله رب يحميه) عند ذلك رد اليه ابله وودعه باحسن مما لاقاه

ثم سار ابرهة بجنوده وكبير الافيال الذى هو (الفيل الابيض) يتقدم الجميع ولما اقترب من البيت المطهر أقبل عليه نفيل بن حبيب الخثعمي من أشراف قريش وعرك أذنه وقال له (أبرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام) ثم أرسل اذنه فبرك مكانه وهذا هو سبب تسمية الفيل (باسم الشيخ محمود) حتى سمي المكان بهذا الاسم

وصار القوم يضربون الفيل وينخسونه بالكلاليب فيقوم ولكنه يتجه لغير جهة الحرم ثم أرسل الله تعالى عليهم الطير الابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول

ويقول العلم الحديث أن البلاء الذى نزل [illegible] هو (ميكروبات الطاعون)
والقرآن الكريم يعبر عنها بالطير الابابيل [illegible]

فى (حياة الحيوان) أن الطير الابابيــــل تعشش وتفرخ بين السماء والارض وهذا القول ينطبق تمام الانطباق على تعريف جراثيم الاوباء التى تسكن فى الجو وهي تفقس ملايين الملايين من فراخها فتتسلط على الابدان التى يؤذن لها بالتسلط عليها (صنع الله الذى اتقن كل شيء)

وكانت قريش تتحصن فى رؤوس الجبال حيث لا طـاقة لهم بأبرهة وجنوده ولمـا اهلك الله هؤلاء الطغاة اعتزت قريش بقوة الله تعالى وهابها العرب وقد اعتبروا أن أهل مـكة جميعا هم أهل الله تعالى

وكانت أم المؤمنين السيدة الجليلة عائشة الصديقية تحكى بأنها رأت فى صغرها فى مكة المكرمة سائس الفيل وقائده أعميين مقعدين يتكففان الناس

وصار العرب يؤرخون من عام الفيل هذا الى أن جاء الاسلام فجعل تاريخه من ابتداء الهجرة الشريفة النبوية التى هي أعظم حادث حدث فى التاريخ

نجاة اهل الفترة

من سياق هذه القصة تتبين لنا عقيدة شيخ الحرم الوقور فى مقام الألوهية العظيم حيث أنه يقول (ان البيت رب يحميه) فهو يعتقد في وجود الله سبحانه وتعالى وفى قدرته عز شأنه على حماية البيت وهو على كل شيء قدير . وكان يقول مع خواص العرب عن عبادة الاصنام (وما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى)

ولهذا يقول فريق من علماء المسلمين بأن أهل الفترة ناجون من العذاب وذلك لقوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ولم تصلهم الدعوة الى التوحيد

كما وانه يتضح للقارىء ايضا كيف كان مقام الشيخ الموقر عبد المطلب بن هاشم من الشرف والسؤدد وهو قد ورث الامارة كابرا عن كابر ولا غرو فانه سليل الاصلاب الشريفة والارحام الطاهرة لان حفيده سيد الانبياء والانبياء لايرسلون الا فى احساب قومهم

الحاج طاهر

وقد سبق أن ارسل حسن افندي كتوعة رسالة برقية الى الحاج طاهر التونسي وكيله بمكة المكرمة ولدى وصولنا الى (جرول) وجدناه فى انتظارنا فقابلنا بترحاب وقبول وهو فصيح اللسان يعطيك الشهد من معسول قوله حيث يقول لنا انى طوع بنانكم وخادم اقدامكم. يالله . كيف ذلك ياحاج طاهر ؟ وكيف تكون خادم اقدامنا ونحن ما هجرنا أوطاننا ولا تركنا عيالنا وأموالنا الا لنهاجر الى الله ورسوله وهذه الهجرة لصالحكم حيث اننا أخذنا معنا من الجنيهات الذهب الانجليزى مايفوق المائة عدا ومن الورق النقدي ما تعد عشراته على الاصابع هذا عدا ثمن الحوائج التى استصحبناها معنا وعدا سبعة وعشرين جنيها مصريا مصاريف سفرتنا فى البر والبحر إلى جدة ذهابا وعودة . وكل هذه المبالغ ننفقها فى سبيلكم فمن هو الخادم إذن ؟

كما وأن التاريخ يذكر أنه عندما استعمل سيد الفاتحين عتاب بن سيد واليا من قبله على مكة المكرمة قال له (ياعتاب أتدرى على من استعملتك ؟ استعملتك على أهل الله) ونحن خدام أهل مكة الذين هم أهل الله تعالى

فى طريق البيت

هناك فى هذه الجهة (جرول) أباريق معدة للوضوء ([illegible]

فتوضأنا وصلينا العصر قبل فواته بمسجد انشيء حديثا هناك ثم استأجر الحاج طاهر عربة صندوق حملت الامتعة وركبت فيها صاحبتي ومعها الحاجة القنائية أما نحن فسرنا على الاقدام ملبين مكبرين مهللين وكنا نتخيل أننا لا نسير على الارض بل كان شعورنا بالفرح يرفعنا حتى نكاد نطير لانها الارض المقدسة التي تشرفت بسيد الكائنات وهذا الغبار الذي يتصاعد منها لهوا طيب رائحة من المسك فى شمي وأحلى من الشهد فى ذوقي لانه التراب الطاهر الذى أينع فيه زهر النبوة العالية الغالية وخطر عليه أفضل مخلوق وأكرم بشير ونذير

قطعنا شارع الباب وجزءا من شارع الشبيكة وبعد أن جاوزنا الدار التى تقطن بها البعثة الطبية المصرية بقليل حططنا رحالنا بدار وكيل المطوف وقد نصح لنا بأن نستريح و نتعشى ثم نقوم بالواجب المفروض للعمرة من طواف وسعي

البعثة الطبية المصرية

ما أحسن ما أرى بلادي العزيزة وهي تقوم بقسط وافر من البر بهذا البلد الامين وكم كنت قرير العين عندما رأيت لوحة على باب دار رحبة فسيحة مكتوب عليها باقلام العرض (البعثة الطبية المصرية)

هذه البعثة التي أخذت دورا هاما بين حكومتنا المصرية والحكومة الحجازية وكانت هذه الحكومة تنظر إلى عنايتنا نظرها إلى شيء يخدش ناموسها أو تؤثر على [illegible] والحال اننا في مصر نتساهل مع المستوصفات [illegible]

[illegible]

تنطوى على أغراض سياسية أو تبشيرية ومن واجب الحكومات الرشيدة
أن تفطن لاعمالهم ولا تتركهم ينشبون أظفارهم فى مرافق ومعالم بلادها

ولا يفوتني هنا التنويه بأن هذه البعثة الطبية المصرية قد قامت خير
قيام بواجبها الانساني وكانت تعتنى بالمرضى الذين يؤمون دارها من كل
الجنسيات وكانت تشرح الداء وتصف الدواء بكل همة واعتناء حتى
استحقت من الجميع كل ثناء واطراء وحتى التاريخ نفسه يسجل لها بين
طياته صحيفة نضرة بيضاء

فى دار المطوف

أن دور مكة ذات طبقات متعددة وهي على طرازها الشرقي الجميل
ابنيتها متوسطة ولا تحتوي على شيء من الادوات الصحية بدورة المياه
فالمراحيض عادية والمياه تجلب اليها بواسطة السقايين

والدار التى نزلنا بها ذات طبقتين فالطبقة السفلى منها يسكنها حجاج
آخرون مع مطوفين اخر أما نحن فقد صعدنا الى الدور العلوي ودخلنا
الى غرفة مفروشة بالطنافس الفارسية . وكنت أود أن اقول

الطنافس المصرية

لان صناعة السجاجيد فى مصر أخذت فى دور التقدم وهى تتطلع
إلى المصريين رجاء أن يحوطوها بشيء من عنايتهم حيث أن كل مشروع
يحتاج فى حداثة عهده الى وسائل تحميه وإلا تلاشي قبل أن يدرج من
مهده وأباع وسائل الحماية أثرا هو عناية الجمهور واقباله حتى تتقدم
الصناعات وتصبح البلاد فى [illegible]

وما دام الحديث قد جرنا الى ذكر المال فما يكون للقلم أن يترك المجال حتى يفي المقام حقه من المقال لانه المال. والمال كما لا يخفى هو قوام الحياة بل هو كل شيء في هذا العالم ولقد عثرت على حكمة تهدينا الى طريقة تدبيره وترشدنا الى الابتعاد عن تبذيره وهذه هي

حكمة شاعر العصر

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وهذا بلبل مصر الصداح وصوتها الرخيم العذب يسمعنا من آيات بيانه ما يزري بقول من قال (ما ترك الاوائل قولا لقائل) فشاعرنا العبقري أمير الشعراء قد ترك له الاولون فراغا ملأه دررا ولآلىء وحكما غوالى اذ يقول

وانما الامم الاخلاق ما بقيت

فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

انني أعجب بهذه القريحة الوقادة التي مثلت لنا الحياة الخالدة في بيت من الجمان المنظوم يجدر بنا أن نجعله نبراسا نستضيء به عندما تدلهم خطوب الاهواء

لعمرك أن الاخلاق هي الدعامة القوية التي ترتكز عليها حياة الامم حياة طيبة

فالاخلاق هي التي تمنع هؤلاء الذين يسكبون جامات الراح في احشائهم نظير أن يسكبوا للاغريقي ما في جيوبهم

والاخلاق هي التي تمنع أسراء الشهوات أن يتسكعوا في الطرقات حتى يقعوا في حبائل أمثالهم المتسكعات ويحشون جيوبهن من المال الذي

تحتاج له الاسرة ويصلح به شأن العيال .

والاخلاق هي التى تهيب بقعداء المقاهى أن ينفضوا عن كواهلهم غبار الكسل ويطرقوا بكل قبول أبواب العمل والعمل هو البركة وهو الكنز الذي لا ينضب معينه والعز الذى لا يبقى معه ذل أو شقاء

والاخلاق هي التى تجعل البليد نشطا والجبان مقداما وهي أيضا تمنع الاشحاء أن يطمروا مال الامة فى باطن الارض ولا يخرجونه لنفع الامه أو على الاقل يخرجون ربع عشره فى كل عام حتى يبل ريق المعوزين

وبالجملة ان الاخلاق هي التى توفر لنا المال ناميا زكيا نتمكن به ان نرقى بالاحوال الاقتصادية رقيا يجعلنا فى مصاف الامم التى كنا نسبقها باشواط بعيدة فى مضمار الحضارة والعمران

ومتى تقدمنا فى الاقتصاد وتجمع لدينا المال الكافي نقوى أنفسنا بكل ما فى وسعنا لان التسليح القوي هو مفتاح باب الامن وقاعدة سلم السلام (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) عند ذلك يهاب العدو والصديق جانبنا وننال أمانينا القومية والسياسية بغير نصب أو صخب

والخلاصة أن الاخلاق هى باب السعد الموصل الى حسن الاقتصاد والاقتصاد هو الطريق الموصل الى الاماني القومية وهذه المسائل الثلاث يجب ان تتمسك بها كل امة رشيدة ولا تهمل فى احداها لتظفر بالعز ونيل المنى

فى دار المطوف

ولنرجع الى دار المطوف

فانه موضوع فى الغرفة على الطنافس بعض المساند وهي تتكيء على (مصطبة المشربية) التى لا تخلو منها دار فى مكة المكرمة وخارج هذه الغرفة غرفة

اخرى مفروشة بالخسف الخوص فقط وقد أفهمنا الحاج طاهر بان هاتين الغرفتين معدتان لنزولى وصاحبتى وادخل الستة الباقين فى غرفة صغيرة بجوارنا

وليمة المطوف

وتقدمت لنا وليمة المطوف وهي مائدة تحوى صحافها القيشاني الكثير من الطعام الشهي مثل الحساء بالدجاج والكباب والكفتة والضولمة والخضارات المطبوخة باللحم وبعض التوابل مثل السلاطة وما اليهـا الامر الذي اكد عندى الخبر القائل باعتناء المكيين فى مأكلهم وتفننهم فى تعدد الاطعمه

كذلك وتقدمت مائدة اخرى الى الستة الباقين تشبه مائدتنا تمامـا فاكلنا وحمدنا الله تعالى

الملابس فى مكة

كذلك وللمكيين ولع خاص بالتأنق في الملبس حيث ترى الرجال يوشـون الملابس بالتطريز حتى تجد السروال مشغولا (بالروكامو) على حافة رجله و يلبسون الكوفيات المطرزة ايضا ولا يأنفون ان تكون الجبه أو الجاكته من الوان زاهيه جدا وثم يتعممون بكوفيات ملونه ومطرزة فوق طاقيه بيضاء من البفته

وأهل الطبقه العليا يتعممون فوق طاقيه مكوية مجدولة وهي معروفه لدينا (بالعمامه المكية)

اما الملابس الرسمية تقريبا فى البلد وهي الملابس النجدية (بالكوفية والعقال والعباءة والقفطان)

أما النساء فان ملابسهن متقنة ومكوية وهن يلبسن الثياب البيضاء في العزاء والمآتم

الى البيت المطهر

بعد ما فرغنا من الاكل جددت الوضوء وقمنا جميعا نقصد البيت المطهر وأمامنا الحاج طاهر يلبي فنرد عليه ويدعو فنكرر دعاءه الى أن أكرم الله وفادتنا وقربنا إلى أعتابه القدسية ودخلنا من باب العمرة (أحد أبواب المسجد الحرام) فتلونا قوله تعالى
(رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)
ولدى تشرفنا بالحرم الشريف صلينا العشاء مؤتمين بالشيخ محمد سليمان

امام العتبة المقدسة

هذا بيت ربنا ماثل أمامنا . سبحان ربنا الكبير المتعال. لماذا لا يكون بيت ربنا من زخرف ولبناته من لجين ومن نضار وترصع حوائطه بنفائس الاحجار وترابه الند والعنبر وحصباؤه اللؤلؤ والمرجان
سبحانك ربنا وتعاليت ياذا الجلال والاكرام . لماذا تضع بيتك الكريم في هذه الارض الجرداء بين هذه الجبال القاحلة ؟ ولم لم تضعه بين جنات وعيون ومقام كريم مثل هضاب سويسرا الخصبة أو ربوع لبنان الجميلة أو في بقعة من أخصب أرضك وتفجر الانهار خلالها تفجيرا حتى تنبت الزرع والنخيل والاعناب ؟
وكأني بلسان العزة الصمدانية يجلي لنا الحقيقة اذ يقول إنني أبعدته



الكعبة المشرفة بالحرم الشريف

عن العمران والمدنية لاخرج منه انسانا كاملا هو صفوتي من خلق اختصه برســـــالاتي و بكلامي والبرهان الحسي على أنه ما ينطق عن الهــوى ولا يتكلم من عندياته أنه نشأ في هذه البقعة القفرة بين هذه الامة الامية (إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى)

كذلك وجعلته بعيدا عن العمران حتى لا يشغل القاصد إلى بيتي شيء من اللهو ومن الرياضة بل انه يأتي الي متجردا من ذاتيته ليشاهد بروحانيته ملكوت السموات والارض

المران والعلم

أين ذهب هذا العلم الذى تعلمته فى مناسك الحج وأين ذهب المجهود الذى بذلته فى المطالعة حتى احتاج الى دليل يرشدني عن الطواف

وهنا تذكرت حكاية أحد السادة العلماء عندما أم المسجد الحرام وصلى ركعتين تحية المسجد فقال له غلام من أهل مكة (إن تحية المسجد هنا الطواف)

كذلك وتذكرت محاورة شاب مكي مع أحد السادة العلماء أيضا وهو يرى من نفسه الارتياح لغزارة مادته فى العلم و بود الشاب أن يتغلب على الاستاذ فى الجدل فقرأ أمامه (إن الله وملائكته يصلون على النبي) فتعجل الشيخ وقال اللهم صل وسلم عليه فقال له الشــاب انك لست الله ولا من الملائكة فلماذا لا تصبر حتى اتم الآية (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليــه وسلموا تسليما).

سبحان لرزاق الكريم . إذا [illegible] لا [illegible] الى [illegible] فمن أين أكل هذه الجموش الحرار [illegible]

اركان الحج

وهؤلاء المطوفون فى مكة مع الحجاج أشبه بالتراجمة فى مصر مع السائحين ولكن اولئك أكثر نفرا وأعز جندا

امام الحجر الاسود

صفنا الحاج طاهر امام الحجر الاسود وهنا تذكرت قول بعضهم انه يمين الله فى الارض وكأننا نعاهد الله تعالى بايماننا وتذكرت ايضا قول سيدنا عمر وهو يشير اليه (انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك) فهو ينبه الناس وهم حديثو عهد بالوثنية ان عبادة الاحجار قد فات زمانها اما هذا الحجر الاسود فأنه رمز من الرموز المعنوية وانه ايضا يأتي يوم القيامة فيشهد لمن استلمه وانه وضع ليكون علامة لابتداء الطواف

قتل الخراصون

الذين يقولون ان الحج فيه شيء من الوثنية وقد أقره الاسلام تأنيسا للعرب وموافقة لفعالهم حتى يتألفوا الاسلام

يقول الله تعالى فى كتابه العزيز (لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازعنك فى الامر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم) وقد جاء الاسلام مؤيدا لملة ابراهيم الخليل فلما امر عليه السلام ببناء البيت المطهر كان ذلك قبل العرب وكان الله سبحانه وتعالى الناس بالحج اليه فتملكته جرهم ثم خزاعة الى أن وصل الى قريش والى جاء الاسلام صار يطهر البيت المشرف من الاوثان [illegible] الاوثان وما

اليها من انصاب وازلام والذى بقي بعدهذاكلها امور معنوية تشير الى معاني غاية فى الحكمة والهداية وسأتكلم عن الحكمة فى المناسك عند الكلام على كل منهامما يدحض مفتريات هؤلاء المتعنتين

مزايا الحج

كما وان الحج فيه مزايا لا يستهان بها وفوائد جمة لعامة المسلمين

منها أن الحج كمؤتمر عام يجتمع فيه شعوب الاسلام للتفاهم فيما ينفع الاسلام كمؤتمر لاهاي الذى يحكتم اليه الافرنج فيما يحدث من الخلاف بينهم أو كعصبة الامم التى تنضم اليها شعوب أوروبا وبعض شعوب آسيا

وهو يذكر الانسان أيضا بأن مصيره الى القبر لان لباس الاحرام كهيئة الاكفان والقبر أما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار فلينظر الانسان الى اي قبر يكون مصيره

وهو أيضا يذكر الناس بالبعث والنشور يوم يقوم الناس لرب العالمين - يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله

كسوة البيت

ابتهجت النفس وقرت العين برؤية الكعبة وقلنا اللهم أنت السلام ومنك السلام حينا ربنا بالسلام اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وزد من حجه أو اعتمره تكريما وتشريفا وبرا

تشرفت [illegible] الكعبة المشرفة فاذا عليها [illegible] كانت [illegible] لها مصر فا[illegible] [illegible] من الذهب [illegible] فيما عود

[illegible]

الصنيع بضده لان مصر التي هي أحسن بلاد الله توددًا ووفاء لاهل المدينتين المقدستين والحرمين الشريفين كانت تنفق بسخاء على هذه الكسوة الشريفة والكساوي الاخرى لمقام سيدنا ابراهيم وغيره. هذا عدا الهبات والتبرعات لعائلات كثيرة من الحجازيين حسب نص وقفيات الحرمين الشريفين التى أرصدها الخيرون من المصريين

ولما وجدت نفسها أمام هذه الصلابة التى لا مبرر لها اضطرت لان تقبض يدها حتى تهب رياح الرشاد فتزيح وخامة هذا العناد

نعم انه قد تسنى للملك السعودى العادل أن ينشىء مصنعا يخرج منه الكسوة الشريفة كل عام

المشاريع المفيدة

ولكن ياحبذا لو رفعت مصر عن كاهله نفقة هذه الكسوة ويصرفها هو فى وجوه أخرى مفيدة ابلد الله الحرام كرصف الشوارع وتركيب أنابيب المياه لتوصيلها الى المنازل وغير ذلك من التحسينات التى يتطلبها الرقي فى العمران اليوم

ومتّى توفر لديه المال الكافي يمكنه أن ينشىء سكة حديد من جدة الى مكة وطريقها ممهد لا يحتاج الا الى مد القضبان

كذلك وأمامه مشروع ردم مرفأ جدة حتى تصل الرصيف الى الغاطس (الماء الغزير) فترسوا عليه السفن ويسهل الشحن والتفريغ

[illegible] الخلاف

ثم اذا كانت الحكومة المصرية ترى ان نعمة مصر على الحجاز فيه

حط من كرامتها فان هـذا الزعم يدحضه الواقع لان الـكعبة المشرفة التى يتوجـه اليها مسلمو الارض قاطبة ليست ملـكا للحجازيين أو النجديين فحسب بل لـكل المسلمين أن ينظروا فى شأنها ويعملوا لصالحها وأظن أن الملك السعودي الكريم قد تنبه لهذه النظرية فعقد مؤتمره الشهير الذى دعى اليه أمم الاسلام للتشاور فى شأن الحرمين الشريفين

وما اخال اسباب الخلاف بين مصر والحجاز الا ويمكـن التغلب عليها والرجوع فيها الى حكم الله تعالى بغير مغالاة أو تعصب للرأي

ولما علمت أخيرا بأن الحكومة السعودية تود أن تنزل على فتوى علماء المسلمين فى مصر بخصوص المحمل الشريف تفاءلت خيرا بان قنـاة الوهابيين أوشكت ان تلين

فى الطواف

صار يلقننا الحاج طاهر نية الطواف بأن نقول. نويت. أن اطوف. بالبيت العتيق. طواف العمرة. سبعة اشواط. لله تعـالى. بسم الله الله اكبر. ونشير بيدنا الى الحجر الاسود

ثم ابتدأنا فى الطواف بان جعلنا البيت عن يسارنا وكـنا ننقـاد للحاج طاهر كما ينقاد الصبي الى معلمه حتى اتممناها سبعا مع دعوات كان يلقنها انا ايضا وكنا نرمل فى الثلاثة أشواط الاول مع الاضطباع

وكانت يدى فى يد صاحبتى (والمرأة لا ترمل فى الطواف ولا تهرول فى السعى)

وسبب هذا الرمل انه لما جاء أفضل الخلق الى البيت المطهر معتمرا كنص معاهدة صلح الحديبية قال المشركون (انكم سترون اصحاب محمد



وقد انهكتهم حمى يثرب) فلهذا عندما أراد الطواف اخرج ذراعه الشريف الايمن من الرداء ووضع اطرافه على كتفه الايسر (وهذا هو الاضطباع) وفعل أصحابه مثله ثم أمرهم بالرمل (وهو الجري القليل) في الثلاثة أشواط الاول ولم يكمل باقى الاشواط استبقاء لعافيتهم حتى صار المشركون يعجبون بفتوتهم وقوتهم ويقولون لبعضهم انظروا لمن تقولون ان الحمى انهكتهم وهم ينفرون كما ينفر الظباء

والحكمة من اتباعنا لسنة الرمل هذه أن الشرع الشريف يحثنا على أن لا يرى منا اعداؤنا الا القوة والفتوة واننا لا نستكين الى العدو ولا نركن إليه لان العدو لا يصير حبيبا يوما ما وفى الوقت نفسه ينبهنا بان الجنس النشيط شأنه دائما الرجولة والبطولة الممثلة فى هذا الرمل

الحكمة من الطواف

اننا نعتبر هذا البيت المشرف كأنه بيت الملك ونحن نلتمس المدد والبركة من المالك لنواصى الخلق اجمعين فنطوف حوله حتى تفتح مغالق [illegible] ونحظى بالوصول الى حظيرة القدس فيتجلى علينا المنعم الكريم بما هو اهل له من المن والعطاء

وأيضا اننا نطوف به كما تطوف به الملائكة ولنتشبه بالملائكة الذين هم يطوفون بيت العزة فى السماء

وثانيا ان هذا الطواف قد اختص به البيت العتيق [illegible]

فانى الفت نظر اخواننا المسلمين لان يتركوا الطواف [illegible]

الاولياء

ما بعد الطواف

وبعد الطواف صلى كل منا ركعتين سنة الطواف عند مقام ابراهيم الذى ذكر في القرآن الكريم (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى)

ثم تبركنا بحجر اسماعيل ولزمنا الملتزم بجوار باب الكعبة المشرفة و دعونا الله تعالى عنده بما شاء ان ندعوه به

وبجوار الملتزم قطعة منخفضة عن الارض عمقها نحو الثلاثين سنتى متر وعرضها متر ونصف تقريبا وطولها متر ان يقال ان سيدنا ابراهيم عليه السلام كان يعجن فيها ملاط (مونه) البناء ولذلك يسميها الناس (المعجنة)

(واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك و ارنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم) (قرآن كريم)

ماء زمزم

[illegible] من ماء زمزم [illegible] وبعده زمزم التي كان خير المتوكلين يتضلع [illegible] ويستقى من [illegible] عن [illegible] كان يقول (زمزم لما شربت له)

[illegible] زمزم التي يذكرها كل فرد من افراد المسلمين في اليوم بضع مرات [illegible] الآخر [illegible] من ماء زمزم)

[illegible] تاريخها فاننا [illegible]

[illegible] السيدة سارة الخليلية لما

استمر معها العقم اشارت على سيدنا الخليل عليه السلام بان يتزوج من وصيفتها هاجر (المصرية) ولما نفذ رغبتها حملت منه ثم وضعت غلاما سويا هو سيدنا اسماعيل ابو العرب — وهذا هو سبب القول المأثور (اذا فتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لكم بها نسبا وصهرا) فالنسب هي السيدة هاجر والصهر هي السيدة مارية القبطية ام الطفل المحبوب سيدنا ابراهيم ابن سيدنا ومولانا حبيب القلوب

ولما وضعت السيدة هاجر حملها اتقدت نيران الغيرة في قلب السيدة سارة فحتمت على بعلها الكريم ان يبعدها وطفلها فى أحدى الانحاء النائية فامره الله تعالى ان يذهب بها الى مكان البيت هذا وقد اعد لها ركوة فيها ماء ومزودا فيه بعض الزاد

ثم انظر الى البصائر النيرة التي يتصل نورها بالنور اللدني فهي دائما تركن الى التسليم وترتاح اليه وهي دائما ترضى بما يرضيه سبحانه وتعالى حيث تقول له السيدة هاجر عندما تركها وطفلها فى هذه المهمه القفر وولى عنهما (آلله امرك بهذا ؟ قال نعم . قالت اذن لا يضيعنا) فلما نفد كل مامعها من زاد وماء واقترب الطفل الكريم من ابواب الابدية نظر اليهما مولاهما بعين رحمته وانبع لهما من فيض كرمه عين زمزم هذه المباركة

وكان العرب القاطنون على بعد من هذا المكان يرون الطير تحط عليه والطير عادة لا تنزل الا على ماء فارسلوا رائدهم واكتشف الماء فجاء القحطانيون واتفقوا مع السيدة هاجر ان يمكثوا عندها وان يقوموا بكل مايلزمها من انواع الحياة فرضيت بجوارهم ثم ترعرع سيدنا اسماعيل وساد القوم بما اوتي من العلم ومن النبوة وتوارث بنوه ولاية البيت بعدما بناه هو وابوه الكريم

ولما وصل امر ولاية البيت الى جرهم واستخفوا بحرمته ورأى آخر ملوكهم مضاض بن عمرو ان النصيحة لا تنبت فى الارض الحرز طمر غزالتين

من ذهب فى زمزم وردمها و استمرت مطمومة زمن خزاعة وقريش نحو الخمسة قرون

الى ان اراد الله سبحانه وتعالى ان يظهر زمزم تمهيدا لظهور انوار النبوة العظمى أمر الشيخ عبدالمطلب فى المنام بحفرها واراه الهاتف مكانها فازدادت قريش بها عزا ورفعة

فى المسعى

خرجنا من باب الصفا ملبين مهللين مكبرين حتى وصلنا الى اسفل الصفا وهو ابتداء السعي

(إن الصفا والمروه من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم) — قرآن كريم —

انه ليخيل الي انى اشاهد اكمل الخلق وهو يريد ان يسعى فيمنعه الزحام وكان من رحمته ورأفته (كما سماه مولاه بالمؤمنين رؤوف رحيم) ان لا يضرب الناس بين يديه ليفسحوا له الطريق فيمتطي العضباء والناس تتزاحمون للتمتع بمحياه الشريفة حتى خرج الجميع حتى المخدرات من خبائهن ليشاهدوا نور النبوة و الطلعة البهية

ثم تخيلت [illegible] وموقف ابى عبد الرحمن [illegible] الله بن مسعود وهو يقول [illegible] عليه [illegible] من انزل عليه آيات الله؟ الحكيم كان يقف هنا [illegible]

[illegible] ومعي صاحبتي حتى [illegible] المروة الى الصفا [illegible]

واحتسب شوطا آخر وهكذا حتى اتممناها سبعــا وكنـا نهرول بين العلمين الاخضرين في كل شوط منهـا وكان الحاج طاهر يلقننا الدعوات الصالحات اثناء الاشواط كلهـا

ثم قصرت لصاحبتي بأن قصصت لهـا قليلا من شعرهـا ثم قصرت لنفسي ايضا وجلسنا نستريح في انتظار اصحابنا الذين يحلقون عند الحلاق

الحكمة من السعي

جلست افكر ثم افكر مليا في هذه المظاهر الجليلة التي ليس فيها تزويق ولا تنميق تذكرت الحكمة من السعي وهي لاجل ان نقوم بشكر الاله عز وجل على نعمته الكبرى بان من على السيدة هاجر فانقذها وطفلها العظيم من هلاك الظمأ وانبع لها من فيض احسانه ماء زمزم حتى يخرج من نسله رحمة العالمين لينقذ العباد من مهلكات الفساد

وهنا أيضا حكمة جليلة لا تخفي على الفطن اللبيب وهي ان هذه السيدة وهي ضعيفة لتركيبها النسوي لم تبلغ مناها الا بعد سعيها الحثيث بحثا وراء الماء

وكذلك يقول لنا السعي بلسان فصيح انكم لا تبلغـون مناكم ولا تنقـاد لكم امالكم الا بالسعي فاسعوا الى الامام والى الامام دائما حتى تكونوا سادة الامم والسعي هو الجسر الموصل الى النجاح والفلاح

والى هنا تمت اعمال العمرة .هذا والمحرم لايقتـل الصيد ولا يرشد اليه حتى ولو بالاشارة ولا يقرب النسـاء ولا الطيب ولا يحلق شعره او يقصه أو يقلم أظافره وغير ذلك مما هو مذكور في كتب الفقه

والتعب ايضا رحمة

رجعنا الى المنزل وكان يبان لي ان الحال والبيت نيام الا ان التعب

اعيائي فاستسلمت الى الرقاد

انني تعبت وكان موجودا بجوار المسعى الحمالون التكارنة ومعهم سررهم ليحملوا الذين يكلون عن السعي ويوجد ايضا بعض الحمير للركوب ولكنني اردت ان اتممه بنفسي لنحصل على اكبر نصيب في الثواب

وما يكون لي ان اذكر شيأ عن هذا التعب الا انى اعتقد انه رحمة لنا اذ لولا هذه المتاعب لتفتت الكبد وتمزقت المرارة من شدة الفرح بهذا اللقاء العظيم

انظر الى اثار رحمة العزيز الغفار وارجع البصر الى هذه الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى وقدرته حيث انني لو تعرضت الى الهواء في اي جزء من جسمي لمسني السوء ومرضت ولكنني خلعت ملابسي ولبست ثياب الاحرام وهي ليست محكمة على البدن ومع هذا فانني ظللت سليما معافى والحمد لله رب العالمين

اول جمعة والسورة

اصبحنا الجمعة ٢٢ القعدة ١٠ ابريل فتهيأنا للصلاة ولما تشرفنا بالدخول الى الحرم الشريف ثم جـ[illegible] يقرأ سورة الكهف كما هو الحال عندنا وهم يقولون ان السلف الصالح [illegible] قرؤها

كان سيدنا ابو بكر [illegible] يعمل أشياء في خلافته لم يعملها سلفه العظيم ويقول انى اختبر [illegible] في نفسي فاذا وجدت له ارتياحا وانشراحا في صدري اقوم [illegible] وقس على هذا ما يفعله الخلفاء الراشدون ومن بعدهم

الصوت الحسن [illegible] الا [illegible] الثائرة وينعش الاحساس و الشعور

فترتاح اليه النفس وتأنس له ولا سيما اذا جاء هـذا الصوت الحسن مع الحكمة التى تضمنتها آيات الذكر الحكيم فأنه يكون ابلغ اثرا فى الموعظة فما بالنا لا نرتل القرآن ولا نترنم به والناس فى انتظار الصلاة فتخشع قلوبهم لذكر الله تعالى

وكان المسجد ليس به كبير زحام لان الذين يبكرون فى السفر الى الاراضى المقدسة يذهبون أولا الى المدينة المنورة للتشرف بالزيارة ثم يعودون الى الحج اما نحن فقد أردنا ان نختلس الوقت لنحظى بالتمتع فى بيت ربنا عز وجل

المشاهد العظيمة

نعم أردنا أن نروح النفس بهذه المشاهد العظيمة التى خلق بينها هذا المولود السعيد الذى خرج مع ولادته نور ضاءت له قصور بصرى بالشام ومعنى هذا النور ان العالم سيستضىء بتعاليمه القوية حتى يرى الحياة واضحة جلية فيطرح عن كاهله اعباء الاستعباد

وتصدعت لمولده الشريف شرفات إيوان كسرى ومعناه ان قوة بطش هذا المولود الكريم فى الحق ستدمر كل ما اقامه الطغاة وتقضي على هذه المجوسية وعلى عبادة الاشخاص

وقد تنكست الاصنام عند ولادته الميمونة ومعناه ان قد أقترب الوعد الحق لتطهير البيت المشرف من ارجاس هذه الاوثان وجعله كما كان مختصا بعبادة الرحمن

وقفت خاشعا متذكرا عند ما ترعرع هـذا الطفل المحبوب وشيوخ قريش جلوس في دار الندوة بجوار الكعبة المشرفة واذا به يتخطاهم حتى

يجلس على وسادة شيخ الحرم جده شيبة الحمد عبد المطلب بن هاشم كبير قريش وزعيمها فلما ينتهره الشيوخ ليبعدوه عن الوسادة يجهش بالبكاء ولما يأتى جده الوقور يقـول (دعوا ولدى فان نفسه تحدثه بمستقبـل عظيم)

كل هذه الذكرى مرت فى رأسى ثم ذكرت ايضا هذا الحجر الاسود ويحمله شيوخ قريش على رداء الشـاب الامين وهو يناهز العشرين من حياته الشريفة فيتناوله ويضعه بيده الكريمة في مكانه الحالي وذلك عندما شجر الخلاف بينهم عمن يكون له شرف وضعه بالركن وقت ان قامت قريش ببناء البيت المطهر واحتكموا اليه

نعم تذكرت هذا الشاب الغض الحياء النزيه العف عندما بلغ سن الكهولة وشرفه الله تعالى بالرسالة . ذكرت وقفـاته المشهودة وهو يناضل عن مبدئه الكريم القويم وصناديد قريش يواصـلون اليه الاذى ثم يأتي الشقي عقبة بن ابى معيط فيرمى عليه فرث الجذور وهو ساجد فلا يجسر احد على رفعه عنه حتى تأتي السيدة الزهراء وهي لم تزل يافعة بعد فتلقيه عن ابر والد واكرم مخلوق وهي توجه اليهم اقسى عبارات اللوم والتوبيخ

وتذكـرت ايضا يوم ان ضيق الكفار عليه الخنـاق وياخذوا بتلابيبه حتى يأتى صديقه الحميم الكريم ويحجزهم عنه وهـو يقول (اتقتلون رجـلا ان يقول ربي الله)

تذكرت كل هذا فعرفت كيف يكـون الصبر على احتمال المكـاره وعلمت ان هذه من رحمات الله تعالى بناحيث يعلمنا عمليـا عن يد رسوله الامين ان ننهج هذا النهج [illegible] فى الثبـات على المبـدا مهـما كان الاذى فى سبيله

ثم ذكرت بعد هذا عاقبة الصبر الجميل و تذكرت هجرته وعودته محفوفا برعاية مولاه عز وجل حتى فتح عليه أم القرى وتكاد ان تمس جبهته الشريفة رحل راحلته تواضعا لله تعالى وشكرا له على نعمة هذا الفتح المبين ثم طهر الكعبة المشرفة من عبادة الاصنام وهو يشير اليها بقضيب كان فى يده ويقول (قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا)

طهر البيت المشرف واصبحت الانسانية بفضل الله تعالى و ببركته وعنه لا تعود فتتخبط فى ظلمات الوثنية مرة اخري

منازل الحجاج

أتممنا الصلاة وعدنا الى المنزل وكان لزاما علينا ان نتفق على منزل ننزل به مدة مقامنا بالبلد الامين وقد ذهب الحاج محمد سليمان ومعه اخواننا القنائيون للبحث عن غرفة تكون اقل كلفة من الغرفة التى نزلوا بها لان الحاج طاهر فرض عليهم ثلاثة جنيهات اجرة لها مدة اقامتهم بمكة المكرمة يدفعها هم الستة

اما انا فقد فرض علي خمسة جنيهات عن سكننا واورى ان الحظ قد ساعدنا بسبب قلة الحجاج فى هذا العام اما لو كان كالاعوام السالفة لكانت الاجرة تساوى ثلاثة اضعاف هذه القيمة

ولما لم يجد الحاج محمد سليمان احسن من سكننا هذا بعد ما دقق البحث اضطررنا لان نقبل الاجرة وان اقبل ايضا انفرادي بالسكن حرصا على راحة صاحبتى وصيانتها . وعلى هذا فقد سلمته الاجرة وسلمته ايضا اربعة جنيهات رسوم المطوف عنا نحن الاثنان

ومن عادة الحجاج ان يتعرفوا ببعضهم ومتى نزلوا عند مطوف واحد

يكونون كعائلة واحدة فينزل الرجال فى غرفة ونساؤهم فى غرفة أخرى ويوزعون اجرتها عليهم بالتساوى اما الذين ليس معهم نساء فيمكنهم الاقتصاد فى النفقة بحيث انهم يوفرون من اجرة السكن فيسكن بعضهم فى المقاهى أو يسكن فى بيوت أرضية رخيصة ويوفرون ايضا من اجرة الركوب ومن الطعام والشراب

رسالة مطمئنة

لما كان الواجب على كل مسافر ان يطمئن اهله على وصوله سالما لهذا لم اجد بدا من ارسال اشارة برقية الى مصر وقد اجتهدت ان تكون الرسالة مقتضبة جدا حتى لا أتحمل عنها نفقة كبيرة لان اجرة الكلمة الواحدة احد عشر قرشا صاغا مصريا فجعلتها من اربع كلمات فحسب والامر الذى يستلفت النظر فى هذا الخبر ان الحاج طاهر لما سلم الرسالة الى عامل البرق هنأه بالحظ الذى صادفه من نزول صاحب هذه الرسالة عنده لأنه من رجال مصر المعروفين فعاد لي وتترح اعطافه فرحا بهذه الصدفة الجميلة لانهم يفرحون كما يفرح الزارع بنمو زرعته

سلامة الاخراج

[illegible] الاه [illegible] محمد الحمل [illegible] يحمل [illegible] عندما سلم الاخراج مني مع [illegible] احتمل [illegible] ان [illegible] سليمة [illegible] تعب بها الذى [illegible] وقت ان تسلمت الاخراج ثلث يوم وصولها [illegible] لانى [illegible] طويلا

وكانت النهايه ان رفعت أكف الضراعة الي المولى عز وجل ان يشمل من أمن
طريق المسلمين بامانه ورضوانه

الفداء للعمرة

بقى علينا الفداء للعمرة كنص الكتاب الكريم (فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما
استيسر من الهدي) فاتفقنا على ان نذهب يوم الاثنين ٢٥ القعدة ١٣
ابريل الى سوق الماشية جهة الحجون لنشترى الشياه اللازمة للفداء

وقد تركت صاحبتى بالمنزل لتستريح وتأنس بالسيدة صاحبة البيت
لانها كانت تظهر لها من العطف مايجعل الاخرى تثنى ثناء طيبا عليها وعلى
قريباتها اللائى كن يحتفين بها كثيرا وهن جميعا من عائلات عريقة فى مكة المكرمة

وقمنا بعد ان تناولنا طعام الافطار وشربنا الشاي

الشاى فى مكة

والشاي لازمة من ضروريات الحياة فى مكة المكرمة حيث ترى اهلها
رجالا ونساء شيوخا واطفالا كلهم يشربون الشاي ولهم اعتناء خاص فى
طبخه وقل ان تجد منزلا وليس به الموقد وعليه غلايات الشاي وكنت ارتاح جدا
لشربه عندهم حيث لم اجد في حياتى مثل الشاي الذى يسوونه فى الطعم والنكهة

وكذلك الاعراب لهم ولع عظيم بشربه وهو كيف عندهم ايضا فلا يكملون
السير بغير ان يتناولوا منه كمية تسكن اعصابهم

الآثار الشريفة

من الغريب ان الحاج طاهر وزميله الشيخ [illegible] كان يجهران عندنا
كل وقت لقيناه [illegible]

للفسحة فى أنحاء البلد وزيارة الاماكن المقدسة بها مثل المحل الذى ولد فيه سيد الكائنات والمحل الذى ولد فيه سيدنا علي ودار الارقم ومولد السيدة الزهراء وغير ذلك من الآثار الشريفة والسبب فى ذلك ان الحكومة السعودية حظرت على الناس دخول هذه الاماكن بالمرة

اعظم دار في الوجود

سرت مع اخواننا القنائيين والحاج محمد سليمان من طريق الشامية فدرب الحجر وهناك وجدنا بقعة مستوية من الارض قيل انها كانت دار السيدة الكريمة خديجة بنت خويلد وقد هدمتها الحكومة

سبحان الله العظيم . دار السيدة خديجة بنت خويلد تمحى وتصبح حتى ولا أثر بعد عين ؟

هذه الدار التى سطع منها هذا النور الذى اهتدى على ضوئه الخلق فى الوصول الى الحق

هذه الدار التى انبعثت منها رحمات الله الصمدانية على الارض فسكن الناس اليها وتفيأوا ظلال هذه الرحمات

سبحان ربنا المستعان . دار النبي الكريم التى كان يتلقى فيها أوامر السماء والتى كان يهبط اليها الامين جبريل بالوحي والتنزيل تمحى وتسوى بالارض

أقسم اذ لو كانت هذه الدار فى فرنسا أو انكلترا مثلا لبنيت عليها العلالى والقصور وجعلت من أحسن الآثار وأكبر المقتنيات . وهذه فرنسا تجعل الكوخ الذى كان يسكنه أحد شعرائها أثرا خالدا يحج الناس اليه

فان [illegible] تحرمون ان يتمسح الناس بدار حبيب القلوب وهو مخلوق فقد [illegible] آثار مولاه الخالق جل شأنه لانه تعالى شرف

هـذه الدار بأن بعث اليهـا روحه الامين يلقى تعـاليمه لخلقه على قلب حبيبه المأمون

فهذا أعظم بيت فى الوجود ايها السادة . هـذا بيت أشرف الورى وأكرم الخلق على الله . وقد ذكر فى القرآن الكريم مرات عديدات فما بالكم تصمون آذانكم عن صيحات الحق التى يلفتكم بها جميع المؤمنين ان لاتخرجوا عن الاجماع والجماعة

كان أحرى بالمسلمين ان يحتفظوا باكبر أثر فى الوجود ولو وصل صوتى الضعيف الى مسامع العاهل الكريم لقلت له ان تق قلبك وأعد بناء هذا البيت العظيم كما كان فى عهد الرسول الكريم ثم امتلك البقـاع حوله لتشيد عليها بناء عصريا فخما (وان استطعت ان يكون من فضة أو إبريز) فهو احدى القربات الى الله تعالى ودع النـاس وخالقهم يتوصلون الى بابه بتقربهم من حبيبه

درب الحجر

قل لى ياحاج طاهر انه درب الحجر وما يدريك مادرب الحجر هو الزقاق الذى كان يمشى فيه سيد الانبياء في أول نبوته فيسلم عليه الحجر الذى به ويقول له بفصيح العبـارة (السلام عليك يارسول الله) كما كانت باقى الاحجار تقرؤه السلام

كل مايتجلى أمامك هو حجر ومدر ودور وناس تروح وتغدو ولكن شيأ آخر لايدرك الا بالبصائر هو الجلال والـكمال والنور والرحمات التى توزع على الخلائق والملائك على اجنحتها يحملون أبرك التسليمات والتحيات للذين يؤمون هذا المكان المقدس فى رعاية الرحمن

ان بعضهم ينسب الزندقة والزيغ بل والكفر والالحاد لمن يقول بهذا القول . ولست أدرى من أي ناحية يأتى الكفر هل لانه يبعد على القدرة الآلهية ان تنطق الاحجار أو لان المنعم عليه بالسلام لايستاهل هـذا الانعام ؟ فلا حرج على فضل الله ايها السادة (وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء)

الكواكب في المقابر

القينا عصا التسيار الى المعلاة واذا بي أجدها قاعاصفصفا بعد ان كانت عامرة بالمبانى التى تحوى قبور العظماء من هذه الامة

دخلنا وسط هذه المقابر وبعضها معلم بالاحجار وقد وجدنا عجوزا تشير الى قبر تجلس بجواره وتقول (هذا قبر سيدنا عبد الرحمن بن سيدنا ابي بكر الصديق) انعم واكرم . ثم سرنا حتى اقتربنا من سور عند سفح الجبل فوقفنا على تل بجواره وقرأنا ماتيسر من القرآن ووهبناه الى أرواح هؤلاء السعداء

خير قبور المعلاة

وقفت جامدا مبهوتا امام قبر السيدة الجليلة خديجة بنت خويلد التى درج الاسلام من عشها وانتشرت الحكمة والموعظة الحسنة من بينها ولها الفضل العظيم على الاسلام بأن واست النبي الكريم بمالها وعطفها وهي أول من آمنت به وأول من [illegible] الصلاة خلفه وهو يصلى بصلاة جبريل [illegible] علاوة على نبل أصلها و[illegible] فانها كانت راجحة العقل قوية الادراك على جانب عظيم من [illegible] ومن رجاحة عقلها [illegible]

انه لما أخبرها الصادق المصدق بتردد الملك عليه ازاحت الخمار عن وجهها ورأسها فاخبرها السيد العظيم بذهاب الملك ولما أعادته عاد . عند ذلك علمت ان الذى يأتيه هو الوحي الجليل وليس هو الاغماء الذى يعترى المصروعين أو الذين يمسهم طائف من الجن

تالله انها لو دفنت فى البنتيون الذي يدفن فيه الفرنساويون عظماءهم لكان قبرها هو المفرد العلم بين القبور ولما ثمنت نفائس الاحجار لبناء القبر لأمموه بجماجم وعظام كرماءهم وكانت تحج اليه أوروبا من كل صقع وواد

حول تشييد القبور

اذا كان قد صدر من مقام الرسالة العظمى شيء من النهي عن تشييد القبور فيكون هذا النهي عن تشييدها بقصد العبادة بدليل القول المأثور (لا تتخذوا قبرى وثنا يعبد) أما الذى يقتضيه العمران فقد وصل الى علمنا ان امام المتقين قد وضع علامة على قبر أحد أقرباءه الكرماء فهل نظل نعلم قبورنا بالحجارة أو نتمشى مع الوقت ونشيد بنيانها حتى نعرفها؟

ثم وهل من المسلم به ان تتمثل خريطة المستقبل امام من كشفت له حجب الغيب الكوني ويرى الامم تسير أشواطا بعيدة فى الرقي العمراني ثم يأمر أمته ان تقف مكانها جامدة ؟

هذا وتشييد القبور فيه فوائد عظيمة جدا . أنظر الى الافرنج وهم اهل المدنية فى العصر الحاضر تراهم يشيدون بذكرى عظماءهم حتى اقاموا أخيرا (قبر الجندي المجهول) ومأربهم من هذا ان يتولد الحماس والشهامة في نفوس الشعوب

فما يضر لو اقيمت هذه القبور العزيزة علينا وشيدت على احدث طراز

وفوقها القباب التى تناطح السحاب تعلوها الاهلة الذهبية التى تتوهج مع شعاع الشمس حتى يعرف الملأ من المسلمين ان أصحاب هـذه القبور هم الذين باعوا أنفسهم فى الانتصار للحق وفى اعلاء كلمة اليقين التى يتعلم منها الانسان المعنى الحقيقية (للحرية والاخاء والمساواة)

وانهم ثبتوا حتى الموت فى تأييد هذا المبدأ . عند ذلك يتمنى كل من يراها ان يسير على هديهم حتى يلاقى من التكريم من أمته مالاقاه هؤلاء الاخيار بعد مماتهم

تالله ان أهل الارض طراً لمدينون لاصحاب هذه القبور العزيزة لان الرسالة العظمى جاءت لرحمة العالمين وهؤلاء الذين قاموا بتأييد مبدأ الرسالة الاقدس حتى عم الاحسان للناس أجمعين

أما مسألة التمسح التى تهتم له الحكومة القائمة بالامر هناك فيمكننا الاستغناء عنه والاكتفاء بالاقتداء بهؤلاء الاعاظم وفى هذا الاقتداء كثير من الخير والبركة

اسرات تتالم

هذا ومعاول التدمير التى قوضت هذه الابنية العزيزة علينا قضت كذلك على آمال عائلات كانت تمرح فى رغد العيش ونضرة الحياة حيث كنا ندخل على الضريح فنجد خادم القبر وامام المسجد والمؤذن وفراش الجامع ومالىء المياه وسواهم وكل هؤلاء كانوا يرتزقون من عطايا الزوار وكل منهم يعول عائلة هي من جسم الامة ، قد تحول نعيم هـذه العائلات الى شقاء أصبحت لاجله تستصرخ السماء من قسوة أهل الارض

اسلام المتحضرين

يقول الامام الحكيم المرحوم الشيخ محمد عبده (ان الاسلام طفل سينمو) لثقته ان مبادئه الكريمة تتمشى مع الفطر السليمة وتتقبلها البصائر التي لا يطمسها الغرض بقبول حسن وقد تحققت نظرية الاستاذ الامام الآن عندما بحث قوم من المتحضرين فى أصوله القويمة أمثال (هدلى وديننييه) وغيرهما من الامريكيين والاوروبيين ولما راقت فى أنظارهم دخلوا فى دين الله أفواجا

وعلى كل حال انه عندما تباشر بشاشة الايمان القلوب لا يمكن أن يزاحمها عبادة أحجار أو حوائط أو قبور أو غير ذلك مما يحذرون

والحمد لله قد قطع الاسلام من عمره المديد هذه القرون الاربعة عشر وهو ثابت الاركان راسخ البنيان ولم نسمع بأن أحدا من معتنقيه قد تركه الى عقيدة أخرى

وهؤلاء المبشرون بين ظهرانينا ينثرون الذهب باليمين ويلوحون بجاه دولهم بالشمال وهم يكدون عقولهم وألسنتهم بأمل التأثير على ضعفاء المدارك والافهام ومع ذلك فلم يطاوعهم أحد حتى ولا ممن يسيل لعابهم لرؤية الاصفر الرنان لشدة عوزهم وافتقارهم

الحجون والحجاز

عدنا أدراجنا الى الحجون والحجون كلمة يرددها اللسان ولكن ينطوى تحتها تاريخ حافل بعظائم الامور وجلائل الاعمال . فالحجون يذكرها فى شعره عمرو بن الحارث آخر الجرهميين الذين كانوا ولاة البيت

ثم دالت دولتهم بعد أن أبادتهم صروف الدهر . والحجون هو شعب بنى هاشم الذى حوصروا فيه وقت أن قاطعتهم قريش . والحجون هو المكان الذى ارتكزت فيه راية الاسلام عندما دخل سيد المجاهدين الى أم القرى وقد فتحها الله عليه . وكم للحجون من ذكر وكم لها من تاريخ

يذهب العامي الى الحجاز وهو يضع نصب عينيه انه يروح باسم ويغدو باثنين (الحاج فلان) وبعض الناس أيضا يذهبون لاداء الفريضة فحسب ولكنهم لو دققوا البحث فى كنه الحجاز لعرفوا أنه البطارية الكبرى الهائلة التى توزع النور والعرفان على العالم باسره

الى المجزرة ومنها

وأخذنا طريقنا الى سوق الماشية وجلسنا على مشرب للقهوة هنالك (والمقاهى بالحجاز كل اسرتها من نوع (العنجريب) وأكثر المشروب بها الشاي والمياه تعطى بالثمن)

ساوم الحاج طاهر بائع الغنم واشتري لى شاتين واحدة عني والاخرى عن صاحبتي واشترى اخواننا القنائيون لانفسهم وذهبنا بالشياه جميعها الى المجزرة وراء المعلاة ووكلنا احد القصابين فى ذبحها ثم عدنا ووكيل المطوف احضر اللحوم الى البيت لتوزيعها على الفقراء بمعرفته وبالطبع انه كان له ولتوابعه كفل منها . وعند عودتنا مررنا من طريق الغزة ثم نظرت الى قصر الامارة الشريفية وقد كانت تعلوه المهابة وتزينه أبهة الامارة ورونق الملك واذا بي اراه الآن وقد فارقته زهوته وبهجته وسبحان محول الاحوال

والذى استلفت نظرى أثناء الطريق انى رأيت فى سوق البسط والاقمشة والاحبال وما اليها بعض العساكر السعوديين وهم يبيعون ويشترون

بنشاط عظيم حتى أعجبت بهم

الامر بالمعروف

استيقظت في الصباح المبكر كالمعتاد يوميا على صوت الشرطي (الصلاة الصلاة) بصوت مسموع وما أحسن هذا الدعاء الى الخير . ومن عادة الحكومة السعودية ان من يتأخر عن المفروضة في وقتها ترتب عليه العقاب الصارم وهكذا يكون الالتفات من جانب الحاكم العادل الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وليس كما يفعل الافرنج ومن يلف لفهم ان يتركوا للناس الحبل على الغارب بحجة عدم المساس بالحرية الشخصية . نعم انه من حقوق الانسان ان يتمتع بكامل حريته ولكن على شرط انها لا تتعارض مع حرية الغير . كأن يترك رجل يحتسى الخمر ويدمن فيه حتى تضيق ذات يده فينحدر مع عائلته الى هاوية سحيقة من الفقر المدقع وهذه الاسرة هي عضو من جسم الامة واذا اشتكى منه عضو تألمت له سائر الاعضاء فكيف يترك هذا المدمن وقد جنى على نفسه وعلى عياله ؟

وهل من الحكمة ان يترك رجل يتعقب فتاة ليغريها على الفساد فتقع البنت في مزالق الريبة وتلوث شرف عائلة هي أيضا من جسم الامة . هل نترك هذا أيضا للحرية الشخصية ؟

وقد ورد في محكم التنزيل (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وورد من طريق آخر انها تزيل الجراثيم عن الاطارف التي تغسل عند الوضوء خمس مرات في اليوم . فلماذا لا نؤاخذ تارك الصلاة حتى يتقي الناس شره وحتى ان الجراثيم التي علقت به لا تضره ولا تضر غيره ؟

وهل يترك رجل يثرى من عرق جبين الامة ولا يؤدى زكاة ماله حتي يعض الجوع الفقير بنابه فيضطر ان يكون و[illegible]

وما دمنا اننا وصلنا الى الكلام عن الزكاة فانه منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا تلقى رحمة العالمين من السماء ان (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وقد فرضت الزكاة وتقرر ان يكون فى أموال الاغنياء حق معلوم للسائل والمحروم وفى عصرنا هذا يقوم المتحضرون من الفرنجة ويقررون هذا المبدأ الذى هو أحد قواعد الاسلام الخمس وهم يعبرون عنه بالاشتراكية يظهرون بها عطفهم على البائس الفقير وقد عطف عليه الاسلام قبلهم

كل هذه أمور لها قيمتها من الاعتبار والتأمل ومن واجب الحكومات الرشيدة ان تنظر الى الاخلاق بعين العناية لان العلم لايكون نافعا الا اذا أحيط بسياج متين من الادب والاخلاق

وبالجملة انى أقول ولا أخشى فى الحق لومة لائم انما جعلنا بيننا وبين الاخلاص لله تعالى سدا يحيل بيننا وبين التوفيق الذى هو أجل ما ينزل من السماء

وكان السعوديون فى أول حكمهم يمنعون شرب الدخان ومن يجدونه يستعمل التدخين يذهبون به الى مخفر الشرطة و(يفرشونه) أي يضربونه عقابا له ولكنهم أصبحوا الآن يتساهلون بعض الشيء

الاحكام فى الحجاز

تمام الاحكام فى الاقطار الحجازية على موجب الشريعة الغراء وللسادة العلماء النجديين الكلمة العليا فى اصدار هذه الاحكام كما وانه يرجع الى رأيهم أيضا فى تدبير شؤون المملكة . وفى بعض الاحيان يحتاج العلم لان يمتزج بشيء من الحذق والكياسة حتى تسير الاحوال على ضوء المعرفة بنهضة العالم ورقيه . وعلى كل حال فان الاحكام التى تصدر فى الحجاز

الآن هي أحكام عادلة ولا يردع البدو غيرها لأنهم لا يزالون على شيء من صعوبة المراس ولم يهذب نفوسهم العلم الصحيح المقتبس من تعاليم الملة السمحة

والصرامة فى الاحكام التى لا تخرج عن حدود العدالة هي الوسيلة التى يتذرع بها الاداري الحازم للصعود بامة من حضيض الفوضى الى مستوى النظام والفلاح

ولو نظمت هذه الاحكام على قواعد دستورية وقوانين محررة على موجب الكتاب والسنة أيضا للعمل بمقتضاها فى كل العصور حتى لا تسير الاحكام مع أهواء الحكام وميولهم

ويجب ان تسير الاجراءات وتنجز الاحكام بسرعة حتى يتسنى للعدالة ان تؤثر تأثيرها فى ردع المجرمين حفظا لكيان الامة وحرصاً على سلامتها (ولكم فى القصاص حياة ياأولى الالباب)

أما التطويل في الاجراءات والتنفيذ جريا وراء أوروبا وهي قد صارت تقنن القوانين وتشرحها وتغربلها وتنخلها تعمقا في البحث وراء العدالة حتى فلتت من أيديها وتاهت عنها

ادخل أي مصرف من مصارف أوروبا أو امريكا تجد الكاتب يجلس فى مكتبه وأمامه المسدس على المنضدة ليدافع عن نفسه ضد هجمات العصابات المسلحة وما جرأ هؤلاء اللصوص على الاستخفاف بهيبة الحكومة الا مرونة قوانينهم وكثرة التعاريج فى طريق الوصول الى الحق

بلدة دار السلام

ولقد قرأت قبل الحرب شيأ عن بلدة دار السلام حاضرة المستعمرة الالمانية وعن الاحكام فيها وكانت هذه البلدة تكاد ان تنزع عواصم أوروبا

فى النظافة وجمال الترتيب والوضع وكانت الاحكام فيهـا استبدادية وعادلة جدا . فمثلا عند مايمر ملاحظ النظام ويرى قمامة عند باب أي دار فيقرع هذا الباب حتى يجاب ويطلب مقابلة صاحب البيت ويأمره ان يزيل هذه القمامة بنفسه فيذعن للامر وعند ذلك يضطر الخدم ان لايتركوا القمامات بجوار البيوت خوفا على سادتهم من مثل هذه الحال

وكذلك عند مايضبط أي جان متلبسا بالجريمة يحاكم فورا امام مجلس أحكام يحكم بموجب قوانين عادلة وزاجرة وتأخذ العدالة مجراها حتى يحكم فى القضية وينفذ الحكم فى مدة وجيزة حتى وان الجرائم امتنعت بتـاتا من هذه البلاد

أما فى الاحوال المدنية فانه عند مايطالب رجل رجلا بدين عليه ان يذهب الى الضبطية القضائية ويقيد اسمه بدفتر المطالبات فيرسل معه قاضى الامور المدنية أحد رسل المحكمة (المحضر) ويستحضر المدين ويأمر الاثنين باستحضار مستنداتهما وشهودهما فى ساعة يعينهـا ثم يفحص القضية ومتى ثبت الدين ينظر فى حالة المدين المالية فان كان متيسرا يضطره الى السداد فورا وان كان ذا عسرة يقسط عليه الدين على حسب مقدرته على الدفع

ونجاز الاحكام بهذه السرعة مع استيفاء مراسم الحقيقة هو أقرب الى التمشى مع العدالة والعدالة هي العماد القوي والركن الركين الذى تستند اليه الامم فتحيي حياة طيبة هادئة

الهوادج والعربات

من اللازم الضروري أن نتشاور فى أمر انتقالنا الى عرفات وكانت فكرة حسن افندي كتمة أن نتوجه فى الهوادج (الشقادف) من نوع

الخيزران وقد أوعز إلى الشيخ عبد الكريم الخطيب صهره وصاحب المكتبة المعروفة بمكة المكرمة (وهو أخو الشيخ عبد الملك الخطيب زعيم الجالية الحجازية بمصر) بأن يقابلنى فتفضل بمقابلتى وعرفنى بأن الشقادف التى صنعت حديثا ليس فيها شيء من المشقة ولا خوف منها على الراكبين ولكننى كنت أرغب فى زيادة الاعتناء براحة صاحبتى وكنت سمعت أن السيارات تطلع الى عرفات بالاجرة وقد حدث فى العام الماضى أنه عند دخول السيارات إلى عرفة وتراها الجمال وتسمع ازيزها وصوت بوقها كانت تجفل وتبرطع وتقفز فتشتبك الهودج وتلقى الاحمال وتسبب عن هذا موت بعض الحجاج لهذا أصدرت الحكومة أمرها بعدم سير السيارات فى هذا العام

وقد اتجهت أنظار الناس إلى تأجير العربات الصندوق وكانت العربة تسع من أربعة انفار إلى ستة وهي ذات عجلتين وبكل عجلة (ياي) لاجل رفع خشب العربة عن العجلات حتى لا تعمل شيئا من الارتجاج يضايق الراكبين . وقد رأيت أن نؤجر العربة لنا وحدنا حرصا على زيادة راحتنا وكانت أجرتها عشرة جنيهات ذهابا وعودة واشترطت معهم على أن يكون مسيرنا إلى المشاعر على حسب السير فى الحج المبارك وهو

حج خير الناس

صلوات الله وسلامه عليه وكان فى السنة العاشرة من الهجرة الشريفة حيث قام من مكة المكرمة يوم التروية وهو اليوم الثامن من شهر ذى الحجة (وسبب تسمية اليوم الثامن هذا بيوم التروية أن العرب كانوا عندما يقومون إلى الحج يجهز كل منهم سقاءه ويأخذ من الماء ما يكفيه هو ومن معه مدة

عرفة إلى أن يعود منها حيث لم يكن هناك ماء وقتها)

وقد وصل إلى منى فصلى بها العصرين والعشاءين كل صلاة فى وقتها وبات بها وبعد أن أقام صلاة الصبح فى اليوم التاسع قام مع الاشراق من منى حتى وصل إلى نمرة فنزل بها حتى إذا كان بعد الزوال ركب القصواء حتى أتى بطن الوادى من عرنة خطب الناس وهو على راحلته خطبته المشهورة التى ذكر فيها تحريم الدماء والاموال والاعراض ووضع ربا الجاهلية وأول ربا وضعه ربا عمه العباس ووضع دماء الجاهلية وأول دم وضعه دم ابن عمه ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب (وكانت هذيل قتلته) وأوصى بالنساء خيرا وأمر بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله وأشهد الله عز وجل على الناس بتبليغ الرسالة . ولما أتم خطبته أمر بالاذان فصلى الظهر ركعتين أسر فيهما بالقراءة (وكان يومها يوم الجمعة فلم يصلها) ثم أقام فصلى العصر قصرا أيضا جمع تقديم ولما فرغ من صلاته ركب حتى أتى الموقف فوقف عند الصخرات فى أسفل الجبل واستقبل القبلة وكان على بعيره وأخذ فى الدعاء والتضرع والابتهال إلى غروب الشمس وقد أوحى اليه وهو فى موقفه هذا بآخر اية من الكتاب العزيز وهي قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا)

وبعد أن غربت الشمس أفاض من عرفة من طريق المأزمين وكان يلبي ولا يقطع التلبية حتى وصل إلى المزدلفة فتوضأ ثم أمر المؤذن بالاذان ثم أقام فصلى المغرب ثم صلى العشاء الاخيرة بأقامة وبلا أذان واستراح حتى عند طلوع الفجر صلى الصبح فى أول وقتها ثم ركب حتى أتى موقفه من المشعر الحرام فاستقبل القبلة وأخذ فى الدعاء والتضرع ثم سار مع الاسفار وقد التقط له ابن عمه عبد الله بن عباس سبع حصيات من حصى الخذف

حتى أتى جمرة العقبة فوقف فى أسفل الوادى وجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه واستقبل الجمرة وهو على راحلته فرماها بعد طلوع الشمس واحدة بعد واحدة يكبر مع كل حصاة وقد قطع التلبية ثم أقبل على الناس يخطبهم بكلامه البليغ (وهو خطيب الامم وقد أوتي جوامع الكلم صلوات الله وسلامه عليه)

ثم انصرف إلى المنحر بمنى فنحر ثلاثا وستين بدنة بيده الشريفة ثم تنحي وأمر عليا أن ينحر باقى المائة وكان نحر هذه الثلاث وستين بدنة اشارة إلى سني عمره الشريف

ثم استدعى بالحلاق وهو معمر بن عبد الله فحلق له رأسه الشريفة والناس يتهافتون عليه وهو يوزع عليهم الشعر حتى ما كان يصل شيء منه الى الارض . وقد حصلت نكتة لطيفة من سيد الظرفاء إذ يقول للحلاق يامعمر لقد أمكنك رسول الله من شحمة اذنه وفى يدك الموسى . فقال معمر والله يارسول الله ان ذلك لمن نعمة الله علي ومنه . قال أجل

ثم أفاض الى مكة قبل الظهر راكبا فطاف طواف الافاضة وبعض الناس قالوا انه سعى البعض فقال انه لم يسع وصلى الظهر بمكة ثم رجع الى منى من يومه ذلك فبات بها فلما أصبح انتظر زوال الشمس فلما زالت سار الى الجمار ماشيا ورمى الثلاث جمرات ثم عاد باليمن والاقبال وكذلك فعل فى ثلاثة أيام التشريق وقد قال الله تعالى فى كتابه العزيز (واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا أنكم اليه تحشرون)

اتفقوا معى على هذا السير ماعدا المبيت فى منى عند الذهاب فانه غير ميسور لان البهيم الذى يجر العربة لا يستطيع المشى من منى فى الصباح ويستمر الى عرفات فى الحر وقالوا ان سيدنا رحمة العالمين لو سار فى الشمس

كان الغمام يظله ومن جهة اخرى فقد كمله الله تعالى فى الصبر والقوة والقدرة على تحمل المصاعب وغير ذلك من الكمالات التى لايدانيه احد فيها عليه الصلاة والسلام . وقد صمموا ان نستمر سائرين يوم التروية الى ان نصل عرفة ليلا فقبلت

روحانية مكة المكرمة

ومدة اقامتنا بمكة المكرمة كنت لا استغرق فى النوم نوما طويلا عميقا وما هذا إلا من هيبة المكان و الروحانية العظيمة ببلد الله الحرام

ومن الغريب اننى كنت اضل الطريق كثيرا وأنا عائد من الحرم الشريف فكنت أعد هذا من الذهول لحرمة المكان وهيبته لان مكة المكرمة ليست متسعة كثيرا حتى وان الانسان لايهتدى الى طريقه بسهولة

نظرة فى التجارة

حب الاستطلاع الذى هو غريزة فى كل نفس الجأنى الى النزول الى سوق الشامية وشارع المسعى وما يتفرع منها لاتعرف كنه الاحوال التجارية فى هذا البلد الامين فكنت اجد البضائع المعروضة فى السوق و خصوصا المنسوجات . والمنسوجات هي الضرورة الثانية من ضروريات الحياة (وهي الكساء بعد الغذاء) وكانت أغلب المنسوجات من صنع أوروبا عدا بعض الحراير التي تصنع في بكين أو طوكيو أوكلكوتا وسواها من بلاد الشرق وقد توجد أصناف أخرى تصنع في بلاد شرقية أيضا مثل المسبحات والقلائد الخرز أو الكهرمان ونحوها

ويعرض بالسوق أيضا بعض العقاقير التى تنبتها ارض الحجاز كالسنبل والخزامى والحنا ودم الاخين وغير ذلك . ومن الاصناف التى تنبت في ارض اليمن وغيرها من بلاد الشرق كالبن والفلفل والكبابة الصيني وما اليها وقد يجد الانسان معظم طلباته ولا سيما الاصناف التى تؤخذ بصفة هدايا وكنا نشترى الكثير منها

وكل الحوانيت على الطراز الشرقي (بالمصاطب) ومفروشه بالطنافس أو الاكلمة ونحوها وليس عليها لوحات يعرف منها اسماء أصحابها

ولا يدخل على التجار أي تنغيص فى حياتهم التجارية لان ديونهم ليست بسندات قابلة للاندار (البروتستو) كما هو الحال فى مصر بل ان القاعدة عندهم هي العمل على مقتضى حكم الكتاب الكريم (وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة)

ولا أكون مبالغا اذا قلت ان التجار هناك لايزالون على الفطرة القديمة أيام كان المشترى يطلب من التاجر قطعة صابون مثلا فيبيعها له ولما يطلب منه شيأ آخر يرشده الى ان يشترى من جاره لانه (لم يستفتح بعد) تلك الايام الهنيئة التى كانت بعيدة عن ضوضاء هذه التى يسمونها المدنية وخيلها حيث كانت القلوب ترتبط برباط وثيق من الحب والاخلاص . أما الآن فحدث ولا حرج عن المضاربات والمزاحمات والمكايد والمدح والذم وما الى ذلك من أنواع المثالب . وحدث أيضا عن جشع التجار حيث لايسعهم حدود محلاتهم بل يطمعون الى جيرانهم وما يصل اليهم من رزق

فالتجارة هي احدى الموارد الثلاث التى عليها مدار الحركة الاقتصادية فى كل البلاد (وهي الزراعة والتجارة والصناعة) والتجارة مهنة شريفة كان يزاولها كثير من النبيين والصديقين

تجـــارة ابى بكر

ولما أفضت الخـلافة الى سيدنا ابى بكر الصديق أصبح وقد أخـذ سلعته وهي (قطعة من قماش) ليبيعها بالسوق كعادته وفى أثناء الطريق قابله سيدنا عمر فسأله عن وجهته فاجابه الى السوق لاسعى على رزق عيالى فقال له ان لك من مشاغل الخـلافة مايستغرق كل أوقاتك فلا تستطيع العمل فى التجارة ولا بد ان نجعل لك خرجا حتى تتفرغ للنظر فى شؤون المسلمين.

وكان سيدنا ابو بكر الصديق هذا تاجرا صادقا وفى الحديث (ماأملق تاجر صدوق) ومما يحكى عنه

انه نزل الى السوق ومعه قطعة قماش بها عيب ولما عرضها على المشترى سهي عليه ان يظهر له العيب الذى بها وتمت صفقـة البيع ولما تذكر سيدنا ابو بكر ما بالقطعة من العيب امتعض ولم يهدأ له بال حتى عثر على الرجل فى بلد بعيد بعد بحث دام بضعة أيام ولما أظهر للمشترى العيب قال له انى أعجب بامانتك هذه وأود ان أكون أمينا مثلك نخذ هـذه النقود بدل النقود التى أعطيتك اياها لانها كانت زائفة.

وعلى هذا فبركة الامانة جعلته يحصل على الكسب الحـلال فى الدنيا وهو يرجو حسن ثواب الآخرة

النصيحة من الايمان

فالامانة هي رأس مال التاجر ورأس الحكمة مخافة الله تعالى وهـذه التقوى هي جسر العبور على بحر هذه الحياة الخضم المتموج بانواع الرزايا والاحن . والتقوى هي التى تباعد بين التاجر وبين التعامل بالربا ورب

قائل يقول انه لايمكن الاستغناء عن الاستدانة بالربا . ومن رأيي انه يمكن الاستغناء عن هذه الاستدانه" مادام ان التاجر لايخرج عن حده ولايوسع دائرة عمله أكثر من طاقته . والتقوى هي التي تجعل التاجر ان يتحاشى التبذير وان يقتصد في معيشته حتى يحفظ المال الذى في يده وهو أحوج مايكون الى المال

ويجب على التاجر ان يتجنب الغش والحلف وان يكون صادقا أمينا ناصحا يقنع بالربح الذى ليس فيه غبن على المشترى هذا عدا انه يتعلم فن مسك الدفاتر ليعرف دخله من خرجه . والمدارس التى انشئت لتعليم الحساب التجاري هي خير مرشد لمن يريد ان يرقى بتجارته الى مستوى النجاح ويجب أيضا ان يكون نشطا خفيف الحركة هاشا باشا لا يثير غضبه مساومة الاسعار بالبخس فاذا فعل هذا فانني قمين بان يكون الفلاح حليفه

ويجب على التاجر أن يكون تاجرا فحسب ولا يكون محتكرا لان أغلب التجار يذهب بهم طمعهم الاشعبي الى تخزين كمية من البضائع زيادة عن حاجتهم بأمل أن يرتفع السوق عليها أو انه يحتكر الصنف لزيادة الربح ثم تأتى الرياح بعكس ما تشتهيه سفينته التجارية فيكون مآله الى الخراب والدمار وكثير من البيوت التجارية جرها الطمع الى مهاوى الافلاس فاصبحت فى خبر كان

والتاجر أيضا لا يدخل فى سوق المضاربات لانه ما دخل فيها أحد ونجح مطلقا وكم من عزيز ذل وغني افتقر من تماديه فى السير مع هذه المضاربات

الازمة واسبابها

هذا وكان السوق كاسدا نظرا لقلة الحجاج فى موسم هذا العام بسبب تأثير الازمة المالية التى تعتبر أنها من ذيول الحرب الكبرى لان العالم كان فى زمنها كمن يجرى فى شوط بعيد وهو ينهك قواه ولا يبالى بما يعتريه من الضعف لانه يريد أن يصل الى غرضه حتى اذا وضعت الحرب أوزارها حل عليه التعب وجاء رد الفعل ونشأت الازمة من وقوف دولاب الحركة

لان المعامل الصناعية قد تحولت وقت الحرب الى معامل ذخيرة وأصبح الناس لايجدون طلباتهم من الحاجيات فكثر الطلب وقل العرض وحصل الغلاء الشديد فى الاسعار ولما عادت هذه المعامل الى عملها بعد الهدنة وكثر العرض وقل الطلب نزلت الاسعار وهذا النزول أدى بكثير من البيوت التجارية التى كانت تحتكر كثيرا من البضائع الى التدهور وتسبب عن ذلك ارتباك كبير فى الحالة المالية العامة

وأيضا فان أوروبا اثقلت كاهل رعاياها بالضرائب لتسدد الديون التى استدانتها أثناء الحرب ومن هذه الناحية جاء الارتباك المالي أيضا

وأوروبا هي الميزان الحساس الذى يعرف منه الناس درجة الحالة المالية فى العالم

اوروبا والمـــادة

والباحثون الذين حنكتهم التجارب يتوقعون لمدنية أوروبا السقوط من حالق لانها تقام على الماديات الصرفة وليس لها اهتمام فى هذه الحياة الا بالحصول على المادة بصرف النظر عن الواسطة التى تبررها غايتهم . وكل

علماءها لايبحثون الا فى المادة ولا يعبأون بالروحيات مطلقا التى لا بد لكل إنسان ان يسمو بروحه الى الكمال الاخلاقي حتى يتصل بالعالم العلوي . نعم اننا انتفعنا بابحاثهم المادية هذه ولكن كم من عافية تتحول الى انتكاس وكم من نفع يجر الى ارتكاس

الحكيم العربي يقول عن لسان الطير الذى يصنعون من ريشه الاوتار لاقواس السهام . بماذا ادعو عليك ايها الانسان وانت تحرمنى من ريشى ؟ ادعو عليك ان تقتل نفسك بسهمك

وهذا هو المسيو (نوبل) تراه يخترع الديناميت ويعرضه بيمينه لهلاك نوعه ثم هو فى الوقت نفسه يقدم بيساره (جائزة نوبل) لحفظ السلام (فياليتها . . .)

ثم انظر الى المطارات عند اختراعها تجد أول مابدأت به من العمل اكتشاف الحصون وكيف تلقى المدمرات على الآمنين والمستضعفين

وقس على هذا باقى المستحدثات التى يخترعها الانسان لهلاك أخيه الانسان . ومع هذا فان البحث فى هذه الحالة لايحتاج الى منطق أو بيان لاننا نعرف بالبديهة (ان لكل بداية نهاية) وأوروبا قد وصلت الى رأس القنة فاين تصل بعد هذا ؟ بالطبع انها تخلي الطريق لغيرها من المدنيات . وستعلمن نبأه بعد حين

الازمة فى مصر

الاسباب المادية للازمة المالية كثيرة جدا منها ان الحرير النباتي اصبح يزاحم قطننا المصري فى صناعته لان هذا الحرير ذو رونق يروق فى نظر الرائى . ومنها ان الضائقة اضطرت الناس الى استعمال الاقمشة الرخيصة الثمن وجاها

مصنوع من القطن الامريكي وما في رتبته اما قطننا فلا يصنع منه الا الاقمشة العالية الغالية وهذه ناحية من النواحي التي جاء منها الكساد الى القطن والقطن هو عماد ثروة البلد ولو كنا التفتنا الى منتجات أخرى سواه لمرت علينا هذه الازمة كسحابة صيف

ولقد توجد أسباب أخرى كثيرة غير هذه ولكن الكلام فيها يخرج عن موضوع بحثنا هنا اما الذي يعنينا ونعلق عليه كل الاهمية ان هذه الازمة لها علاقة مباشرة بالاخلاق . لان المزارع لو أخذ التقوى شعاره لتقدمت أحواله وما كانت زرعته من ابتداء بذرها لغاية حصادها وهي غارقة في حمأة الربا وياليته الربا فحسب ولكنه الربا الفاحش المقطوع بحرمته حتى من القوانين الوضعية نفسها وكان يمكنه ان يخلص نفسه من أيدي المرابين الذين لا يتركونه الا بعد ان يمتصوا آخر قطرة من دمه وذلك بتمسكه باخلاق الدين القيم فلا ينهمك في الملاذ التي أهدتنا بها قشور هذه المدنية

ولو اقتصد كل القصد في معيشته بان يترك سكنى المدن ويرضى بالاقامة في قرينه وسط حقله ليباشره بنفسه لاستقامت أموره كلها

وبما ان دهماء البلد وسوادها هو الفلاح والفلاحة مهنة مبروكة وشريفة لانها أول عمل عمله الانسان الاول عند ماهبط الى الارض .فيجب علينا ان نحيط هذا الفلاح بكل عنايتنا وان نقدم له كل المساعدات المادية والادبية

العمال العاطلون

من العجب العجاب ان تكون أوروبا هي القابضة على صولجان المال في العالم ثم نسمع بان عندها شيأ اسمه (أزمة العمال العاطلين) وقد نشأت هذه الازمة من جملة أسباب وأكثرها أهمية هو وجود كارثة

أخلاقية كبرى فى أوروبا نجم عنها هذا العطل للعمال وذلك أنهم يشغلون البنات فى المناصب ويتركون البنين عاطلين. فالتاجر يريد أن يغرى زبائنه على التردد الى متجره باستخدام الجميلات من الفتيات وهذا ضعف أخلاقي تنفر منه الطباع السليمة وتأباه النفوس الزكية والمصارف كذلك تستخدم الفتيات .والمصالح الحكومية تعين الآنسات أيضا حتى تتمتع أنظار الرؤساء بهؤلاء المرؤوسات الحسان

تالله انهم لو كبحوا جماح أنفسهم ومنعوها أن تسترسل مع شهواتها! واستخدموا الرجال وحتموا عليهم الزواج من هؤلاء الفتيات لما وجدت عاطلا يتلسكع فى الطرقات

وانك لتعجب من أن بعض الشبان عندنا يغرهم برق هذه المدنية الخلاب فيقترحون استخدام الفتيات فى الوظائف حتى يتساوين بالشبان. شيء عجيب جدا : ان هذا الكاتب يود أن يجلس على (الترابيزة) ساعات عمله القليلة ولا يحرم نفسه من مغازلة زميلته (انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور. وأنى اسائل هؤلاء المقلدين هل ألحقتم كل الشبان بالوظائف حتى احتجتم إلى استخدام الفتيات ؟ وأحسب أن الذى يجيب على هذا السؤال هي كشوفات طالبات الاستخدام فانه عندما يعلن عن طلب شبان للالتحاق بالوظائف تجد الالوف يتقدمون اليها حتى ولو كانت حقيرة

صحيح أننا نحتاج إلى معلمات لتعليم البنات حتى لا يختلطن بالرجال المعلمين . ونحتاج إلى طبيبات لعلاج السيدات . ونحتاج إلى ممرضات لتمريض المريضات . وأخيرا نحتاج إلى تعليم البنت لان تدبر منزله البيت وتدبر شؤون العائلة ، هذا هو الذى خلقت له

شيء عن المرأة

من الغريب جدا أنك تجد الكثير من الناس يلتهبون غيرة ويتوقدون حمية لتحرير المرأة ولست أدرى ولا المنجم يدرى فى أي وقت استعبدت هذه المرأة . وهذا هو الاسلام يأمرنا بالاحسان اليها ومعاملتها بالرفق واللين . وهذا البدوي القح يعبر عن حسن معاشرة المرأة بما يقع تحت نظره إذ يقول (المرأة كالفرس الكريم تكرمها وتمسك زمامها)

ولكن هذه السفسطة هي لان القانون السماوي يأمرنا بأن نكون قوامين على النساء وهم لضعف فى نفوسهم وخور فى عزيمتهم يتنحون عن هذه القوامة والقائد الذى يتخلى عن القيادة وسط الميدان لا بد أن يكون جبانا والف جبان

وما دام ان الكلام قد وصل بنا الى ذكر المرأة فانى أظهر اعجابى بالسيدة المصرية لما قامت به من المساعدة فى كل أدوار قضيتنا الوطنية ونهضتنا القومية ولا أجد ما اطريها به أبلغ من كلام الزعيم الخالد الاثر وهو يمتدحها بخطبته البليغة فى حفلتنا التى احتفينا به فيها إذ يقول

ان للسيدات دخلا كبيرا فى نهضة الاقوام عموما وان لهن فى نهضة مصر خصوصا ذلك الاثر الجميل حيث اظهرن فى النهضة الحاضرة من الشجاعة والاقدام ما أعجب به كل واحد منا بل ما أعجب به كل ناظر الينا وقد وقفن موقفا كان فخارا لنا وكتبن باعمالهن المجيدة صفحة من أحسن الصفحات فى تاريخ النهضة المصرية

وانى مع هذا الثناء والاطراء لا أود الا أن تكون كالزهر فى كمه وكاللؤلؤ المكنون فى صدفه كما يود لها الاسلام وهي ريحانة البيوت أن

لا يتعرض الريحان الى لوافح النظرات فيعتريه الذبول

فالسيدة وظيفتها كبيرة جدا وهي تربية السلالة الحاضرة حتى تنشأ وهي أعضاء نافعة فى جسم أمة رشيدة فأرجوكم أيها السادة أن لا تشغلوها عن وظيفتها هذه الهامة فأنكم تريدون أن تستدرجوها من خدرها الحاجة فى نفس يعقوب

جبل ابى قبيس

صعدت الى جبل ابى قبيس هذا الجبل الامين الذى حفظ فيه الحجر الاسود وديعة حتى ينتهى الطوفان ولما أمر الخليل عليه السلام ببناء البيت المطهر تسلم الوديعة من الجبل ووضع الحجر مكانه فى الركن ليكون علامة لابتداء الطواف

هذا ابو قبيس الذى انشق فيه القمر لسيد البشر وهـذا ابو قبيس الذى تشرف بصعود سيد الانبياء عليه ليبشر وينذر

رقيت الى أبي قبيس المبـارك وكانت توجد منازل كثيرة فى طريق الصعود اليه وهناك فى ذروته موضع انشقـاق القمر وموضع وقوف أبي الانبياء وغير ذلك من الآثار الخالدة والمشاهد العظيمة التى تأخذ بالالباب ذكراها المجيدة

وقد يجلس الانسان على حافة الذروة فيشاهد البيت المشرف والناس يطوفون حوله ويرى بطاح مكة العزيزة وجبالها وشعابها فتتمثل له الذكرى بخطرات الحبيب الكريم

ثلاث وخمسون عاما من حياة الانسان الكامل الشريفة وهو يجوس خلال هذه الديار ويؤم طرقاتها وأوديتها . انه اشرف عظيم خفاف الحرم

شرف المكان وعزه حتى أقسم الله تعالى بهـذا التشريف حيث يقول عز شأنه فى كتابه المكنون (لا أقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد)

كنت فيما مضى أصعد الى أبي قبيس فلا أجد بذروته موضعا لقدم من شدة الزحام وكانت أصوات الابتهالات تكاد ان تبلغ عنان السماء من الدعوات الحارة التى يلقيها الحجاج كما يلقنهم إياها المطوفون ولكننى لم أجد الآن الا القليل من الناس وبعض صبيان المطوفين يتسللون خفية مع حجاجهم وكان فوق الجبل قوم يتعيشون من عطايا الزوار وقد انقطع عنهم هـذا المدد الآن

هبطت من الجبل المبارك وفى سفحه جبل الصفا فوقفت عنده انظر الى الساعين واستمع الى تسبيحهم وتمجيدهم فتخشع نفسى وتستكين جوارحي لان هذا السعي لله وفى الله وكان الناس أصنافا شتى منهم السوداني والهندي واليمني والشامي والجاوي والنجدي والبعض كان يسعى حثيثا أي أنه يجرى طول مسافة السعي وسبحان من خالق الخلق وله فيهم شؤون

اللحوم والخضر والفاكهة

الاغنام فى الحجاز تأكل أعشابا لا تأكله أغنامنا فتصير مادة اللحم مغايرة للنوع الذى نأكله عندنا ولمناسبة هذا التغيير فى المرعى يحسن بنا أن نأكل منه بغير افراط واللحم على كل حال يجهد المعدة فى هضمه لهـذا تجد أكثر الناس ينصحون بالاقلال منه

وقد تجد الخضراوات متوفرة مثل الملوخية والبامية والقرع والبطاطس والطماطم وغير ذلك وهي تجلب من الطائف ومن وادي فاطمة ومن سويلة

[illegible] زميله [illegible]

لنا حاجتنا منها

وكذلك تجد أنواع الفواكهمتوفرة أيضا فكنا نأكل المشمش والبطيخ والبرتقال والتفاح والخيار والقثاء والقاوون وغيرذلك. والبقول أيضامتوفرة والسمن كذلك واللبن كثير جدا يسرح به الباعون وينادون عليه فى كل مكان

بيد أن الاسعار غالية من غيرشك لانه لا بدأن يعمل حساب لمصاريف النقل ويعمل حساب أيضا لقاعدة العرض والطلب لان الطلب فى موسم الحج يكون كثيرا فيرتفع السعر بنسبته

وفى مكة المكرمة قاعدة يتبعونها دائما وهي أنه ما دام أمامهم حاج فهو فى نظرهم كالبقرة الحلوب ولا بدأن تدر لبناسائغا لهم فهم يطلبون من الحاج ثمنا للحاجات أكثر من أهل البلد . وكل انسان هناك (من الطبقة الواطئة طبعا) يمد يده الى الحاج يستندى كفه فكل سودانية أوتكروني واضرابهما لا بد أن يسألوه مالا وخصوصا فى الحرم الشريف فانك قل ان تجلس ولا يمر عليك الكثير من هؤلاء

ولا أحد ما ألوم به عليهم فى هذا لانه موسمهم

الجمعة الثانية والشرطه

جاءت الجمعة الثانية وهي توافق ٢٩ القعدة و ١٧ ابريل فذهبت مع صاحبى الى الحرم الشريف لاداء فريضتها وقد رأيت بعض الزوار قد عادوا من المدينه المنورة فجلست مع بعض معارفى أما صاحبتى فانها لابد أن تجلس فى المكان المعد للنساء وكنا لا نسمع الخطبه لبعد المسافة وكان المبلغون كثيرين فكنا نقوم الى الصلاة بتبليغهم

والشرطة السعودية لها مكان خصيص بها فى الحرم الشريف وكنت أرى الشرطي منها يقف فى تمام اليقظة خوف اندساس النشالين بين المصلين أو الطائفين وخوف اعتداء بعض الناس على بعض ونجد أيضاً أحد العساكر واقفا بجوار الركن ليمنع ازدحام الناس على الحجر الاسود والحق يجب أن أقوله أن الحكومة ساهرة على حفظ النظام ومنع الجرائم حتى لقد عرفنا أنها فى العام الماضى أبعدت بعض المصريين لاشتباهها فيهم وقد بحثت مع الحكومة المصرية فى أمرهم حتى اتضح أنهم من أرباب السوابق فاراحت الناس من كيدهم ورحلتهم الى ديارهم

على جبل عمر

كان منزلنا بالشبيكة مقابلا لسكة تنفذ على جبل عمر فقمنا بعد العصر وسرنا من هذا الطريق وصعدنا مع الدور المقامة فى هذا الجبل بالتدريج مع مطلعه ولما بلغنا قمته اردنا ان ننزل من الجهة الاخرى فسرنا حتى وجدنا أنفسنا فى طريق منقطع بين جبلين فحصل عندى وحشة لاننى تذكرت الفوضى الماضية ولكننى تجلدت وقد افضى بنا المسير الى محلة العبيد التكارنة فاوجست خيفة من اعتدائهم ولكن هذا الوهم قد تبدد عند ماخرجنا منها الى شارع المسفلة ومشينا قليلا وجدنا مخفر الشرطة قائما بحفظ الامن بحيث انه بمجرد أي نداء أو استغاثة بسيطة يسمع المخفر الصوت وهذه الاخرى عددناها من حسنات استتباب الأمن فى البلاد

وايضا الحجر الاسود

تألمت صاحبتي لعدم استطاعتها استلام الحجر الاسود بالنسبة لشدة

الزحام فى الاوقات التى كنا نتشرف فيها بالطواف وكذلك كنت اتمنى انا الآخر ان أكون سعيد الحظ لو وضعت فمي على الحجر الاسود مكان الفم الطاهر الشريف . هذا الفم الذى تفجرت منه ينابيع الحكمة وانبعثت منه أسرار علم الله المتين لما كان وما يكون فى هذا العالم الكوني العظيم . ولما كانت المنى لاتنال بالتمنى والقعود بل تنال بالاقدام والعمل ولا بد لمن يجنى الشهد من الصبر على لسعات نحله .فقررنا ان ننفض غبار الكسل ونهجر مضاجعنا فقمنا من المنزل عند ما انتصفت الساعة الثانية من صباح اليوم التالى ولما تشرفنا بزيارة الحرم الشريف وجدنا الطائفين قليلين جدا فتمكنا من استلام الحجر وتقبيله وهذا من فضل الله واحسانه. والحمد لله رب العالمين

الزمن العربى والافرنكى

انني حددت هنا زمن الساعة بالحساب الافرنكي لاقربه الى ذهن القارىء ولكن أهل الحجاز يستعملون الساعات بالزمن العربي (من الغروب الى الغروب وقد أدرت ساعتى مثلهم ولا يضيرنا لو استعملنا الساعة بالحساب الافرنكي لان زمنها (من الزوال الى الزوال) وكذلك الزمن فى الشهور فان العربية منها تكون على حساب منازل القمر والافرنكية على حساب تنقل الشمس فى البروج (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا) ـ قرآن كريم ـ

الجو والمياه فى مكة

اننا فى فصل الربيع والطقس عندنا فى مصر يكون عادة معتدلا بخلاف

الجو فى مكة المكرمة فان الحرارة تلازمه وقت وجود الشمس فكنا نحتاج الى المياه كثيرا

والمياه الآن فى مكة المكرمة متوفرة جدا لان مجارى الماء من عين زبيدة جارى العمل فى اصلاحها أولا بأول ويأتى الاعراب من ناحية الطائف ومنى وعرفة وغيرها فيشتغلون فى حرفة السقاية فى زمن الموسم فيحمل الرجل منهم الصفيحة أو الصفيحتين ليبيعها الى الحجاج وكنا نشترى الواحدة بهللتين أي بنصف قرش سعودي أما أهل مكة فيشترونها بهللة واحدة أو يأخذون من رواتبهم من السقايين

وكان جفاف الجو يساعد كثيرا على تبريد المياه فعند ماءملأ القلة الفخار التى يسمونها (الشربة) وعند ماتمكث فى الهواء كنا نشرب منها ماء عذبا فراتا يحسب الانسان انه مبرد بالثلج

هذا ويوجد مصنع للثلج فى مكة المكرمة حيث تجد انواع الشربات والغازوزة بالثلج وتجد أيضا المياه المثلجة لو اردت

العملة فى مكة

هذا والريال السعودي فى الحجاز يساوى اثنين وعشرين قرشا سعوديا وقد يوجد له نصف ريال وربع ريال وهي مسكوكة من الفضة. اما القرش السعودي فانه مسكوك من النيكل وله نصف قرش وربع قرش وهذا الربع هو الذى يسمونه (هللة) وهذه التسمية من زمن العملة القديمة أيام حكم الاتراك والهاشميين

أما العملة المصرية فان التعامل بها فى مكة أسهل من كل عملة أخرى حتى ومن عملة البلاد نفسها السعودية) لانه حسبها اعتبارية فيسهل التعامل

بها وكل التجار يجتهدون أن يبيعوا بها . فالورقة النقد المصري تساوى خمسة ريالات مصرية والريال المصري يساوى عشرين قرشا مصريا وستةوأربعين قرشا سعوديا . أما الجنيه الانجليزي فانه يصرف بمائة قرش مصري ولكنه في الدوائر الرسمية لايصرف الا بسبعة وتسعين قرشا ونصف قرش

والصيارف فى مكة وسواها من بلاد الحجاز كثيرون فى زمن الحج وهم يتخذونها حرفه (وهم بالطبع مسلمون) لانه لا يقيم في الحجاز غير المسلمين الا فى ثغر جدة حيث الضرورة تقضى بوجود قناصل الدول ومن يعاونهم

محلة جيـــاد

هي أكثر بقاع البلد عمرانا لانها آهلة بالكبراء من أهل مكة المكرمة وبها دار الحكومة ومصنع الكسوة الشريفـة والمستشفى الحجازي ومحل الكهرباء وهو المولد الكهربائى لانوار الحرم الشريف

وقريبا منها مصلحة البريدوهي كائنة بجوار احد أبواب الحرم المسمى (باب ابراهيم) وكان البريد يصلنـا عن يد المطوف فى الاوقات التى تصل فيها البواخر التى تحمل البريد

وكانت الرسائل التى ترد الي من أهلى تبـاعا خير شاهد على حسن انتظام مصلحة البريد بالحجاز

التكية المصرية

وهناك فى هذه الجهة أيضا (التكية المصرية) وكم كنت أغتبط وأفرح عند ما أمر عليها وأرى الفقراء جلوسا فى انتظار الطعـام الذى يوزع عليهم

منها . وكانت الدنيا لاتسعني من شدة السرور عند ماأرى بلادى العزيزة لها اليد الطولى فى أعمال البر والعطف على أبناء هذا البلد المقدس لهذا كانت عقيدتى دائما بان مصر وهي كنانة الله فى أرضه لاتضام ابدا وان من أرادها بسوء قصمه الله

انه لشيء يثلج الصدر ويبهج النفس ولكن يجيش فى صدرى خاطر يضطرنى الاخلاص لبلادى وللانسانية أيضا لان أبينه هنا وعسى ان يجد صدرا رحبا ممن لهم الهيمنة على ادارة هذه التكية

التكية كلمة أعجمية تعريبها (دار العجزة) وانى رأيت كثيرا ممن يوزع عليهم الطعام غير عاجز بالمرة بل تبدو على ملامحه العافية والقوة واظن انه ليس من الانصاف ان نعود هؤلاء الاقوياء على الكسل والقعود حيث يأتيهم رزقهم رغدا بغير كد أو تعب

نعم انى ألتمس بعض العذر لمن لهم الاشراف على ادارة هذه الدار لانهم مقيدون بما يمليه عليهم الواقف فى حجة وقفيته بان الذى يوزع من الخبز والطعام يكون بالمقدار الذى يعينه . ولكن لما كان غرض الواقفين من هذه الارصادات اجمالا هو فعل الخير والبر بصرف النظر عن التفصيلات التى أوضحوها فنحن نساعدهم أيضا ونوجه ماأرصدوه الى الخير المحض (وكل وقت يعطى حكمه)

اننا نوزع الطعام على العجزة فقط وعلى من أخنى عليه الدهر من العائلات والذى يفيض بعد هذا ننشيء به دارا كبيرة للاستشفاء لعلاج المرضى والزمنى داخلا وخارجا

هذا وكانت توزع أيضا مرتبات وهدايا وعطايا لعائلات كثيرة من الحجازيين والبدو بقصد البر والاحسان ولكنها فى الحقيقة ليست من البر

ولا من الاحسان بل انهـا كانت تعطى فى السابق ثمنا لكف أذى هـذه العائلات عن الحجيج وعن المحمل الشريف وأصبحت عادة استمر العمل بها الى الآن

فاذا رأى المشرفون على كل هذه الارصادات ان ينشئوا معهدا للعلم بمكة المكرمة والمدينة المنورة على طراز ازهرنا الشريف لتهذيب النفوس المتعطشة الى العلم النافع وهذا التهذيب مما يساعد على انتشار الامن والامان والمثل يقول (كل مدرسة تفلق سجنا)

انه لو حصل ذلك لكانت ترتاح أرواح الواقفين فى قبورهم . وهـذا ماعن لى أبديته ورائدى طلب الاصلاح وحب الخير

اول دار للعبادة

كانت لاتزال فى نفسى رغبة شديدة لزيارة دار الارقم بن ابى الارقم المعروفة الآن بدار (الخيزران) وقد تنبه كما قلنا على المطوفين بان لايلفتوا أنظار الحجاج لمثل هذه الاماكن فسألت رجلا من البـدالين يجلس امام حانوته فاشار الى زقاق قريب من الصفا فدخلته ووجدت فى انتهاءه الى اليسار دارا مغلقة ومكتوب على عتبة بابها من الاعـلا كلمات مذهبة وكان رجال من أهل مكة جلوسا امام دورهم بالزقاق وقد تأثرت حتى اغرورقت عيناي بالدموع أسفا على غلق هذه الدار وهي أول مكان عبد الله تعـالى فيه على دين الاسلام الحنيف

فان كان منع الناس عنها لتبركهم بمن كانت البركة مجسمة فى ذاته الشريفة فلنتمسح باعتابها ولنمرغ جبـاهنا على أرضها تبركا بذات الله عز وجل الذى عبد فى هذه الدار

كما وان التاريخ يكتب لها صفحات من تبر مسبوك لانه خرج منها سيدنا حمزة بن عبد المطلب على رأس صف من سادتنا الصحابة وسيدنا عمر بن الخطاب على رأس صف آخر وخرجت نواة الاسلام الممثلة فى أنوار هؤلاء الاقمار أقمار الهدى والرشاد وهي تدرج الى الحرم الشريف . خرج هؤلاء الكواكب المتألقة وبينهم السيد الكامل صلوات الله وسلامه عليه وكانوا لايتجاوزون الاربعين عدا الى ان وصلوا الى البيت المطهر ليعبدوا الله جهرة كما عبدوه خفية وهذا شأن عظيم يجب ان نحفظه لهذه الدار

القوم عندنا فى مصر يعتنون جد الاعتناء بحفظ آثار الملوك والامراء وكان أولى بنا ان نحتفظ بالآثار التى درج الاسلام منها حتى ترعرع واشتد ساعده بفضل الله تعالى وبفضل مثابرة هؤلاء السادة على الجهاد فى اعلاء شأنه حتى أصبحنا نتنعم بنعمة الاسلام التى لاتعادلها نعمة أخرى فى هذا الوجود

وايضا فى الطواف

لايخلو يوم من أيامنا السعيدة التى تشرفنا فيها بالاقامة فى هذا البلد الامين الا ونحن نطوف بالبيت المطهر أو نصلى فيه أو نشاهد الكعبة المشرفة حيث قد ورد ان الله سبحانه وتعالى ينزل فى كل يوم وليلة مائة وعشرين رحمة على هذا البيت المطهر منها ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين

وما أحسن منظر الطائفين وهم فى المطاف يموجون كالبحر الزاخر فمرة ترى نفسك بجوار بناء البيت لصيقا به ومرة تقذفك الامواج خارج المطاف وترى الوقف [illegible] وهم يتدافعون ويتقاطرون ويختنقون و [illegible] وتارة كون

وما أحسن هذا المنظر المفرح حين ترى الديموقراطية تتمثل باكمل معانيها فى هذا الطواف فالناس كلهم سواسية يطوفون فى مقام واحد لافرق بين الامير والحقير والرفيع والوضيع والعبد والحر الكل سواء فى المطاف لايزاحم احد احدا ولا يعتدى احد على احد

جبلة بن الايهم

انى وأيم الله ان لم أكن مسلما لوددت ان أكون مسلما لان روح الاسلام العالية وتعاليمه القويمة تمتزج مع الفطرة فترتاح اليها النفس ويهدأ لها الحس

وقفت أتأمل فى هذه الديموقراطية الحقة والمساواة العادلة فراح بالى إلى حكاية جبلة بن الايهم الغسانى أحد ملوك الدولة الغسانية بغوطة الشام وقد أسلم وذهب إلى الحج ولما كان بالمطاف داس على ردائه أحد الاعراب فتابس بالغضب وصفع الاعرابي على وجهه فالتجأ هذا الى أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب ليشكو له هذا الاعتداء وقد أبت عليه نخوته أن يقبل الدية مطلقا بل ظل متمسكا بطلبه فى القصاص لهذا صمم سيدنا عمر على أن يقتص من جبلة ولكن هذا كبر لديه أن يتساوى ملك مع سوقة فى الحقوق فهرب إلى هرقل ملك اليونان بالقسطنطينية وتنصر هنالك .

فليتأمل عشاق المدنية الحديثة فى مبادىء دينهم السهل الحنيف الذى هجروه فجهلوه والانسان عدو ما يجهله

الرقيق والاسلام

[illegible] حافظت [illegible] [illegible] تقاليد [illegible] في خدمة الحرم

الشريف واستمر الاغوات على خدمتهم له وسيأتى يوم ينقرض فيه هؤلاء الخصي لان النخاسة أصبحت ممقوتة فى نظر العالم باجمعه وقد انتشرت فكرة الغاء الرقيق فى كل مكان

ومن الغريب أنك تجد الافرنج ونفوسهم تذهب حسرات على الرقيق وفى الوقت نفسه تراهم يوقعون شعوبا وأمما فى حبائل اسرهم واسترقاقهم

ثم هم يدعون بأنهم أصحاب فكرة الغاء الرقيق وقد سبقهم الاسلام الى هذا الفضل لانه يحث الناس على التزوج من الاماء والحكمة من هذا أن يقل الرق تدريجا ولكن المسلمين لم يفطنوا إلى هذا الاصلاح العظيم وظلوا متمسكين بالتسري ارضاء لنفوسهم

التضلع من زمزم ايضا

كانت تحلو لنا اليقظة وقت التهجد فقمنا قبل فجر يوم الاثنين ٢ الحجة ٢٠ ابريل وتشرفنا بالدخول إلى الحرم الشريف حتى نتمكن من التضلع من ماء زمزم المبارك فى وقت ليس فيه زحام فنضح لنا الزمزمي بالدلو شربنا وفرحنا وسررنا ولقد تذكرت يوم أن وقف الانسان الكامل وطلب أن يملأوا له الدلو ليتضلع منها وقال (لولا أنى أخشى تزاحم الناس على السقاية لملأت بنفسى) ودار فى ذهنى أيضا ذكرى أيام السقاية لحد أن وصلت الى سيدنا العباس بن عبد المطلب وكان لها شأن عظيم فى الجاهلية وصدر الاسلام لانهم كانوا يملأون الاحواض من هذا الماء المبارك ويخلطونه بالتمر والزبيب ويقدمونه شرابا سائغا للحجاج وكانت قريش تعمل هذا افتخارا حيث كان عندها السقاية هذه وعندها أيضا الرفادة وهي

ضيافة الحجيج والحجابة وهي مفتاح الكعبة المشرفة وغير ذلك من التشريفات.
أما الشرف الاعظم هو ظهور النبوة العالية منها زادها الله شرفا وعزا!

ويوجد ناس بالحرم الشريف يتخذ الواحد منهم جانبا من أي مكان به ويملأ بعض القلل الفخار ويبقيها عنده حتى تبرد ويعرف هذا الرجل باسم الزمزمي ويستخدم عمالا من تحت يده يسقون الناس. وكل مطوف يلحق حجاجه (الموسرين) عند واحد من هؤلاء الزمزميين ليجلسوا عنده ويأخذوا أيضا كفايتهم من الماء المبارك

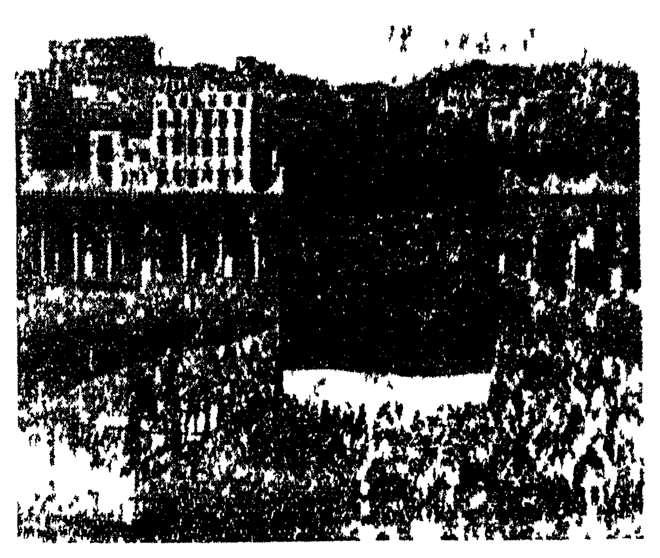
وكان الزمزمي الخاص بنا يبعث الينا الماء المبرد (فى القلل) من زمزم المبارك ثم يحضر الصبي فى اليوم التالى. ويأخذ الفارغ ويحضر بدله الملآن.
وكان يبعث الينا بالصفايح المملوءة من هذا الماء أيضا للاستحمام به مرات عديدة كذلك وقد بعثنا اليه بالقماش الذي استحضرناه للكفن لاجل أن يباركه بالغسل من ماء زمزم المبارك

هذا وبعض الناس يملاون بعض العاب الصفيح من ماء زمزم المبارك وتلحم هذه الصفايح بالقصدير ويأخذونها الى بلادهم للتبرك ولكن أغلب هذا الماء يعتريه الفساد فيتغير طعمه

احرام الكعبة المشرفة

وفى هذا اليوم أحرمت الكعبة المشرفة بان رفعت الكسوة الشريفة من الارض الى الاعلا نحو المترين ووضع مكانها قماشا أبيض
وكنت استحضرت معى طيبا لاضمخ به الكعبة المطهرة
وكنت أسمع من بعض النسوة المصريات المترددات على الحج وهي ترى الكعبة محرمة فتقول (عقبى لكل سنة ياأختى) فكنت لاأملك نفسى

من الضحك من شدة السرور لهذا الكلام الفكه الصادر عن سلامة نية وسذاجة ولكن المقام يقتضى التأدب لانه من اللازم ان يتأدب الطائف فى الطواف كما يتأدب المصلى فى الصلاة



الكعبة المشرفه فى الاحرام

اما لو اخذنا كلام هذا [illegible] على ظاهره لعددناه بساطة ولا نذهب الى أكثر من هذا [illegible] ولكن عند ما نوجهه الى حقيقته نجد انه دعاء المسلمين ان [illegible] الكعبة فى [illegible] الاسلام [illegible] مرفوع الرأس رغما أنف حسده [illegible] ان [illegible] فى كل عام

[illegible] ان يحجوا حتى يحجوا [illegible] لاسلام الخامس [illegible] كنهه حتى [illegible] الآن الاسلام هو الدين [illegible] (ان الدين عند

الله الاسلام) واذا لاقدر الله وانقرض الاسلام فلا بقاء للنوع الانساني على ظهر الارض لقوله تعالى (وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون)

الاخلاق فى مكة

لم تزل نفسى تواقة الى التبرك ببئر ذى طوى فذهبنا عند الاصيل الى جهة جرول وهناك تبركنا بماء هذه البئر وهو فيه بعض الملوحة ثم استأجرنا عربة صندوق من هناك سارت بنا من الخلاء من ناحية كداء إلى أن وصلنا المجزرة فالمعلاة فأوقفنا العربة قليلا لنستدر الرحمات على هذا الجدث الطاهر الذى ضم رفات السيدة الجليلة خديجة بنت خويلد وقد تقدم الينا ناس من البدو يحترفون الشحاذة وبينهم رجل عجوز لطلب الصدقة ولما سبق وأن زعت عليهم منها قبل هذه المرة فاعتذرت بعدم وجود (فكة) معى فقال العجوز إذا أردت أن تفك ريالا أو نصفه أفكه لك فتسرعت ورددت عليه أنه ما دام عندك هذا المقدار من المال فلماذا تتسول ؟ فانهال علي دعاء وشتما وتقريعا وكان جوابى عليه السكوت التام كما أمرنا الله تعالى فى قوله الحكيم (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الالباب)

ان هذا الرجل هو من حثالة البدو وما ينبغى أن اتخذ وقاحته هذه مقياسا لاخلاق المكيين لانه ليس منهم . ولقد ينسب البعض الى المكيين شيئا من الحدة فى الاخلاق ولكن الذين يعنيهم من طبقة الباعة والمكاريين ومن اليهم وهؤلاء مثلهم فى كل أمة

أما الطبقة المتنورة فهي على جانب عظيم من حسن الخلق . ولكنهم لما وجـدوا أنفسهم وهم يأوون الى ركن ركين من جوار بيت الله المحرم فهم يعتزون بهذا الجوار وياحبذا هو من جوار

شيء من التـــاريخ

مشؤومة جدا كانت رصاصة سراجيفو التى اشعلت البارود فى أوروبا حتى اندلع لهيب النار فى القـارات الخمس . وكان دم الارشيدوق ولي عهد النمسا كدم السيد يحيي بن ذكريا صار يفور ويغلى ولم يهدأ حتى أريق عليه دماء الملايين من البشر وكأنى بالفتنة وقد استيقظت حتى أصبح العالم كريشة تتقاذفها الرياح فـلا تستقر على حال حيث ترى المؤتمرات والانتقالات والسفر الى العواصم كل هذا خوفا من شبح الحرب حتى تجد كبار الساسة يضعون أكفهم على وجوههم حتى لا يروا هـذا الشبح المخيف ينقض على الانسانية مرة أخرى فيقلق بالها

هذه الحرب الضروس قد غيرت معـالم كل شيء حتى جعلت المرأة تثور على المجتمع فبعـد ان كانت المرأة الافرنكية تشد (البوست) على خصرها لتحجب ردفها وتقاطيع جسمها وتضع نقـابا خفيفا على وجهها أصبحت [illegible] فقصت من أطراف ثوبها حتى أظهرت [illegible] وما فوق [illegible] انها تركت البيت ينـدب [illegible] لكتف فى الحيـاة العملية .

ومن [illegible] بعض القوامين على النساء وقد رضوا من [illegible] ولا يعلم الا [illegible] تعالى الى أي مدى تصل بنا [illegible] الايام

كانت الانسانية قبل الحرب ناعمة البال هادئة السر وكانت دولة الادب عالية الذرى رفيعة العماد فبينما ينقلون الينا شعر بييرلوتى وأدب مدام آدم جولييت وغيرهما من كتاب الافرنج اذا بنا نرى بنات القرائح يتضوع اريج زهرها فى شعر شوقى وحافظ وصبرى وأدب المويلحي ومحمد مسعود وعلى يوسف ومصطفى كامل وحافظ عوض والبشري وغيرهم من أعلام البيان وفحول الكتاب والادباء

ومن ناحية أخرى كنت تسمع صرير الاقلام على قراطيس الصحف وهي تنقل اليك أدب الجاحظ وشعر أبى الطيب والفرزدق وغيرهم

وبجانب هذا كانت أسرة الطرب تعطف على الانسانية فتحيي وجدانها وتوقظ شعورها بما تشنف به مسامعها من نغمات الحان المثانى ونبرات أصوات المغانى التى كانت تزيح الوجد المبرح بالنفس وتنفس الكرب عن القلب المحزون . وكان عماد هذه الاسرة عبده افنـدى الحامولى والشيخ يوسف المنيلاوى ومحمد افندى عثمان وفى الطبقة الثانية منهم الكثير من الفنانين

ولقد ذكرت هؤلاء لاذكر الشيخ يوسف المنيلاوى وقد دعى بعض أصدقائه لحفلة سمر خصوصية بمنزله بكوبرى القبة وكان ضمن المدعوين عبده افندى الحامولى فتناول العود ليجامل زميله وصديقه وتصادف ان دخل أحد اصدقاء الشيخ يوسف وكان لايعرف الحامولى فمال هذا الصديق على الشيخ يوسف وهمس فى أذنه (من هذا الذى ينعر دعه يمتعنا بسكوته وغن لنا انت ياشيخ) فاجابه الشيخ (هو هذا عبده افندى الحامولى) فاعتدل الرجل فى جلوسه وقال (إيه . الله الله كان مالمصر الا عبده)

الاعتذار

قلت لمن أتحدث اليه من أصدقائي بعد ان قصصت عليه هذا القصص ما رأيك ومعظم نجاح الاعمال يتوقف على بعد الصيت وسعة الشهرة ولقد أقدمت على كتابي هذا ولا شهرة لدي تجعل القارىء ينظر الى الكتاب نظره الى شيء قيم ؟

فاجابني ان قيمة المرء وما يتقنه وانه لكل كريم هفوة ولكل جواد كبوة فاعتذر الى القراء كما يفعل الكرام الكاتبون فى مستهل كتبهم . وها انا ذا استميح القراء عفوا ان كبا اليراع أو هفا

كلمة فى الاخلاق

وما دام ان القلم قد يجد من حسن ظنه بالقراء كهفا يلجأ اليه من مللهم فأنه يكتب الآن شيأ عن الاخلاق بغير اسهاب

اما اهل الحجاز فانهم يتمسكون بتعاليم القرآن المجيدة ويتخلقون باخلاق حكامهم المستقيمين والناس على دين ملوكهم

والمرأة الملكية تزينها الحياء والخفر وهي تحافظ على الحجاب فلا ترى الا ملاءة تستر جميع بدنها ولو فتحت على نفسى بابا من المقارنة بينها وبين المرأة المصرية [illegible] غلالته في [illegible] أو [illegible] وامامي هنا فى مكة المكرمة النسوة المصريات اللاتي حضرن لاداء فريضة الحج وهن يسرن متبرجات غير متحجبات [illegible] وبالعكس [illegible] ترى النسوة الحجازيات والجاويات والهنديات و[illegible] و[illegible] متمسكات بالحجاب

[illegible] فى تعميز [illegible] لحفظ

الآداب مدة الحج ليرجعوا هؤلاء النسوة الى حظيرة الحشمة والوقار حتى لا تشوه سمعة الامة المصرية بين الامم

الحجاب والاستهتار

بالطبع ان الكلام عن الحجاب تمجه أذواق الطبقة التى تعودت على مخالطة النساء فى أوروبا وهم ينظرون الى الحجاب نظرهم الى الشيء البالى العتيق لظنهم انه حجر عثرة فى سبيل العلم وما هو كذلك بل ان البنت البعيدة عن الاختلاط بالجنس الآخر يكون ذهنها خاليا من الغزل ومن الغراميات فيجد العلم فيه موضعا سهلا وموطنا خصبا وفضلا عن ذلك فان الحجاب يحفظ الانساب وهو عون للأسرة على ادارة البيت ادارة حازمة (ومن انقطع الى شيء أتقنه)

المثل يقول (لا حلاوة بغير نار) ومعنى هذا ان كل شيء يحتاج الى تضحية ولقد ضحينا كثيرا بل وكثيرا جدا حتى قذفنا بفلذات أكبادنا فى أتون الاستهتار والاستخفاف بالقوميات ازاء عودتهم للوطن مزودين بالعلم الذى ينهض بالبلاد الى الرقي والحضارة ولكنهم يعودون الينا وهم ينكرون كل ما ألفوه فى وسطهم المصري ويريدون ان يصبغوا البلد بصبغة أجنبية وهذا خطر عظيم على قوميتنا وعلى كياننا

وعسى ان تقوم جامعتنا المصرية مقام جامعات اوروبا فى تثقيف الناشئة وتعليمها حتى نصبح ولا نحتاج الى بلاد المجون التى يقع فى حبائلها عماد المستقبل للبلاد

العلم والعقوق

لقد جبلت النفس على ان تكون أمارة بالسوء وكنا نأمل من هذا

العلم ان يهذب نفوس المنتسبين اليه وان يأخذ بيدهم الى رحبة الفضيلة الواسعة حتى يقلعوا عن العقوق بالوطن والوطن فى حاجة الى أبناء بررة مخلصين

ان الوطنية ليست شقشقة ولا هي اجهاد الحناجر والهاب الاكف بل الوطنية الخالصة هي ان نتكاتف على اعلاء شأن الوطن ماديا وادبيا وان نتوخى النهوض به حتى يسمو الى مجده القديم

اليس من العقوق بالوطن ان يستعمل الشاب كل وسائل الحيل حتى يسلب الفتاة أثمن شيء لديها وهي العفة والعفة قد تراق على جوانبها الدماء . وان تمشي المرأة المصرية وهو يوجه اليها الكثير من هزج القول وفحش الكلام وهذه المرأة هي من بنات الوطن ويجب علينا حمايتها ؟

اليس من العقوق بالوطن ان يهتك ستر المصونات الابكار ويعبث بالاعراض والاعتبار ثم هو يستغنى بهذا الفساد عن التناسل المشروع وقد يعتز الوطن بسلالة بنيه الابرار ؟

اليس من العقوق بالوطن ان ينفق مال الوطن فى الملاهى وفى ثور الفسوق والعصيان والوطن فى شدة الحاجة الى هذا المال ؟

وأخيرا اليس من العقوق بالوطن ان يفضل الزواج من الاجنبية ويترك مواطنته تندب حظها التعيس ؟

فى شأن الزواج

ولقد وصلنا مرغمين إلى الكلام عن الزواج وهو قد أصبح فى هذا العصر من المشكلات العويصة والمقام هنا لا يسمح بأن نطيل البحث فى موضوعه ولكننا ننحي باللائمة على من عقدوا مسألته حتى وارت أعـ . .

من ذنب الضب وهؤلاء هم الذين تنكروا لكل شيء مصري وهم لو ضحوا بشيء من ميولهم وبروا بوطنهم لرأوا أن الواجب يقضي على كل منهم بأن يتملك عواطفه ويروض عروسه حتى تأنس بطباعه وأن يحاسنها ويلاطفها لانها بطبيعة خلقها ضعيفة وتحتاج إلى المواساة

وما دامت أن البنت كاتبة حاسبة ومؤدبة ونزيهة فهذه هي الزوج الصالحة . ولكن شيئا آخر يطلبه المتفرنجون . أنهم يطلبون الوارثة المثرية المتفرنجة المتبرجة برفع النظر عن الاخلاق أو الدين أو الناموس

ثم وهذه الامة التي يأمرها دينها بالتبكير فى الزواج لاكثار النسل وهي لا تصدع بأمره بينما أمة الالمان تفرض ضريبة على الاعزبين حتى ترغمهم على الزواج . ولقد سمعنا عن أمة الترك أنها لا تسلم رخصة السيارات الى السواقين إلا اذا قدموا شهادة تثبت زواجهم وهذا من قبيل الحث على الزواج حتى يعول الرجال النساء

ياحماة الامن

الان وقد استفحل الداء وعز الدواء (وأخر العلاج الكي كما يقولون) فأننا نجأر الى القائمين بالامر فينا و نطلب منهم حماية المرأة باسم القانون الذى هم حماته . نطلب منهم صيانة الفضيلة التى هم نصراؤها . نطلب منهم تنفيذ القوانين واللوائح التى تأمر باقامة بوليس الآداب ليحمى الآداب من أيدى هؤلاء المقوضين لدعائم العمران والاجتماع

ياحماة الامن . انه عندما تهرق دماء الفضيلة على مذبح الشهوات يضطرب حبل الامن فتصبح مهمتكم شاقة فاعملوا على حفظ اخلاق الامة حتى لاتتدهور إلى مهاوى الرذيلة فتذهب ريحها وتفشل فى كل أمورها

الدين واخلاق القرآن

أننا لو ذكرنا هؤلاء المفتونين بالدين وأخلاق الدين يقولون رجعيون يريدون أن يرجعوا القهقري بالامة عدة أجيال وما هذا الا من جهلهم بالدين فالدين لا يامر بالفحشاء لان الله سبحانه وتعالى يكرم الانسان ويربأ به أن يجعله كالسوائم ضائع الانساب (ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم) ـ قرآن كريم ـ

الدين يامر بأخراج الزكاه حتى لا تستيقظ فتنة الاشتراكية التي ترتعد منها فرائص العالم وترتجف لها كل أعصابه

الدين يبعدكم عن الخمر والميسر لحفظ أموالكم التي هي قوام حياتكم..

وبالجملة ان كل تعاليم الملة الحنيفية هي لسلامة النوع الانساني وحفظه من شرور نفسه ونزغات عدوه أما ما سوى ذلك فان الله سبحانه وتعالى لا تنفعه عبادتكم ولا تضره معصيتكم (ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني عن العالمين)

هذا ولا بد أن أذكر شيأ من اخلاق القرآن الكريم حتى يتجلى جلاله وجماله البهيج أمام أنظاركم حيث يقول الله تعالى عز وجل

(وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين إحسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا . ربكم أعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا . وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا . واما تعرضن عنهم ابتغاء

رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا. ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا . ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا . ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا . ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا . ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا . ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤولا . وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا . ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا . ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا)

ثم يقول عز شأنه فى موضع آخر عند وصاية لقمان لابنه

(يابني أقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك ان ذلك لمن عزم الامور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لايحب كل مختال فخور . واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير . ألم تروا ان الله سخر لكم مافى السموات وما فى الارض واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة)

الامن والعدل ايضا

والامر الذى كان يستلفت نظرى انه عند ماكنا نتفسح فى أنحاء البلد لم نجد أحدا من الحجاج يمشى فى الخارج مطلقا وهذا ناشىء من الخوف الذى تأصل فى النفوس من السيرة القديمة ايام كان البدو يمتكون بالحجاج

كلما انفرد أحد منهم ويدخلون البيوت التي يسكنون بها وخصوصا الطبقة السفلى منها ويقتلونهم ويسلبون أمتعتهم . اما الآن فانك تجد الدور مفتوحة ولا يغلق باب على أي دار حتى وان الغرف التي كنا نسكن بها ليست لها أبواب بل كنا نجعل ساترا على الباب ليحجب الانظار فحسب وما هذا الا من هيبة الحكومة وسطوتها ومن عامل الله وجده

نعم ان من يجعل رضاء الله تعالى نصب عينيه لابد ان يكلأه ويرعاه ويسهل له الصعاب ويلين له قلوب العباد . ولما كانت هذه الحكومة السعودية تحكم البلاد فى حدود أحكام الشريعة الغراء فانها تمكنت من اقامة قسطاس العدل حتى لزم كل فرد من أفراد الرعية حدود الاستقامة فلم تجد سارقا ولا ناهبا ولا فاتكا ولا مستهترا ولا فاسقا ولا ولا

تتفزز عواطف المتمدينين وتسيل أكبادهم رقة وحنانا على من تقطع يده فى حد السرقة فلماذا لا نقطع يمين هذا السارق حتى يرعوى الناس عن السرقة ونكون قد ضحينا بفرد لاجل سلامة المجموع . وهذا أزكى وأبلغ من الحكم بالنزول فى (تكايا) السجون فيعود المجرم الى الاجرام بشراهة . ولو أقمنا الحد أيضا على من يعاقر الخمر ماوجدت سكيرا يتخبط بين الحوائط ثم يتمدد فى الشارع حتى يمضى ليلته نزيل السجون

لما دوخ سيدنا ومولانا عمر بن الخطاب بلاد اليونان واقتص من أطراف ملكها أرسل اليه القيصر هرقل من يودى بحياته الغالية غيلة ولما ذهب هذا المغتال الى المدينة المنورة وصار يتعقب سيدنا عمر الى ان ذهب خارج المدينة فوجده نائما تحت ظل شجرة ووجد وحشا كاسرا يلعق قدمه فقال الجاسوس (عدلت بأمر فرستمت السباع) ثم عاد أدراجه ولم يفز بطائل فالعدل هو أساس العمران والعدل تستقيم به البرايا

حمـــام الحمى

كنا نلتق الحب الى حمام الحمى وما أجمل هـذا الحمام وهو يملأ الحرم الشريف وكل دور مكة المكرمة ولا يقربه احـد بسوء (لان الصيد فى الحرم حرام)

وهذا الحمام موجودمن قبل الاسلام لانه مذكور فى شعر الحارث بن مضاض من الجرهميين الذين كانوا ولاة البيت . وقيل ان الحمامة التى عششت وباضت على غار ثور وقت ان اختبأ فيه الحبيب والصديق عند الهجرةالشريفة هي من جنس هذا الحمام حتى دعى لها سيدنا مجاب الدعاء بالبركة . وقيل ايضا بان حمـام الحمى هذا قد ظلل على الفـاتح العظيم يوم الفتح الاعظم لتقيه حر الشمس ومن التجأ الى اعتـاب مولاه يسخر له كل شيء

ولقد لاحظت ان هذا الحمام لايقف على سطحالكعبة المشرفة الا نادرا جدا

ولحرمة الحرم الشريف وهيبتة قدجعلت له حدود يأمن فيهاالحيوان والنبات من التعرض لهما فيمنع فيها الصيد ويمنع ايضا ان يعضد شوكها أو يختلى خلاها (اى حشيشها) ويقول الله سبحانه وتعالى (اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) وقال تعالى ايضا (وجعلنا البيت مثابة للناس وامنا)

الجمعة الثالثة بالحرم الشريف

وكانت توافق ٦ الحجة و٢٤ ابريل ولما تشرفنا الى الحرم لاداء صلاتها

بالحرم الشريف كان الزحام بالغا أشده لان الحجاج كلهم مجتمعون استعدادا للوقوف بعرفة وكان منظر الناس وهم جلوس حول الكعبة الشريفة يروق للاحداق وكانت تشرأب اليها الاعناق . وهم يولون وجوههم شطرها من جميع الجوانب وهي فى الوسط كالقمر تحيط به هالته

ان معظم الحرم ليس مسقوفا والشمس محرقة ولم يكن بأرضه فراش يجلس عليه الناس بل كنت أرى المطوفين يستحضرون أكلمة زرقاء لحجاجهم وهي من نوع واحد الامر الذى فهمت منه ان هذه الاكلمة من متعلقات الحرم الشريف

ولقد فرشت سجادتي على الحصى وجلست تحت المظلات (التندات) الموضوعة من الخشب امام البواكي اما صاحبتي فانها جلست فى المحل المخصص للنساء .

وبعد ان أدينا الفريضة وخرجنا من باب العمرة تفقدت (كيس) الفضة فلم أجده وكان به نحو الاربعة ريالات سعودية (فكه) وانا الذى فرطت فى الاحتفاظ به بل انا الذى أغريت الحرامي على السرقة لانني كنت أخرج منه النقود للفقراء الذين حولى ثم وضعته فى الجيب الخارجي حتى تمكن النشال من نشله بسهولة اثناء الزحام وهذه الحالة الشاذة لا تعتبر قاعدة لحصول ماتنالها من السرقات لانني لو كنت احتفظت بهذا الكيس كما أحتفظ النقود الاخرى ماكنت فقدته

اهل جاوه

انك لتجد أغلب الحجاج فى مكة من الجاويين والمكيين اعتناء خاص بقدومهم لانهم أكثر الحجاج نفعا لهم ويأتون من بلادهم كل عام قبل

الحج بنحو الخمسة أو الستة شهور ومذهبهم المبادرة الى الحج مادام الشخص منهم قد شب عن الطوق لانهم لايقولون ان الحج مفروض على التراخي بل انه يجب حالا عند الاستطاعة

وتراهم أيضا يحضرون الى مكة حتى يروحوا عن أنفسهم من استبداد دولة هولندا التى اغتصبت حرية بلادهم وهي تضيق عليهم الخناق فى شخصياتهم ومعتقداتهم كما هو شأن المستعمرين كلهم فانهم ينظرون الى الامم التى رماها سوء الطالع بالوقوع بين براثنهم نظرهم الى قوم متوحشين فيعاملونهم معاملة السوائم

ولا يزال يرن فى أذاننا أصوات استغاثة هذه الامم من استبداد هذه الدول بهم وما حادثة تنصير شعب بأسره عنا ببعيد

هذا وقد تنبه الجاويون الآن وعرفوا انه لامعنى لليأس مع الحياة ولا معنى للحياة مع اليأس فشمروا عن ساعد الجد لينهضوا ببلادهم من طريق تلقى العلم فتراهم يبعثون البعوث منهم الى مصرنا العزيزة وبعضهم يتلقى العلم بالازهر الشريف والبعض يلتحق بالمدارس المصرية

المدارس فى مصر

كل من يقول أن السياسة لا قلب لها فهو صادق لانها عندما تريد السير من اي ناحية فلا تبالى بان تجرف كل ما يصادفها من خير ومن احسان حتى لا يعوق طريقها عائق فكان محور سياسية اوربا فى الشرق يدور حول محاربة هذا الدين الحنيف لعلمها بانه دين المدينة الصحيحة دين الاجتماع والعمران

فلهذا قد تداخلت سياسة اوربا فى مدارسنا المصرية وقت ان كان لها السيطرة عليها فمنعت اقامة الصلاة واوصت بالغاء تدريس القرآن والديانة بها. ولكن

الحمد لله قد ارتحنا الآن كثيرا عندما وجدنا من المشرفين على ادارة التعليم عناية عظيمة بالاخلاق يشكرون عليها

وقد عددنا منع اختلاط البنين بالبنات والغاء المدارس التي كانت تندى جبين الفضيلة عددنا هذا بانه فاتحة خير نرجوا ان نصل بعدها الى ما نأمله من تقويم الناشئة والعود الرطب يمكن تقويمه بسهولة

الشرق والغرب

من يوم ان نشآ وهما فرسا رهان او فارسا ميدان وطيلة عمرهما وهما يشدان طرفي الخيل فمرة غالب ومرة مغلوب وكل منهما في كفة الميزان فهما راجح ومنهما مرجوح

ولكن الشرق هو مهبط الوحي ومهد العلم ومنبع النور والعرفان وقد اعتز اهله بهذه الفضائل فركنوا الى القعود وتركوا الميدان حتى احتله الغرب واستولى على ما تركه الشرق من عدة وعتاد

تدفقت سيول المعارف من بلاد الاندلس إلى أرض الفرنجة فاخصبت بعد أن كانت قحلاء مجدبة وأنبتت من الفنون ما أصبحوا يتطاولون به علينا وقد صاروا يحاربونا بنفس سلاحنا

فانه وإن كان نجم [illegible] قد أفل فانى لا أجد أبلغ من حكمة فى الشعر وهو ينهاه عن اليأس قوله الحكيم

فديناك يا شرق [illegible] تجزعن

اذ اليوم ولى فراقب غدا

وكان قول (حافظ [illegible] العظيم فالا حسنا على الشرق حيث

أنه استيقظ من غفوته [illegible] سير خطوات جبارة نحو مجده التالد

وانى أقول لهذا الشرق بأن خطواته لا تكون موفقة وسديدة إلا إذا اتكأت على سند قوي من الالتجاء الى مولانا الخالق الاكبر جل شأنه وعز سلطانه وهذا الالتجاء ينحصر فى كلمة واحدة صغيرة هي الاخلاق

فالاخلاق الاخلاق ايها الشرق الناهض فهي الحصن الحصين الذى يصون سعيك من كيد الكائدين

استعداد الناس للوقوف

فى مساء هذا اليوم ابتدأنا نسمع رغاء الجمال وصياح الاعراب (الجمالين) ونشاط المطوفين وصبيانهم استعدادا لتجهيز الشقادف على الجمال لقيام الحجاج الى عرفة وكان هذا المنظر يبعث على السرور ويريح الخاطر ويثلج الصدر حيث ترى الجنسين من الحجاج يركبون فى الشقادف على الجمال والرجال منهم محرمون والنساء يلبسن ثيابا بيضاء وهن يغنين بالغناء الحجازي

وكانت امارات السرور والفرح تلوح على محياهم جميعا . وقد قام جيراننا القنائيون فى هذا اليوم الى عرفة أيضا . ومعظم من الحجاج يقوم فى اليوم التالى وهو اليوم السابع من العشر الاوائل من شهر ذى الحجة هذه الايام المباركة التى أقسم الله تعالى بها فى كتابه العزيز حيث يقول جل شأنه (والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر)

وفى التروية يوم الاحد ٨ الحجة ٢٦ ابريل جهزنا أنفسنا استعدادا للقيام الى عرفات فاغتسلت للاحرام ثم أحرمت وأحرمت صاحبتى أيضا بان لبست ثيابا بيضاء (والمرأة لها ان تلبس ثيابها المعتادة) وقد وضعت على وجهها غطاء غير لصيق به

الحج عن الغير

وقد كلفت الحاج طاهر ووالده الشيخ محمد مغربي وزميله الشيخ حسن بان يحج كل منهم نيابة عن واحد من أقاربي ويسمونه بمكة المكرمة (البدل) نظير اتعاب لهم فى ذلك

ولما كان المرحوم والدى قد أدى فريضة الحج قبل أن ينتقل إلى العالم الآخر . أما المرحومة والدتي فانها ماتت قبل أن تؤدى هذه الفريضة ولما ان سبق لى الحج غير هذه المرة فقد أردت أن تكون حجى هذه نيابة عن والدتى فقلت (نويت الاحرام بالحج نيابة عن والدتى وأحرمت به لله تعالى لبيك الخ)

وقد جاءت والدتي فى المنام إلى صاحبتى وقالت لها (أرأيت الشال القطيفة الذى اهداني به مصطفى ؟ (أنه لشال كويس) فاجابتها (أنا الاخري عندى شال مثله)

وهذه الرؤيا التى تظهر فيها روح المرحومة والدتي غبطتها وارتياحها إلى ما أهديته اليها من الحج (الذى عبرت عنه بالشال القطيفة) ماهي إلا رد بليغ على من ينكرون انتفاع الاموات بما يفعله الاحياء لاجلهم من الترحم والدعوات الطيبات

فى طريق المشاعر

جاءت العربة بعد العصر واخذنا الضروري من المتاع ومن الطعام وأخذنا (الزمازم) مملوءة بالماء وركبت أنا وصاحبتى قبل الغروب بساعتين

وسرنا مع عربتين تقلان ثمانية أشخاص من المغاربة ينزلون عنـد مطوفنا ولكنهم يقطنون بمنزل آخر

سارت العربة وقلوبنا تنبض بالفرح الذى كدنا ان نطير معه شعاعا وأخذت العربات طريقها من الغزة الى الحجون الى البيـاضية مع التلبية أثناء الطريق

امام القصر

مهمة القلم الآن ان يجول فى ميدان التعبير عمـا يدور بالخاطر اثناء وقوع أنظارنا على قصور الملك الفخمه بالمعابدة

عاهل الوهابيين الكريم يسكن القصور الشاهقة وينعم فى البـذخ والترف حيث يجلس على فراش وثير ويتمتع فى عز نضـير ويركب الخيل المطهمه والسيارات الفخمة . وكان سيدنا ومولانا المصطفى صـلوات الله عليه يسكن دارا ليست مجصصة ولا مزخرفة ويعيش عيش الزهد والقناعة وكان مسجده الشريف علو قامة وقد سار على سيرته الخلفاء من بعـده

فكأنى بهذا الملك العاهل وهو يتمشى مع تقدم العمران فى نفسه ولا يتمشى به فى بيوت العباده ودور الآثار الشريفة

اذن نكون اتفقنـا على ان البدعه الممقوتة التى يعبر الدين عنها بانهـا ضلالة هي التى يغير المبتدع بها حكما من أحكام الدين فى أصوله أو فروعه مثل هؤلاء الذين ينكرون آيات الحجاب ويحبون أن تتبع الفاسقة و المؤمنـات ويتركون المرأة تمشى فى الاسواق تحيط بهـا نظرات الفساق وتختلط بالرجال هذا الاختلاط المزرى الشائن ومثل الذين يبيحون التعامل بالربا وغير ذلك من الامور المغايره لتعاليم الشريعه الغرا

أما البدعة فى العمران وفى تحسين المساجد وتشييد دور الآثار واقامة التذكارات لعظماء الرجال فلا اخالها الا مباحة والله سبحانه وتعالى يقول (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) فان قلتم اننا نعمرها بالعبادة فنقول ولماذا لا نعمرها بالعمران أيضا ؟

جبل النور

أقول له ياحاج طاهر اصنع معروفا معى وبلغنى مأربى من زيارة غار حراء الذى يسمونه فى مكة (جبل النور) فيماطلني ويثبط همتى عن التوجه اليه وقد علمت ان هنالك جنديا يقف قريبا منه فلا يمكن أحدا من الصعود اليه أو الدنو منه بل يقول له (ماذا يفيدك دخول الغار وهو كهف كان يعبد الله تعالى فيه انسان ولا شيء غير ذلك ؟) . سبحان الله. أليس هذا المكان هو الذى كان يتعبد فيه أول العابدين الليالى ذوات العدد حتى شرفه الله تعالى بالنبوة وهبط فيه روح الله يلقى عليه كلام الله؟

تالله انه ليجدر بنا ان نقيم عليه قبة من الابريز الخالص ونرصعها بالاحجار الكريمة ان لم يكن لخاطر النبي الكريم فكرامة لله الخالق العظيم نعم انه يجدر بنا ان نجل ونقدس هذا المكان الذى ابتدأت منه تنزلات رحمات المولى الرحيم فانقذ عبيده من التخبط فى دياجير الشرك والضلال

ان عدم الاعتناء بهذه الآثار المباركة هو جحود للجميل وانكار للتضحية التى صحابنا اولئك الاخيار حتى جعلوا كلمة الله هي العليا وببركة جهادهم أسبغ الله علينا نعمة الاسلام والايمان

كل الامم يحتفلون بتاريخهم ويدرسون لابنائهم سيرة سلفهم ويمثلون لهم الحكماء والعظماء منهم أحسن تمثيل . أما نحن فنقطع صلتنا بالماضى

ونخاف من التمسح بالاعتاب لانه كفر ونفاق . والحال انك لو سألت انسانا من السذج البلهاء عن هـذا القبر أو الاثر لاجابك على البديهة ان صاحبه ولي الله ولا نحبه لذاته بل لصلته بالله سبحانه وتعالى

سرنا بعد البياضية بقليل واذا بصراخ يأتى لنا من الخلف (ان قفوا لان عربات الافغاني تعطلت) والافغاني هذا يقولون عنه انه حاكم (كابول) حاضرة بلاد الافغان وقد أقبل الى الحج ومعه زوجه وابنه ونساء ورجال أخر يبلغ عدد الجميع تسعة أشخاص وقد نزلوا عند مطوفنا أيضا واستأجروا لقيامهم الى عرفة عربتين من نوع الصندوق ولما قاموا من مكة المكرمة وتعطلت العربات استوقفونا لاجلهم فوقفنا قبل الغروب بجوار استراحة من الاستراحات العديدة التي فى الطريق وبها المياه الباردة والشاي والقهوة

أوقف الغلام صالح السوداني حمار العربة التى تقلنا وكان حمارا صلبا جسمه كالبغل ويسبق الخيل وكان لا يقف فى طريقه الا اذا أوقفوه وأيضا كانت حمولته خفيفة فلم يحصل له عطل طول الطريق

نزلنا وكان خير منزل وأكبر فضل وأعظم منة من الله سبحانه وتعالى ولو كان نزولى هذا لكسب بدرات من المال مافرحت كفرحي بغار حراء الذى كان امامنا مباشرة

هذا غار حراء الذى كان يتردد عليه سيدنا رحمة العالمين الايام العديدة يقوم فيها بعبادة ربه سبحانه وتعالى حتي أتاه الحق اليقين وأنزلت عليه أول آية من آيات ربنا عز وجل (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم)

تذكرت عند ماكان يغطه الملك بالغار حتى بلغ منه الجهد أثناء

عرض القراءة عليه ثم ينزل عليه السلام من الجبل وفرائصه ترتعد حتى يصل الى زوجه الكريمة السيدة خديجة ولما أخبرها الخبر طيبت خاطره وعطفت عليه بقولها (انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فلا يخزيك الله أبدا) ثم انطلقت به الى ورقة بن نوفل (وهو امرؤ تنصر فى الجاهلية وعنده علم من الكتاب) وقالت له (أي ابن عم) استمع من ابن أخيك فاخبره الصادق المصدق خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى انزل على موسى ياليتنى كنت فيها جذعا اذ يخرجك قومك قال (أو مخرجي هم ؟) قال نعم لم يأت رجل بمثل ماجئت به الا عودي وإن أدركت يومك لأ نصرنك نصرا مؤزرا

تذكرت كل هذا وتخيلت خطواته الميمونة نحو الغار وهو ذاهب اليه ثم عودته منه ميمون الطلعة محمود النقيبة وكم كنت أتمنى ان أمرغ خدى على مواطىء أقدامه الشريفة

هذا وقد صلينا المغرب [illegible] جماعة من العساكر السعودية الهجانة وهم بأثواب الاحرام بسبب طواف [illegible] عرفته لحفظ الامن والنظام

[illegible] وكروبهم الحربية [illegible] من عساكرهم حفظ النظام [illegible] الطريق [illegible]

[illegible] والمحافظة على [illegible]

انك تجد العساكر فى عاصمة القطر الحجازي وفى المدينة المنورة أيضا يلبسون البدلة الخاكي مع الكوفية والعقال ولا بأس به من نظام

ولقد شاهدت حضرة الملك مرة وهو ذاهب الى الحرم الشريف لحضور غسيل الكعبة المشرفة ورأيته مرة أخرى غيرهذه وهو بزيه العربي وكان يركب سيارة فخمة وفى مقدمتها على السلم جنديان يقف كل منهما على جانب منها وهما يلبسان ملابس حمراء عربية مزركشة ويتلو سيارته رتل من السيارات يقل حاشيته وخواصه وكنت أود ان أهتف له بالحياة لاعجابى بعدله الذى جنينا ثمراته من أمن الطريق

وكنت أعجب أيضا بكثير من الشرقيين لمحافظتهم على تقاليدهم كالمغاربة مثلا فان الفرنساويين يحكمونهم ويتحكمون فى أمورهم ومع هذا تراهم يحتفظون بزيهم حتى وان مولاي يوسف سلطان مراكش تجده بملابسه الوطنية فى احتفالات الافرنج وسط بلادهم . اما الهنود فحدث عن تفانيهم فى المحافظة على شرقيتهم وهذا زعيم الهند الاكبر (غاندى) وهو يضرب المثل الاعلا للشرق فى انكار الذات امام نداء الوطن ولقد تعرف هذا من حكمة كلامه اذ يقول - ان كل منوال انشئه فى بلادى يكون حجر الزاوية فى بناء الاستقلال المنشود وما الخيوط التى أنسج منها قميصى الا سلاح حاد أطعن به خصمى من ناحية الاقتصاد

متابعة السير

تابعنا السير وكنا نجد بالطريق بين كل مسافة وأخرى سبيلا مقاما على عريش من الجريد والقش وبه الدنان المعدة لشرب الناس وشرب الحيوانات أيضا مجانا بغير مقابل

وكانت عربات السيد الافغاني لاتزال تتعطل بالطريق وكانوا يريدون ان يأخذوا حمارنا ويعطونا بدله من الخيل ولكننا لم نقبل ان نفرط فيه لفرط معزته عندنا لانه اعيى الخيل عن اللحاق به

ولما وصلنا الى منى نزلنا بناحية منعزلة فى مقهى مفروشة (بالخسف الخوص) وهي مقامة من الجريد أيضا ومن أشجار أخرى فتعشينا وشربنا الشاي وبعد ان صلينا العشاء سرنا على بركة الله تعالى وقد تركنا السيد الافغاني يسير على المهل واستمرت عرباتنا تسير وتستريح الى ان وصلنا الي مسجد نمرة بعد ان انتصف الليل



هذا رسم مسجد نمرة

ولم يكن معنا أحد يعرف محل الخيام الخاصة بنا فاضطررنا إلى المبيت

محلنا فجاء الغلام صالح السوداني (صبي صاحب العربة) وحل الحمار منها ولما أن وضع (عريشها) على الارض صارت منحدرة أي عالية من الخلف وواطئة من الامام لانها ذات عجلتين كما أوضحنا فاستراحت صاحبتي بالعربة على قدر الامكان وجلست أنا للخفارة لحد ما تبين الخيط الابيض من الخيط الاسود استحضرت ماء من هناك وتوضأت وصليت الصبح وزرت مسجد نمرة هذا وهو مقام على الموضع الذى نزل فيه السيد المختار يوم عرفة فى حجه المبارك

إذا صح عون الله تعالى للمرء فان الصعوبات تهون أمامه ويجد العسير ميسرا . فكم كنت أتمنى أن ادخل عرفة في اليوم التاسع كما دخلها سيد الخلق وقد أبى علينا ذلك صاحب العربة كما سبق القول حتى أنعم الله تعالى علينا وبتنا عند مسجد نمرة مرغمين لعدم وجود من يدلنا على محل الخيام



فى الموقف العظيم

قمنا مع شروق الشمس من هذا اليوم (الاثنين ٩ الحجة ٢٧ ابريل) وقد وصل الحاج طاهر وهو يدعو ثبورا وويلا كثيرا لان السيد الافغاني أهانه على أثر غضبه من تعطيل عرباته أثناء الطريق

فى الخيـــام

وكان المطرف حسن افندى كتوعة قام قبلنا ونصب خيمته الخاصة به وتوابعه وخيمة أخرى للمغاربة الثمانية وخيمتين للسيد الافغاني ونصب لنا خيمة صغيرة منقوشة بنقوش عربية وبجانبها (بيت الماء) كمرف

أهل مكة المكرمة وهو المرحاض من القماش وكانت الخيام منصوبة عند جبل الرحمة تماما . وقد دفعت عن هذه الخيمة جنيهين اثنين أجرة لها

ولدى وصولنا قابلنا عمال المطوف وحملوا الامتعة ودخلنا إلى الخيمة ففرشنا السجادة وجلسنا لتناول طعام الافطار وشرب الشاي وبعدها حضر الشيخ حسن عامل المطوف وذهب معنا إلى جبل الرحمة فى الموضع الذى وقف فيه سيد ولد آدم وكان ينبه الناس بقوله الشريف (انى وقفت هنا وعرفة كلها موقف) ثم أخذنا فى الدعاء والتضرع والابتهال

وقد رأيت بعرفة سوقا كبيرا يباع فيه أنواع المأكولات من لحم نيء ومستوى وخبز وخضار وفواكه وبقول ولبن وجبن وكل هذا يعرض بالخيام حيث لا بناء هناك

استرحنا بعد هذه الفسحة (الروحية) الى أن جاء أوان الظهر صليته مع الجماعة بخيمة المطوف وصلينا معه العصر جمع تقديم ثم أخذنا فى التلبية والدعاء والاستغفار حيث أنه قد حان وقت الوقوف من بعد الزوال

وكان حجنا يوم الاثنين وهو يعادل ثلاثين حجة كما ورد أيضا أن حج يوم الجمعة يعادل سبعين حجة ومن يوفقه الله تعالى لان يحج فى هذين اليومين يكون بمثابة مائة حجة والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق

جلال الموقف وفائدته

غاية ما وصل اليه جهدنا من العبادة والتقرب الى مولانا القريب المجيب عز وجل فى هذا اليوم العظيم اننا جلسنا فى الخيام نسأله تعالى المنة والاحسان ور[illegible] أن البعض منا [illegible] فى نومه فذهب روحه مع الاحلام

ولكن ليس هذا هو المراد من هذا الموقف الذى ما شرع الا لنفع

الانسانية والرفعة بها الى مستوى ترى به الابداع فى الملكوت الاعلى وتسمو ببصيرتها الى معرفة أسرار اللاهوت العظمى على قدر ما يسمح ادراكها

حكمة الموقف هذا ان يحشر الناس نهارا يهرعون الى ربهم متجردين من زينتهم كاشفين لرؤوسهم ومهطعين او هم يجأرون اليه حتى يدخلهم سبحانه فى كنفه العالى ويضرعون اليه بصلاح الحال والمآل ويؤمنون على دعاء الامام الذى يقف فى سفح جبل الرحمة على الصخرات مكان ما وقف امام المتقين

فان قال قائل بان الصورة هنالك [illegible] ن نتعرض لهذا الحر [illegible] وهجير المظلات التى لا تحصر خطيئته الا وهى [illegible] رؤوسنا . نعم يجب ان نقف تجاه الامام فى الحر [illegible] تذكر يوم [illegible] على [illegible] الق السموات والارض والشمس تدنو من الرؤوس فيتصبب الناس بالعرق [illegible] بلغ [illegible] الاقدام

كنا فى عام ١٩١٠ نقف بعيدا عن جبل الرحمة [illegible] الامام [illegible] [illegible] وهو يلوح [illegible] [illegible]

ايوم [illegible] [illegible]

[illegible] لى ان أرى الامام [illegible] [illegible]

[illegible] مالى ذهبت ادراج الرياح [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ج فى يوم [illegible]

يجب على الامام [illegible]

بروعته وجلاله حتى يأتي بالاثر المطلوب

كنا نود ان يسمع كل الحجيج الخطبة من رجل ذى صوت جهوري حتى يأذن الله تعالى بصلاح الاحوال وذ..تحضر آلة (الميكروفون) المكبرة للصوت ليصل كلام الخطيب الى أسماع كل أهل الموقف

ويا حبذا لو بذلت المساعى لاجتماع الحجاج جملة واحدة في وقت واحد وصعيد واحد لاستماع الخطبة كما نسمعها يوم الجمعة وأهمية هـذه الخطبة عظيمة جدا لان المسلمين يجتمعون كل عام من كل العناصر

فيحسن ان يؤلف الخطبة لجمع من العلماء الاكفاء ويكون مغزاها الحث على الوفاق ونبذ الشقاق بين عناصر الاسلام وترتبط الامم الاسلامية بعقد حلف وثيق تتحد فيه العناصر غير المسلمة الداخلين في ممالك الاسلام . ويحسن ايضا ان تترجم الخطبة الى لغة الاغلبية من المسلمين كالهندية والجاوية وبعد ان أتى الخطيب خطبته باللغة العربية يلقى نصها الخطباء الآخرون باللغات الاخرى

اقتراح في العمران

في شاهدت رجالا يبحثون عن امرأة ضلت عن مضاربهم عند ما [illegible] أنظار الحكومة السعودية [illegible] مثل راية ملونة توضع على قاعدة عالية [illegible] وعلامة (أي لون الراية) [illegible] يعطى لهم رقمها ولونها [illegible] على كل مطوف ان [illegible] وصفه علامته في الموقف

وان أعوز الحكومة المال لهذا الغرض فلتسن ضريبة على الحجاج لتغطية هذه النفقات

الصحة العامة

أما من جهة الامور الصحية فانى أبدى سرورى وارتياحى للعناية بالصحة العامة حيث أقامت الحكومة المستشفيات والمستوصفات فى مكة المكرمة وهي تقوم بواجبها فى انقاذ الانسانية من مخالب الامراض الفتاكة فهي تطبب الناس وتعالجهم لافرق بين جنس وجنس وكانت هذه المستوصفات تتنقل مع الحجاج فى عرفات وفى منى وكانت الاسعافات الطبية تلبي عند الطلب بأسرع وقت ممكن . وكان بودى ان أبين هنا اسماء المستشفيات والمستوصفات وما اليها من أطباء وممرضين وصيدليين وأنواع العقاقير وعدد الذين يعالجون بها ولكننا فى غنى عن هذه التفاصيل مادامت النتيجة كانت سارة وباهرة

أضف الى هذا أيضا الاعتناء بالتفتيش الصحي الدقيق [illegible] رايت من الاعتناء فى عمل الوقاية الصحية انى شاهدت [illegible] الفنيك فى شارع منى

وكذلك قد منعت الحكومة الناس عن ذبح [illegible] أو فدية أو للغداء مطلقا بين المضارب [illegible] هذه الاوامر

وفقط أرى لاحظة [illegible] يتبرزون بجوار الخيام وهذا مما [illegible] أمرت الحكومة المطوفين بان [illegible] حواجز بصفة دواوين [illegible]

وقد يهون أمر قضاء الحاجة فى عرفات بالنسبة لاتساع المكان اما فى منى فان الحال يحتاج للدقة التامة فى تعيين منازل المطوفين مع حجاجهم وفى حفر أماكن التبرز وتجديدها عند امتلاءها وحتى فى المباني الكائنة هناك

الأوبة بالغنيمة

عند ماكاد ركن النهار ان ينهار قام عمال المطوف بهدم الاطناب وطوي المضارب بعد ماجمعنا أمتعتنا وجاء الغلام صالح السوداني بعربتنا يجرها الحمار الذى ماوهن ولا تعثر حتى كانت الخيل لم نلحق له غبار

ركبنا [illegible] تقدما مع باقى العربات سرنا [illegible] آخر حدود عرفة وكان الشفق يبدو فى الغرب بلونه القرمزي ائذانا بان الشمس قد توارت بالحجاب هنالك تحققنا بان [illegible] لحظة من ليلة النحر [illegible] [illegible]

وتحققنا أيضا بانه قد صح حجنا كما هو القول المأثور (الحج عرفة [illegible] من الاطمئنان وقد انتقدت بعض المطوفين لافساد هذا الركن على [illegible] قبل الغروب

[illegible]

[illegible]

حاج يشعر بهذا الفضل العظيم فيرتاح ضميره وتظهر علامات الفرح على أسارير وجهه

وكيف لا نفرح وقد عدنا ونحن غاعون تائبون لربنا عابدون . وعدنا أيضا ونحن نحمل اسما زيادة على اسمنا (وكثرة الاسما تدل على شرف المسمى) ولهذا فانني استبدل اسم صاحبتي من الآن باسم الحاجة كلما جاء ذكرها

مكانة القلم

يدب القلم دبيبه على القرطاس فينقش كل تميمة تذهل القارىء فيؤخذ مسحورا . ويتسلط القلم بسحر بيانه على العقول فيميلها مع كفة ميزانه وعلى القلوب فيقودها الى الايمان بكلامه والقلم يأخذ بيد القارىء حتى يرى نفسه بين روضة غناء يتضوع عبير الادب من ثنايا السطور . وهو يحمس الجبان وينشط الكسول واذا هزه الكاتب فى يده يكون امضى من السيف اذا غضب واندى من الندى اذا رضي أو أحب . فصرير الاقلام هو النغمة اللذيذة التى تتفتح لها آذان الامم فتسير ورائها وحملة الاقلام يتقدمون وفي يدهم راية العز فيلتف الناس حولها . وقطرة واحدة تسيل من مداد القلم تكون كالبلسم الشافى لسقام الامم والشعوب وقطرة اخرى تكون كالحمم تتقاذف على العروش فتثلها وعلى الصروح فتدكها من اساسها . وانه ليكفى القلم فخرا اذ أقسم الله تعالى به فى كتابه المكنون فقال تعالى (ن والقلم وما يسطرون)

واقسم ان حملة الاقلام كلهم مدينون الى عرفات وما يجاور عرفات

عكاظ واخواتها

كان العرب قبل الاسلام يقيمون اسواق عكاظ ومجنة وذى المجاز عند اقتراب موسم الحج ليعرضوا فيها عصارة قرائح الشعراء وبنات افكار الادباء حيث كان الشعر سجية لكل عربي وكان مقدار كل منهم وما يحسنه من المنظوم والمنثور حتى صاروا يتبارون فى الفصاحة ومن يحوز قصب السبق فيها تدرج قصيده ضمن المعلقات فى البيت الحرام أو يشار اليه بالبنان بين الانام وكان بيان سحبان وفصاحة قس بن ساعدة مضرب الامثال. وشعر امرىء القيس وطرفة بن العبد واضرابهما من فحول الشعراء لا يزال يملى على أبناء العربية من الحكم البالغة والمعانى السامية ما يجعل رؤوسهم عامرة بجيد الادب وبليغ البيان . وقد فشت الفصاحة وكثرت بينهم كما كثر السحر فى قوم فرعون حتى جاء القرآن الكريم فوجم الكل أمام بلاغته العالية وكان كعصا موسى تلقف ما يصنعون

ولما دخل العرب فى الاسلام هذبوا لغتهم ببلاغه القرآن حتى صارت تزهو فى ثوب قشيب من البهاء والجمال وقد اغترف من منهلها العذب كل ناطق بالضاد وهذا ما جعلنى أقول أن كل الادباء مدينون إلى عكاظ وأخواتها القريبة من عرفات

ولقد تذكرت أيضا هذه الاسواق العظيمة وسيد الانبياء يعرض نفسه على القبائل فى كل موسم ليدعوهم إلى صراط العزيز الحميد وهو يتلو عليهم آيات الذكر الحكيم فيقفوا أمامها خاشعين مطاطىء الرؤوس

فارس يعلم الاخلاق

ولقد وجدت بين الجاهلية الاولى فارسا يعلم الناس الاخلاق وهو عنترة العبسي من أصحاب المعلقات إذ يقول من شعر له

وأغض طرفى ان بدت لى جارتى
حتى يوارى جارتى مأواها

فما قولكم معشر المتمدينين وأنتم تريدون أن تخترق أبصاركم حجب الخدور لتنظروا ما وراءها فان انتسبتم إلى العرب فهذه أخلاق العرب وإن رجعتم إلى الدين فرحمة العالمين قد بعث ليتمم مكارم الاخلاق وإذا نظرتم إلى العمران فانحاط الاخلاق يقوض أركانه . فتمسكي أيتها الامة الناهضة بالاخلاق فان الامم لاتحيى حياة هادئة طيبة الا بالاخلاق

الى المشعر الحرام

سرنا وكان الكوكب المحبوب يطل علينا من سماء عليائه فكان منظره اللجيني يبهج النفس ويفسح المجال للعين ان ترى الجادة كوضح النهار . وكانت الجبال التى تكتنف الطريق عن يمين وشمال كأنها تحادينا وتحنو علينا أثناء المسير

استمر بنا التسيار الى ان القينا عصاه بالمزدلفة عند المشعر الحرام وهو (جبل قزح) وقد قطعنا المسافة فى نحو الساعة وكسور الساعة

اعتق صالح رقبة الحمار وفك العريش عنها وقد صلينا المغرب مع العشاء (جمع تأخير) و تناولنا من الطعام ماتبلغنا به مع الشكر للمنعم بجلائل النعم تبارك اسمه و تعالى جده

أخذت أفكر فيما هو المشعر الحرام . فالمشعر الحرام هو قطعة من

جبل وليس عليه حلي أو حلل ولا مزدانا بلؤلؤ أو مرجان ولا مبرقشا بنقش من الالوان حتى كانت هذه المبادات حقيقةواضحة وضوح الصبح لذى عينين بانه دين لاعوج فيه ولا موارية ولا تعقيد (قل انى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) ـ قرآن كريم ـ

أخذت الحاجة قسطا قليلا من الراحة بالعربة أما انا فاسترحت على سجادتى بالارض وبجوارنا كثير من الحجاج نائمين بالعراء ولما تبددت جيوش الظلام وبدا الصبح بوجهه البسام استيقظت فصليت ثم ايقظت رفقتى وأيقظت الغلام صالحا أيضا فشد الحمار بالعربة وجاء بها وقد التقطت أربع عشرة حصاة كل منها على قدر البدلة وأخذتها فى جعبتى

وقد ذكرنا الله تعالى عند المشعر الحرام كما يقول عز شأنه فى كتابه الكريم (فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفرا الله ان الله غفور رحيم)

الى جمرة العقبـــــة

ركبنا العربة وسرنا قبل الاشراق وكان مسير له جلاله فى النظر وله بهجته فى الفؤاد وكنت ترى الطريق مزدحما بطبقات الناس منهم راكب الهودج ومنهم راكب الجمل وراكب الحمار ومنهم راكب العربة ومنهم الماشى على قدميه وكنا نجد بعض العربان وهم يعرضون الجمال أو الحمير للركوب بالاجرة وينادون عليها (يارويكب يارويكب)

استغرق مسيرنا من الزمن نحو ساعة واحدة الى ان وصلنا جمرة

العقبة ويسمونها فى مكة المكرمة (الشيطان الكبير) وهي عبارة عن بناء قليل الارتفاع علوه نحو القامتين تقريبا بجوار جبل صغير

نزلنا من العربة فانتحى بها الغلام جانبا من الطريق ووقف لحراستها والامتعة وقد أعطيت الحاجة سبع حصيات ووقفنا تجاه العقبة وكانت منى عن يميننا والبيت عن يسارنا وكل منا رجمها بحصياته السبع وكنا نقول مع كل حصاة (بسم الله الله اكبر رغما للشيطان ورضا للرحمن) ونمسك الحصاة بين الابهام والسبابة ونحذفها بحيث انها تصل الى الجمرة والتى لم تصل منها تعاد . والى هنا يباح لنا التحلل من الاحرام الا الطيب والنساء

الحكمة من الرمى

لابد للخاطر ان يذهب الى البحث عن كنه هذا الرمي وما الفائدة منه . وحكمته هي لاجل ان نتذكر فضل المنعم الكريم جل وعز على سيدنا الخليل حيث انه عند ما أراد ان ينفذ الامر العالى الآلهي الذى تلقاه فى الرؤيا بتقديم ولده الكريم قربانا لله تعالى ولما أخذ الصبي الذبيح سيدنا اسماعيل ومعه الحبل والمدية ومشى به ليذبحه فكان الشيطان يقابله فى هذه الاماكن وينزغ له بنزغاته فيلهمه الملهم العظيم بان يرجمه ليبعد عنه وسواسه فنحن نتشبه بابينا ابراهيم عليه السلام

وهنالك أيضا حكمة دقيقة يجب انْ نمعن النظر فيها وهي ان الشيطان عدو طبيعي للانسان وهو واقف بالمرصاد يتربص بنا الدوائر فمن رحمة الله تعالى بنا ان نبهنا بهذا الرمي الى وجود هذا العدو اللدود لنأخذ حذرنا ولا نتمادى مع وسواسه بالشر والاذى والانغماس فى حمأة المنكرات

الشريفان الذبيحان

مادام ان الامر الذى تلقاه سيدنا ابراهيم عن ذبح ولده وقد شرع فى تنفيذه حتى فداه الله تعالى بذبح عظيم وكان هذا بالحجاز فالذبيح اذن يكون سيدنا اسماعيل لامحالة لان أخاه سيدنا اسحاق ولد بعده وكان مقيما مع أمه السيدة سارة بالشام

ويكون سيدنا حبيب القلوب هو ابن الذبيحين . فالذبيح الاول هو جده الاعلى سيدنا اسماعيل ابو العرب والذبيح الآخر هو والده الشريف عبد الله بن عبد المطلب . وقصة ذبحه هذه هي

ان السيد عبد المطلب بن هاشم شيخ البيت الحرام لما أراد ان يحفر زمزم المباركة كما كتبنا سلفا تعرض له أشراف قريش ومنعوه عن الاسترسال فى الحفر قائلين له لاتحفر فى أرض بيتنا الذى هو عزنا وقد تمنى ان يكون له بهم قوة أو يأوى الى ركن شديد من أولاد يذودون عنه حيث لم يكن له الا ولده الوحيد الحارث بن عبد المطلب فنذر لله تعالى ان رزقه بعشرة من الاولاد ليذبحن أحدهم قربانا لله تعالى ولما عقب العشرة وزاد عليهم اثنين وكان أصغرهم الشريف الكريم عبد الله والد خير النبيين اتاه آت فى المنام وذكره بان يفى بنذره فقدم ولده الصغير هذا الى الذبح فتصدى له عظماء قريش وقالوا اذا فعلت هذا يأخذها العرب عنك سنة فيذبحون أبناءهم. ثم أجمعوا أمرهم على الذهاب الى أحد الكهان ليأنسوا برأيه فيما يفعلونه بهذا الحادث الجلل . فسألهم كم الدية فيكم ؟ فاجابوه انها عشرة أبعرة . فقال افدوا الغلام بها . ولكن خاطر السيد عبد المطلب لم يطمئن الى هذا الرأي بل انه صار يضرب القداح وكلما يضربها تخرج على الصبي

فيزيد الفدية عشرة فعشرة وهي تخرج على الصبي أيضا إلى ان أبلغها المائة فخرجت على الابعرة فقدمها فدية عن الصبي الكريم وقد تفضل الله تعالى ونجاه من الذبح ليخرج من صلبه سيد الاولين والآخرين

وكان أحد السادة الاصحاب يحكى بانه تقدم رجل الى أعتاب الرسول الكريم ليرجوه نوالا وقد أراد الرجل ان يطريه وينسبه الى أعز الانساب فقال له أرجوك ان تقضي لى حاجتى (يابن الذبيحين) فتبسم السيد الكريم ولم يبد اعتراضا على قول الرجل

بيعـــة العقبة

بجوار هذه الجمرة كانت بيعة العقبة (وفى محلها مسجد مقام هنالك) هذه البيعة التى كانت مفتاح الفرج بعد الصبر الجميل .وكانت الاداة الفاتحة لمستودع النور الذى أضاء الطريق أمام الانسانية حتى اهتدت الى الحياة الهنيئة حياة الحرية الصحيحة والاخاء الحقيقي وقد عرف الانسان تمام المعرفة انه لايوجد فى الكون الا معبود واحد يدين الناس اليه بالعبودية لانه قدير وانه هو وحده الذى برأ الخلق ورزقهم واليه مثواهم ومنقلبهم

ظل سيدنا رحمة العالمين يدعو الناس الى التوحيد ثلاثة عشر عاما وقريش تضع العقبات فى طريقه ليطفئوا نور الله بافواههم وأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون

ولما أذن الله تعالى ان ينشر رحماته ونعمه على بنى الانسان ويخرجهم من ذل الكفر الى عز الايمان جاء ستة رجال من الخزرج من أهل يثرب الى الحج فتصدى لهم سيدنا البشير النذير كعادته وعرض عليهم الاسلام فمالت قلوبهم نحوه وتواعدوا معه ان يعودوا اليه فى الموسم من العام القابل

مع نفر من قومهم بعد ان يبثوا فيهم روح الاسلام العالية . وقد تمنوا ان يسود الوفاق والوئام بين قبيلتى الاوس والخزرج (وهم السادة الانصار) وان يجمعهم الله عليه بعد ان ظلوا فى حرب طاحنة من يوم (بغاث) وهو يوم نحسهم الذى ابتدأت منه العداوة الشديدة بين هذين القبيلتين مدى خمسة أعوام

والذى جعلهم يتحققون من صدق الصادق المصدق ان حلفاءهم اليهود من بنى قريظة وبنى النضير كانوا يستفتحون عليهم بنبي قد جاء أوان ظهوره وكانوا يتوعدونهم بالانضواء تحت لوائه فيستأصلونهم معه كما هلكت عاد وارم . وكان اليهود يعلمون بظهوره مما ذكر بالتوراة وقد بين الله لنا عبارتها بقوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه اولئك هم المفلحون)

ولما جاء الموعد المحدد أقبل رجال من الاوس والخزرج وقد بايعوا السيد الكامل على ان يمنعوه مايمنعون منه نساءهم وأبناءهم وعلى السمع والطاعة فى العسر واليسر وان لاينازعوا الامر أهله وقد انتخب منهم اثنى عشر نقيبا ولما عاد هؤلاء الاثنا عشر الميامين الى يثرب قاموا بالدعاية الى التوحيد حتى فشى الاسلام فيهم وكثر بينهم فطلبوا من السيد الامين ان يبعث اليهم بمن يرشدهم الى أمر دينهم فارسل اليهم فتى قريش سيدنا مصعب بن عمير ونزل على النقيب سيدنا أسعد بن زرارة وقد أسلم السادة الانصار كلهم ثم هاجر الصحابة الاخيار اليهم وبعدها اذن الله تعالى لافضل

المهاجرين بالهجرة فكانت هجرته للدين عزا وللاسلام فخارا وللانصار سعدا عظيما حيث ذهبت الاضغان والاحقاد من صدورهم وأصلح الرسول الكريم ذات بينهم وقد نوه الكتاب الكريم عن ذلك في قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها) وأيضا شرفهم الله تعالى بان تشرق شمس الاسلام من ديارهم .

هذا وقد تآخى الانصار والمهاجرون في الله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصديقون . والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) - قرآن كريم -

الى طواف الافاضة

بعد رمي جمرة العقبة ركبنا العربة وسرنا الى مكة المكرمة وذهبنا الى المنزل فخلعت ثياب الاحرام ولبست ثيابي العادية ثم سرنا الى البيت المشرف لاداء ركن طواف الافاضة وهذا الركن يجوز اداؤه أثناء شهر الحجة الا انه في يوم النحر أفضل ومعظم الحجاج لايأتون به الا بعد ان يمضوا أيام التشريق بمنى ثم ينزلون الى مكة ويطوفون

نظرنا الى البيت المطهر واذا بالكسوة الجديدة الشريفة تسبل عليه والعمال قائمون باللازم نحو تزريرها وترتيبها فكبرنا الله تعالى ودعوناه ان يزيد بيته الكريم تشريفا وتعظيما وان يلهم القائمين بالامر الى السداد والرشاد

وبعد ان أتممنا الطواف خرجنا للسعي فسعينا وحمدنا الله تعالى. والى هنا تمت أعمال الحج المبارك والحمد لله تعالى على كمال نعمته وإحسانه

أيام التشريق بمنى

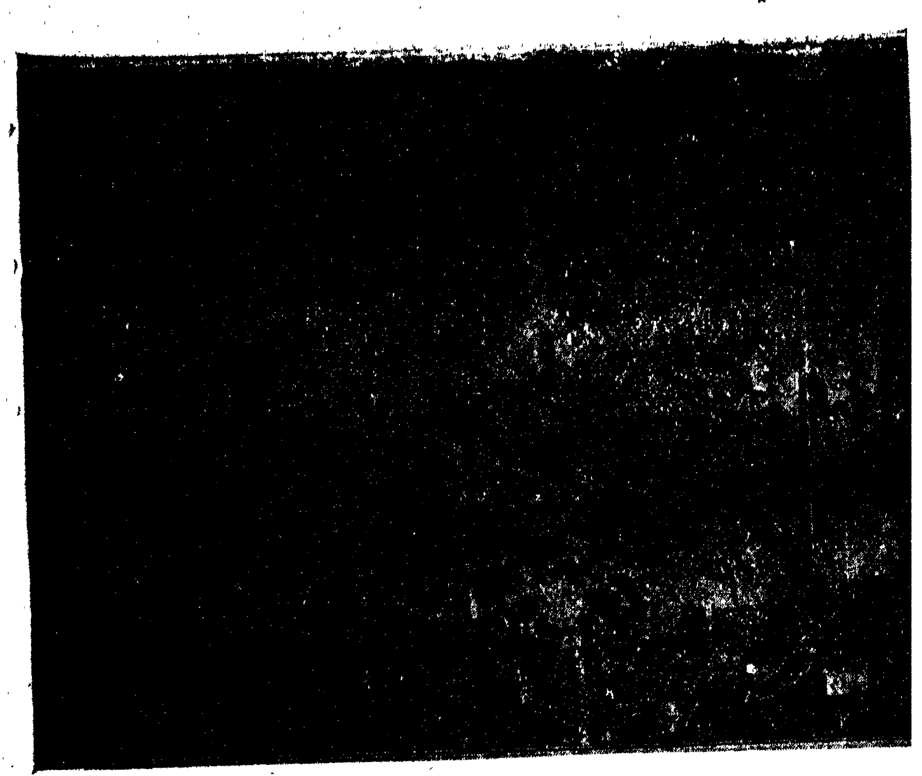
بعد ما استرحنا بالمنزل لحد العصر جاءنا صالح بالعربة ركبناها وعدنا الى منى ولما وصلنا هناك قيل بان العربات لا تدخل فى الشوارع منعا للزحام فصدعنا بالامر ومشينا على الاقدام الى مسجد الخيف محل مضرب الخيام ومعنا الحمال التكروني يحمل الامتعة ثم نزلنا بالخيمة الخاصة بنا وهي شرقي مسجد الخيف مباشرة وكنا وقتها عند الغروب

البساطة فى العيش

ما أطيبه من منظر خلوي بدوي حيث نفرش السجادة على الثرى ونتبسط فى العيش وما أحسن البساطة فى كل شيء لانه كلما تعمق الانسان فى المدنية كلما كثرت حاجاته وكلما كثرت حاجاته كلما زادت همومه وعند مايرى نفسه مضطرا لان يتحصل على الكماليات مجاراة للوسط الذى هو فيه فلا يبالى بالوجهة التى يوليها للحصول على هذه الكماليات

هذا وان أهل البادية لا يحملون من الهم مايحمله أهل الحضر لان البدوي يكفيه جرد واحد (حرام) يعيش به السنوات العديدة وهو يجعله غطاءه ووطاءه ويكفيه أيضا قميص ونعال وكذلك امرأته يكفيهامن الكسوة النذر اليسير ثم ومن عادة البدويين انهم لا يمتلئون بالطعام بل

انهم يتبلغون بالكفاف منه وهذا هو المراد من خلق الانسان فانه يجب ان يأكل ليعيش لا ان يعيش ليأكل وقد ورد فى الأثر (حسب المرء لقيمات يقمن بهاصلبه)



مسجد الخيف بمنى

الاماكن فى منى

أصبحنا الاربعاء ١١ الحجه ثانى أيام التشريق وقد خرجت إلى منى وهي عبارة عن الشارع الذى به الجمرات وشارع آخر يوازيه يسمونه (شارع الملك) وهناك مكتب للبريد والبرق ومكتب للصحة والشرطة وهناك أيضا مباني يستأجرها بعض الحجاج وينصبون الخيام فى فناءها ويقام هناك سوق كبير يباع فيه الخبز والخضر والفاكهة والبقول وكل أصناف

المأكولات ويباع فيه أيضا أنواع الهدايا التى يأخذها الحجاج معهم مثل المسبحات والخواتم والكوفيات والقلائدوالغويشات وغير ذلك

العيـــد والمحملان

وقد بعثت برسالة برقية إلى مصر للتهنئة بالعيدوهذاهو العيد السعيد الذي يتمناة الناس لبعضهم إذ يقول الواحد للآخر (عقبي لك السنة الجائية وأنت على منى) نعم أنه عيد سعيد لاننا مضيناة في كنف المولى البر الرحيم عند بيته المحرم ولكن كان يداخل النفس شيء من الكآبة والاسى لشتات أمر الاسلام وتفرق كلمته . وكم كانت الاعياد سعيدة عندما كان الاسلام مهاب الجانب قوي الشوكة. والآن أننا نرفع أكف الضراعة إلى المولى الكريم سبحانه وتعالى أن يلم شعثه وأن يرفع شأنه ويلهم أهـله الوفاق والوئام ويهديهم جميعا سبيل الرشاد

هذا وقد عادت بي الذكرى إلى أيام الحج الاولى وقت أن كنت أرى الافراح تقام هنا وهناك والناس فى غبطة وهناء حيث يقف المحملان المصري والشامي ويصطف رجالهما من كل الرتب وهم يرتدون كسى التشريفة الكبري للاشتراك فى الاحتفال بالعيد وكان لهذه الحفلة جلال وفخامة تزيح الهم عن القلب المحزون

كذلك وكان وجود هذين المحملين بجانب بعضهما رمزا من الرمور المعنوية على ارتباط هذين القطرين الشقيقين ارتباطا لا تنفصم عراه مدى الدهور والازمان وقد يشمل هذا الارتباط الآن الثلاثة ايالات التى تتكون منها الشام وهي (سوريا وفلسطين ولبنان)

ثم ووقت الاصيل عندما تتلطف حرارة الجو تصطف الموسيقات

وتشنف الاسماع بنغماتها الشجية إلى أن ينقضي النهار بسلام وهكذا في باقي أيام عيد الاضحى الثلاث

الذكر الرياضي

وكان مشايخ الطرق يقيمون حلقات الذكر الرياضي الذي لا محل للاعتراض عليه لان الشرع الشريف لا ينهانا عنه لما ورد في القرآن الكريم (واذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم) ولو كانت نشوة الطرب لذكر المولى القريب المجيب تخالج النفس فيهتز لها الجسم فليس هناك من بأس

وينبؤنا التاريخ بان سيدنا جعفر بن أبي طالب عند ما عاد من هجرة الحبشة وتلاقى مع ابن عمه العظيم وبهرته أنوار النبوة المتلألئة وجمالها المليح حجل برجله كرقصة أبناء الاحباش من شدة الطرب وفرحة اللقاء ولم يحصل أي اعتراض من قبل الرسالة العظمى

والآن قد دارت الايام دورتها حتى سمعنا بان صوت البوق (البورى) الذي ينبه العساكر الى أمور تتعلق بشؤونهم هو منكر من المنكرات التي لا يكفي فيها ان ننكرها بالقلب أو باللسان بل نقاومها باليد وبالطعان. ولكن الذين يصلون الى هذا الحدمن الزهادة هم الذين لا يدخلون مع المعنيين بقوله تعالى (ان الارض لله يرثها عبادي الصالحون) أي الصالحون لعمرانها

رجاء واستعطاف

من لي بابلاغ صوتي الى العاهل الكريم الذي ملأ الحجاز قسطا وعدلا لالتمس منه ان لا يعبأ بهذه الامور ما دام لباب الدين محفوظا ولا يعتوره أي مكروه . ليترك المحمل يسير بفرحه ومرحه وحفاوة موكبه حتى يفرح

الناس وتنشرح صدورهم وحتى يفرح الخالق بافراح خلقه وان عز عليه ان
يرى جنودا غير جنوده تخطر فى الحجاز فهذا الجنـد يامولاي هو الجند
المبارك وما هو الا كجندك لان القطرين صنوان عزيزان وشقيقان عطوفان

نعم يامولاي ان القطر المصري هو الأخ الحنون البار الذى يقتطع
من طيب ماله ويهديه الى الحرمين الشريفين خالصا مخلصا

اتفق يامولاي مع مصر واخفض جناحك لها وكن مع الجماعة فيدالله
معها ولا تركن الى مذهب واحد أو رأي واحد فالامة لاتجتمع على ضلال

رمى الجمرات

جمعت اثنتين وأربعين حصاة من أرض منى بمحل الخيام وبعد تناول
الغذاء والراحة وبعد الصلاة الوسطى قمنا الى رمي الجمار فرمي كل منا سبع
حصيات لكل جمرة من الجمرات الثلاث ثم عدنا فرحين مستبشرين

وكذلك فى اليوم التالى أي يوم الخميس ١٢ الحجه رمينا الجمرات بالكيفية
المتقدمة . وقد استصدر المطوف أمرا من الحكومة بحضور العربات عندنا
بمحل الخيام فاخذنا متاعنا وقمنا بعد صلاة العصر وكنا نرمى الجمرات
ونحن سائرون

وقد مضينا يومين اثنين بمنى وقد صدرت رخصة بهـذا من المولى
الرحيم فى قوله تعالى (واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين
فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليـه لمن اتقى واتقوا الله واعلموا انكم اليه
تحشرون) والقليل جدا من الحجاج يمضى الثلاثة أيام بمنى

العودة الى مكة المكرمة

سرنا بالعربات وكان البشر والسرور يلازم خطواتنا والحمدلله قد نلنا غاية المنى وبلوغ القصد من رب السموات والارض وقد وصلنا الى مكة قبل الغروب بسلام آمنين

ولدى وصولنا سمعنا خبرا شممنا منه رائحة التساهل حيث أقيمت حفلة العيد أمام القصر الملكي ونزل صاحب السمو الامير فيصل الى حلقة البرجاس وأخذ شوطه فيه ثم نزل والده الكريم وأخذ دوره أيضا

وقد صار أهل مكة المكرمة الآن يسمعون فى بيوتهم الحاكى (الفونوغراف)ويسمونه (الصندوق) وقد أمسى هذا الصندوق وله شأن عظيم فى أندية السمر المنزلية حيث تدار به اسطوانات أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وغيرهما

الجمعة الرابعة والسودان

كانت آخر جمعة من الجمع السعيدة التى كنا نتمتع فيها متاعا حسنا بالصلاة فى جوار البيت العتيق المطهر هي الجمعة الرابعة وكانت توافق يوم ١٣ الحجة فصلينا وحمدنا الله تعالى علي نعمه واحسانه ثم عدنا أدراجنا الى المنزل

ولقد تقابلت مع زمرة من اخواننا السودانيين فاحاطوا بى احاطة السوار بالمعصم وأخذوا يسلمون علي سلام مشوق لحبيب عاد بعد غياب طويل ويقولون مرحبا بأخينا المصرى وأهلا وسهلا (لان هيئتي كانت

تدل لأول وهلة على انني من المصريين)فقلت لحى الله السياسةالتى فرقت بين هذين اللذين المتقاربين والحبيبين العزيزين حيث تسقى أرضهما بماء واحد هو ماء النيل المبارك وتربطهما روابط كثيرة من الاخلاق والعادات

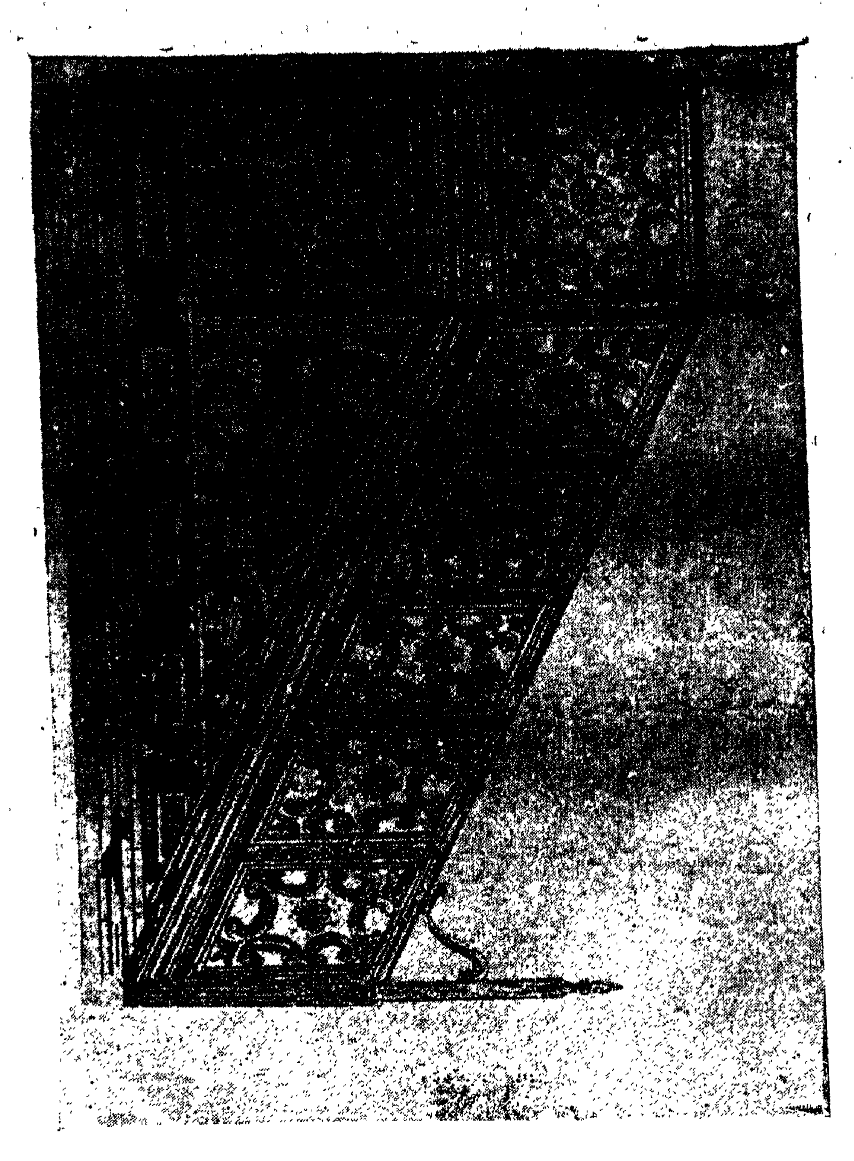
بالعتبة المقدسة

كنت أنوه كثيرا الى الحاج طاهر برغبتنا فى التشرف بدخول البيت المطهر فما نرى منه الا ناصحا أمينا حيث يعظنا بانه لايجوز ان يتهجم الانسان على الملك فى بيته وخصوصا هـذا البيت هو بيت رب الارباب وملك الملوك فكنت أجيبه بان سيدنا الانسان الكامل قد دخل البيت وهو خير قدوة لنا . وكان هذا الامر لايبرح من بالى . وكنا نرى الشيخ الشيبي أمين المفتاح يفتح باب الكعبة المشرفة بين كل يوم وآخر ويدخل الناس أفواجا للتبرك ولكن كان يتعذر علينا الوصول الى جهة الباب لشدة الزحام

وأخيرا فى يوم السبت ١٤ الحجة ٢ مايو قمنا قبل الاشراق ومكثنا نطوف ونتملى بالبيت المشرف ولزمنا الملتزم ندعو ونضرع الى الله تعالى واذا بالشيخ الشيبي قد أقبل مع توابعه ونصبوا له السلم الصغير

(ويوجد للكعبة المشرفة سلم كبير مزخرف بالفضة وعليه نقوش أخرى وهو يوضع فى الاحتفالات الكبيرة)

ثم صعد هؤلاء ومعهم المجامر ليطلقوا البخور داخل البيت المشرف ولما كنا بجانب السلم تماما (بجوار الملتزم) وجدنا ان الفرصة سانحة للدخول وقد أذن الله تعالى لنا بهذا التشريف العظيم . فناولت الخادم الواقف بجوار السلم شيأ من المال ليسلمه الى الشيبي ثم صعدت انا والحاجة



السلم الكبير للكعبة المشرفة

وكانت هزة سرور عظيمة تكاد الاعصاب ان تتخدر لها وكدنا ان نصعق لجلال الامر العظيم الذى وصلنا اليه . وقد صلينا فى أربعة أركان المكان ودعونا الله تعالي بما شاء ان ندعوه به

وقد وجدت بقية من بقايا التحايل المحبوب على الرزق وذلك ان هناك ستارة يقولون انها موضوعة على باب التوبة ويقف بجانبها رجل من أهل مكة يدخل الناس خلفها ويتلو لهم بعض الادعية فى مقابلة شيء يعطفون به عليه . وكذلك وجدت رجلا آخر يقول للزائر ضع رجلك هنا وقف على حجر الرحمة وينتقى حجرا أحمر من الاحجار المرصوف بها أرضية المكان وكنت أعطف عليهم مع علمى انه تحايل ولكنه على كل حال طريق من طرق الاحسان الذى قمنا من بلادنا لاجله

أخذت أطيل النظر فى الشيخ الشيبي واذا به رجل نحيل ربعة يميل الى السمرة وهو فى آخر مرحلة من مراحل العمر وقد بيضت السنون شعره وأحنت ظهره ويحف به ناس من أولاده وأحفاده وخدمه . وبنو شيبة كلهم فى سعة من العيش

فكرت حتى رجعت الى يوم الفتح الاعظم وقد أخذ الفاتح العظيم مفتاح الكعبة المشرفة من عثمان بن طلحة من بنى عبد الدار وكانت الحجابة فيهم مع اللواء (وعبد الدار وعبد مناف اخوان لابيهما قصي أحد الاباء العظام المتصلين بالنسب الشريف الطاهر)

ثم صدر الامر من السماء (ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها) عند ذلك رد السيد الامين المفتاح الى عثمان بن طلحه وقال (خذوها يابنى طلحة خالدة تالدة لاينزعها منكم إلا ظالم) وقدمات عثمان بن طلحة ولم يعقب فورث الحجابة شيبة ابن أخيه وقد صارت فى بنيه الى يومنا هذا

العمرة من التنعيم

قلت ان منزلنا كائن بمحلة الشبيكة وهي الطريق العمومي للداخل الى الحرم الشريف والخارج منه من جهة الغرب (أي من طريق جدة والمدينة) . ولما ان أتم الناس كل مناسك الحج رأينا بعضهم يخرجون بثياب الاحرام ليأتوا بعمرة من التنعيم كما أتت بها السيدة عائشة الصديقية والتنعيم هذا يبعد عن الحرم الشريف بنحو الستة كيلومترات تقريبا وهو حدود الحرم من جهة المدينة

وهذه العمرة هي التى اعتمرتها السيدة عائشة الصديقية حين خرجت الى التنعيم هي وأخوها الكريم سيدنا عبد الرحمن بن سيدنا أبى بكر الصديق وأحرمت منه للعمرة بدل التى فاتتها عند قدومها مع السيد الكامل فى حجه المبارك ولما وصلت الى سرف أتتها عادة النساء فامرها الرسول الكريم ان تقف المواقف كلها الا الطواف والسعي وأخبرها بان أعمال الحج تندمج فيها أعمال العمرة ولكنها أرادت الاستزادة من الثواب فاتت بالعمرة التى نحن بصدد الكلام عنها

وكنا نريد ان نأتى بهذه العمرة ولكن عادة النساء جاءت الى الحاجة فلم نتمكن من الذهاب اليها وهي على كل حال من النوافل وليست من الحج فى شيء

والحمد لله قد أدت الحاجة المناسك كلها ولم يفتها منها شيء الا ان كان طواف الوداع وهو يسقط عنها كما سبق للسيدة صفية أم المؤمنين . وكان من رحمة الله تعالى بالحاجة ان جاءتها هده العادة فى هذا الاوان حتى تدخل المدينة المنورة وهي غير محدثة

كيفية الترحيل

انه يتحتم على المطوف ان يقوم باللازم نحو ترحيل حجاجه سواء الى المدينة المنورة أو الى بلادهم عن طريق جدة فمن يريد السفر منهم على الجمال يخطر عنهم المقوم (وهو رئيس طائفة الجمالين) ومن يريد السفر بالسيارات يخطر عنهم النقيب (أي نقيب شركات السيارات) وحتى ومن يرغب السفر راجلا لابد ان يخطر عنه وكل هؤلاء لهم صلة بالحكومة لاجل تحصيل الضرائب وهي تجبي هذه الضرائب باعتبار النصف أو أكثر قليلا مما تحصله الشركات أو الجمال

وكان عمال الحكومة المصرية المنوط بهم أعمال تتعلق بمأمورية الحج عند مايرغبون الحج أو الزيارة يطلبون من مندوب الداخلية مخابرة الحكومة السعودية لمعافاتهم من الكوشان (اتاوة الحكومة) فتسمح لهم بهذا

وقد سلمت الى الحاج طاهر أربعة وعشرين جنيها وأربعة عشر غرشا مصريا أجرة السيارة الى المدينة المنورة ذهابا وعودة عني وعن الحاجة

ولما كان من عادة السيارات ان لاتحمل من الامتعة الا الضروري لكل حاج وكانت (أخراجنا) محشوة بامتعة كثيرة فاضطررنا لان نستأجر لها جملا لتوصيلها الى جدة وحفظها عند وكيل المطوف لحين عودتنا وقد دفعنا أجرته جنيهين اثنين . وكل من يريد الاقتصاد في النفقة فليقلل من العفش بقدر الاستطاعة. أما جيراننا القنائيون فقد انصرفت رغبتهم الى السفر للزيارة على الجمال لتخف عنهم المصاريف فصار المرغوب نقلهم بواسطة مطوفنا على السيارة اثنى عشر شخصا وهم التسعة الافغانيون والحاج محمد سليمان ونحن الاثنان وقد عمل الحاج طاهر الاجراءات اللازمة نحو الحصول على السيارة

القلب يأبى الوداع

بقى علينا من الواجبات نحو البيت العتيق المطهر ان نطوف به طواف الوداع فقمت بهـذا الواجب والقلب راغم لانه لايريد الوداع . التزمت الملتزم وكنت آمل ان العبرات التى تجود بها المقـلة تبرد من لوعة الفؤاد المفؤود لهـذا الفراق . بكيت وبكيت طويلا لانه فراق لمحل تنزلات الرحمة الالهية ومكان تعطفات العزة الصمدانيـة . تأثرت لفراق البيت بيت ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . فهو سبحانه وتعالى الذى يلهم الوليد بان يلتهم حلمة الثدي ليتبلغ للحياة . وهو الذى يهدى العجم من السوائم لان تحنو على نسلها حتى يعيش وينمو . وهو الذي يهدى الفلك التى تجرى فى البحر بامره

ان حشاشة القلب تكاد ان تتمزق لفراق بيت ربنا واجب الوجود الذى اهتدى لوجوده البدوي البسيط يستدل على ذلك بما يقع تحت حسه ونظره اذ يقول (البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير) وهـذا الكون بنظامه البديع المتقن دلالة صريحة على وجوده سبحانه وتعالى

انه لو كانت البحار مدادا والاشجار أقلاما ماقامت بالثناء على الله تعالى ازاء فضله وتكريمه لابن آدم حيث جعله جرما صغيرا وتنطوى فيه العوالم الكبيرة فبينما تراه جاثما على الثرى اذاهو يسرح بادراكه الى ماوراء الطبيعة واذا به أيضا يرصد الكواكب فيتعرف كنهها . وهو يتعمق فى العـلوم الكونية حتى أصبح يناطح الافلاك ويسابق الاسماك ويسخر الجو لمواصلاته

فالاثير طوع أمره والهواء والشمس والقمر والنجوم مسخرات لسعيه (الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وأتاكم من كل ماسألتموه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها) ـ قرآن كريم ـ

بطل الرواية

ان معظم رحلتنا الميمونة هذه كانت فى مكة المكرمة ولذلك نعتبر الحاج طاهر انه بطل روايتنا ولكننا لا نقف منه موقف القصصيين الذين يسدلون حجابا من الفضيلة على أبطال رواياتهم حتى لايظهر عليهم أي تجريح . وبما اننى أكتب هذه الصحيفة لتضاف على صفحات التاريخ فما يكون لى ان أحيد عن الحقيقة قيد شعرة ولهذا ترانى مضطرا لان أثبت بادرة صغيرة بدرت منه ولا أعتبرها هفوة بل هي أقل منها بكثير

وذلك ان الذين سبقونا بالحج يحذروننا من ركوب السيارة (التاكس) الصغيرة لانها تتعطل كثيرا ولا تجد من يعينها بخلاف اللوري فانها تحمل ركابا كثيرين ولو تعطلت فى الرمل يعاونها ركابها العديدون لانهاضها ولهذا انصرفت كل رغبتنا الى الركوب فى هذه اللوري وقد قيل لنا أيضا بان الركوب فى مقدم السيارة أحسن منه فى مؤخرتها لهذا رجونا الحاج طاهر بان يجعلنا نبادر قبل الناس فى الركوب لنتخذ المكان الحسن بها

يوم الخروج

عزمنا ان نخرج الى جرول (الشيخ محمود) ويسمونه (البروز) لان

الحجاج ينتظرون الترحيل من هناك

وفى صباح يوم الاثنين ١٦ الحجة ٤ مايو بارحنا المنزل بعد ان قامت صاحبتى بتوديع السيدات صويحباته وقد استأجرنا عربة صندوق لحمل المتاع وللركوب ولما وصلنا الى (جرول) وجدنا الحاج طاهر يتزلف الى السيد الافغانى وقد رأيناهم أخذوا مجالسهم فى مقدم السيارة ولولا ان اجتهدنا وأفسحنا مكانا بينهم لكنا فى المؤخرة فكأنى بالحاج طاهر وهو يتمشى مع المثل القائل (بعد المعركة تصير معرفة) وقد اجتهدت ان لا أعكر الصفو بينى وبينه سيما ونحن فى مقام الوداع ونود ان يكون الختام مسكا عطرا. والحاج طاهر قد بذل جهدا كبيرا فى خدمتنا ونحن أيضا بذلنا مافى وسعنا لمرضاته

كلمة الى المسلمين

قبل ان تتحرك السيارة التى كلمة وجيزة الفت بها أنظار اخواننا المسلمين بان هذه الارض المقدسة هي المملكة الروحية للعالم الاسلامي فيجب ان نبذل النفس والنفيس فى حفظها ورفاهتها

ان الحرم المكي الشريف يحتاج الى اصلاح كبير بان تبلط أرضه بأكملها ويحتاج أيضا الى مظلات أوسع من المظلات الحالية حتى لايجلس النـاس فى الصلاة على الحصى وحتى لاتلفح وجوههم الشمس المحرقة. ويحتاج أيضا الى تعهده بالنظافة وبالدهان (بالبوية) وان يعطى له النور الكافي وان يفرش بالبسط أو جزء منه ويفرش الباقى بشيء آخر مثل الحصر أو سواها

ثم ويحتاج الحال أيضا الى دورة مياه كبيرة جدا ليتمكن الحجاج كلهم من قضاء الحاجة ومن الاستنجاء أولى من وقوفهم فى الطرقات لهذا الغرض

وما دام ان العالم كله قد تطور فيه العمران فيجب ان يصل التحسين الى المسجد الحرام . وعار على المسلمين ان لاتكون قبلتهم فى أكمل تنظيم وأفخم ترتيب

هذا واذا كانت الحكومة القائمة بالامر فى الحجاز تحتاج الى المال لهذا الغرض فالواجب علينا ان نمدها به ان لم يكن بطريق الاكتتاب فنتقبل ماتسنه الحكومة الحجازية من الضرائب على الحجاج

كلمة الى الحكومه السعودية

بقى لى كلمة أبديها للحكومة السعودية وهي أننى بارحت هذا البلد الامين المقدس وكلى السنة ناطقة بالشكر إزاء قيامها بواجبها كما تفعل الحكومات الرشيدة من المحافظة على الامن وعلى الاخلاق وعلى الدين وعلى الصحة وعلى المال وعلى الآداب وبالجملة لانها تقيم منار العدل كتعاليم الاسلام الحكيمة وإننى أتقدم إليها برجاء بسيط هو انها تسير مع جمهور المسلمين فى المسائل المختلف عليها والتى لا تزال معلقة بينها وبين جاراتها وخصوصا مصرنا المحبوبة وأن لا تخرج عن الجماعة فى كل الآراء وأن تلتفت بنوع خاص إلى حفظ الآثار الاسلامية

وربما ترى أن تعير مقترحاتى التى بينتها بكتابى هذا جانبا من الرعاية والنظر

اخر الاوقات السعيدة

أنه لا بد لكل إنسان أن يتقلب فى حلو العيش ومره ولا بد له أيضا أن تمر عليه الاضداد من أنواع الحياة فكان من أسعد أيامنا التى

مرت علينا هذه الاربعة وعشرون يوما التى مضيناها فى كنف المولى الكريم بجوار بيته المطهر وكنا كما كان عبيده محل رعايته وأمانه ورضوانه إلى أن أزمعنا الرحيل اليوم. والذى كان يكفكف الدمع المدرار المهتون ويبرد لهيب الجوى من قلب المفارق المحزون هوان وجهة السفر كانت إلى طيبة طيب الله ثراها ونظر بنظرات تحنانه واحسانه إلى أهلها وكل من يغشاها

الى جـــدة

قامت بنا اللوري قبل الظهر وسارت فى طريقها إلى جـدة وكانت تصاب بعطب أثناء الطريق حتى تعطلت مرارا فلم نصل الى جدة الا قبل الغروب بقليل وكانت طرقات جدة ومنازلها كلها مشغولة بالجاويين وعفشهم لترحيلهم الى بلادهم كذلك وكان منزل باتان مشغولا بالجـاويين والهنود ولكنهم أفسحوا لنا مكانا للمبيت فيه أما السيد الافغاني فأنه بات بمنزل آخر وأما الحاج محمد سليمان فأنه بات مع أصحاب لنا من المصريين ينزلون بدار أخرى

وقد استيقظنا فى صباح الثلاث ١٧ الحجة وصرنا ننتظر قيام السيارة وقد مشيت قليلا فى جدة وجهزنا شيئا من الغذاء لاكلنا أثناء الطريق

وانني أعود الى ما يذكره التاريخ عن جدة هذه فأن مينا الحجاز كانت فى الشعيبية وهي جنوبى جدة وقريبة منها وقد رأى الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان أن ينقلها الى جدة لقربها من مكة المكرمة فنقلها اليها من سنة ٢٦ هجرية

السيارات والحكـــومة

كل سيارة لا تخرج الى السفر الا من بعد أن تكشف عليها الحكومة كشفا فنيا وهي تأمر كل شركة أن تعد عربة احتياط تمشي وراء عرباتها تحمل

بعض الآلات والعجلات حتى اذا تعطلت احداها تمدها بما يلزم لها وأيضا
تنبه الحكومة على الشركات بتعيين أحد المهندسين من قبلها يسير مع العربة
الاحتياط حتى يقوم بتصليح أي عربة يحصل لها عطب وكذلك كل شركة
يكون لها مخازن فى الطريق لتخزين البنزين حتى تأخذ العربات كفايتها منه

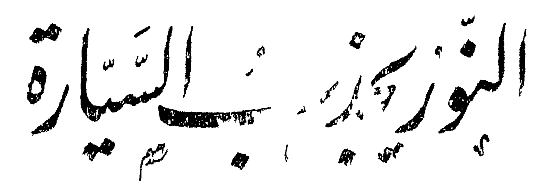
وكانت سيارتنا رقم ٧٨٠ من الشركة الخيرية وقد ذهب بها سواقها
واسمه بكر السوداني الى مركز الشركة لتصليحها واعدادها للسفر

وكانت السيارات تستخدم الاجانب من المصريين وغيرهم (المسلمين)
ولما تعلم أهل البلاد مهنة سواقة السيارات صارت تستغنى عن هؤلاء الاجانب

الاستعداد لقيـــام السيارة

بعد العصر أقبلت السيارة فركبنا وركب السيد الافغاني وحاشيته
وقد سار السواق بالسيارة الى أن أوقفها بجانب السور الشمالي للبلد وكان
مخفر الشرطة على بابه وقد صارت الحكومة تعمل احرازاتها فى قيد السيارات
ورقمها وركابها وجنسياتهم مع كتابة التصاريح اللازمة التى تخول لها المرور
من المخافر الموجودة بالطريق

وعندما جاء الدور للسيارة كان الليل ارخى سدوله فصار الغسق قد
استلم السواق التصاريح وادار ... الالة المحركة ليستعد للسير كان



انطلقت بنا السيارة انطلاق السهم من الرمية وسرنا على بركة الله تعالى
والقلوب فرحة مستبشرة والصدور منشرحة مرتاحة وكانت السيارة تمه



أثناء السير

مصابيحها الامامية القوية حتى يظهر الطريق امامها واضحا واستمرت تسير نحو الساعتين الى ان وصلنا الى نقطة اسمها (توال) فانتظرنا هنالك للمبيت

وكان بهذه النقطة اماكن معدة لراحة الحجاج ومبيتهم وهي مصنوعة من (القش) وبعضها مفروش (بالخسف الخوص) ومضاء بمصابيح البترول وبها مقاعد (دكك) من الحبال الليف المجدول يشبه (العنجريب) وهى مجعولة بصفة مقهى يعرض بها الشاي والقهوة ويباع بها ايضا بعض المأكولات ويوجد غير ذلك اماكن صغيرة من (القش) ايضا مجعولة كغرف خصوصية لمن يريد العزلة فأخذ السيد الافغاني غرفة لعائلته واخذت غرفة اخرى لى وصاحبتى اما الحاج محمد سليمان فانه بات بالمحل العمومي (المقهى) وكذلك الخدم الافغانيون . وكان هنالك مقاهى كثيرة غير هده لمبيت الحجاج ولما تميز الخيط الابيض من الخيط الاسود استيقظت واستيقظ الاخرون وصلينا وسرنا على بركة الله تعالى وصرنا نقف بالطريق ببعض النقط للراحة وشرب الشاي والقهوة والغذاء الى ان وصلنا الى نقطة المساجيد عند المساء وكان الاعراب يبيعون بالطريق كثيراً من الخبز والسمك وبعض البقول والفواكه

الدرب سابقا

طلقة بارودة واحدة من قمة احد الجبال التى تكتنف الدرب عن يمين وشمال كانت توقف الركب كله حتى يتفاوض العربان مع الحجيج فيملى شيخ القبيلة ارادته عليهم بان يدفع كل حاج اتاوة قدرها خمسة ريالات فيذعنون للامر ويجيبون الطلب ثم يسير الركب واذا به يسمع طلقة اخرى فيملى

شيخ القبيلة الثانية ارادته ايضا بان يدفع كل حاج ثلاثة ريالات فكان الحجاج مدى الاثنى عشرة مرحلة التى يقطعها المسافر حتى يصل الى المدينة المنورة وهم تحت رحمة مشايخ العربان ان شاء وايسمحون لهم بالمرور والاهناك العذاب والتقتيل

وكانت تهون المصيبة لوقف الداء عند هذا الحد بل هناك داء دفين يستعصي برؤه وهم الاعراب (الجمالة) فأن الحاج المسكين كان يأخذ معه الشاي والبن والسكر والخبز والجبن وغير ذلك ليلقم الجمال كما يلقم الكلب المسعور والايهوى بالخنجر الى أحشائه فيفريها ولا من مغيث

أنظر كيف يكون الجاهل عدو نفسه وتأمل أيضا فى حالة المعرض عن تفهم كنه هذه الملة السمحة كيف يتخبط فى ظلمات عميقة من الجهل المطبق. إنه لو عرف هذا الاعرابي الغبي بأن الدين لا يفرض الحج الا عند أمن الطريق ثم يأتى هو بصلفه وغروره فيجعل حبل الامن مضطربا حتى يحجم الناس عن الحج ويمنع عن نفسه الانتفاع

العربان الان

والآن ماذا نرى ؟ نرى ذرارى هؤلاء العربان يقفون حفايا عرايا وسط طريق السيارات يستندون الاكف وينادون (يابلى بلى يابوي هللة يابوي) فيرمى له بعض الركاب بالهللة كما ترمى الكسرة الى أي حيوان

تقف السيارة ليملاء السائق خزانها بالبنزين ويلقى الصفيحة فارغة على قارعة الطريق وأقسم اننا كنا نعود فنرى الصفيحة كما هي ولا يجسر أحد من الدنو اليها

كنت أتحسر على استماعى للنصائح الجوفاء التى عاقتنى عن ركوب

(التاكس) وانني أرى هذا التاكس وهو معطل بالطريق فيأتى الفاتكون بالامس والوادعون اليوم فيساعدونه الى أن يأخذ طريقه

يالله . هل نحن بالحجاز فى القرن الرابع عشر الهجري ؟ كلا بل تخيلت نفسي فى خير القرون وقت ان كان ظل الامن الوارف يمتد رواقه على الحجاز فيلزم الكل حدود االادب الديني و يكفون عن الاذى . وقت ان كان سلام الطمأنينة يعم البلاد فتتنفس الانفس نسيمه اللطيف فتذهب معه وخامة العسف والجور . وقت ان كان من نصر بالرعب ينشر لواء العدل فيخفق على الرؤس حتى تتقارب الانسانية وتتعرف حقيقة (الحرية والاخاء والمساواة)

الاستمرار فى المسير

بتنا بالمساجيد فى غرفة خصوصية ايضا وكنا نحل ربطة السجادة ونخرج الفراش منها لاجل المنام ونستخرج ايضا من (السبت) ما يلزم لنا من الطعام وكان الشاي والقهوة موجودين بالمكان فنأخذ كفايتنا منه

انه اذا عدل الراعى اعتدلت الرعية فكنت عندما اريد المنام لا استغرق فيه كثيرا للخوف على الامتعة وعلى انفسنا ايضا ولكنني رأيت انه لم يخطر على قلب اي اعرابي ان تمتد يده بسوء الينا حتى كنا نتفقد الاشياء البسيطة فنلقاها كما هي

هذا وقد مضينا الطريق وصاحبتي فى صيانة تامة وحجاب محكم حتى كان هذا يدحض قول من قال بانه غير ميسور للنساء فى هذا الطريق ان يحافظن على الستر والصون (ولكل امرء من دهره ما تعود)

السيد الافغـــــانى

كنت انظر الى هذا الرجل بعين الاحترام والعطف حيث تظهر عليه سلامه الطويه وكان منظره يملأ العين مهابةوارتياحاوالذى يزيداحترامه فى نظرى ان النساء اللائى معه كن فى غاية الحشمة والوقار وما كنا نرى لايتهن وجها ولا يدا. وكان ابنهمعه وهو شاب مؤدب وكان يشكو بعض المرض فصاروا يمهدون له فراشا بالعربة فكان ينام معظم الطريق

والامر الذى كنت آسف له أنه لايعرف العربية فيكلمنى ولا أنا أعرف الافغانية فاكلمهوكذلك كل الذين معه ولهذا كنا لاتتفاهم معهم مطلقا وكان معى عقاقير مختلفة للعلاج ولكنى لمأعرف نوع المرض الذي يعتريه وأخيرا ناولته بعض الحبوب المسهلة فأذن الله تعالى له بالشفاء

بلاد الافغان

هذا وانني احفظ فى قرارة النفس كثيرا من الاعجاب والحب لبلاد الافغان التى لاتزال دائبة على التسمك بتعاليم الملة الحنيفية وهي فضلا عن احتفاظها بالاخلاق القويمة الكريمة فانها ايضا تتفانى فى محبة اوطانها حتى كانت تذود عنها بكل ما اوتيت من قوة وعزيمةوعندما كان بعض متاخميها يريد ان يبتلعها يجدونها لقمة غير سائغة فلايستطيعون ازدرادها .وهكذا تكون الامم الباسلة التى تريد ان تتبوأ مركزها تحت الشمس بعزةوانفة

كذلك والتاريخ يسطر بين طياته صحيفة ناصعة من الفخر والكرامة لما قام به ابو مسلم الخراساني من الانتصار للحق حيث كان العامل القوي في رد حقوق العباسيين

امان الله خان

وعلى ذكر بلاد الافغان قد تذكرت ان الملك امان الله خان الملك الاسبق لهذه البلاد قد جاء الى الحج فى هذا العـام ونزل ضيفا كريما على البيت المالك بالحجاز . ولما جاء ذكره تذكرت فضل المولى عز وجل واحسانه وانه سبحانه وتعالى يدافع عن اللاجئين الى اعتابه القدسية حيث ان الشعب الافغاني لايحيد قيد شعرة عن مبادىء الاسلام السامية ولمـا اراد زعيمه ان يورده موارد البوار وان يخرجه من عز الطاعة حتى يرديه فى هاوية سحيقة من الاستخفاف والاستهتار نظر اليه مولاه بعين رحمته وانقذه من هذه الاسواء

وانى التمس بعض العذر لمن يغره زخرف هذه المدنية (المادية) حيث يكون مثله كمثل ساكن المنجم عندما يخرج الى وهج الشمس لابد ان تعشى بصره فلا يميز الغث من السمين ولا الخبيث من الطيب

الـكماليون

ومن الذين جذبهم مغناطيس هذه المدنية (المادية) إخواننا الكماليون وهؤلاء قد نشأوا فى (الروملى) مجاورين لاوربا ولما وجدوا أنها تسيطر على المسكونة أرادوا أن يسيروا اسيرتها حتى يتقدموا تقدمها ولكن فاتهم أن الاتراك الاولين كانوا يفوقون الافرنج رجولة ورقيا وخصوصا فى الحياة المنزلية حيث كنت عندما تلج البيت يكون أول واجب عليك أن تخلع نعليك كانك تدخل الى مكان مقدس ثم تلبس شيئا آخر مثل (شبشب) أو (بنتوفلي) لم يتدنس باوحال الطريق . وأنك لتدهش من نظافة البيت

وترتيبه وقد ترى أثاثه بسيطا ولـكنه يبهرك نظافته وتنسيقه . وتجد أيضا ربة البيت وهي تديره بحزم ولباقة وأطفالها يدبون حولها كالاغصان الغضة القوية وهم يسيرون بسرعة الى النمو الطبيعي بسبب الاعتناء بتربيتهم وتنظيفهم . ولو أسعدك الحظ وتناولت شيئا من الطعام على مائدة تركية لعجبت من ترتيبها وتنميقها ويعجبك الطهي وانتقاء الاطعمة واختيار الالوان

اننا نكبر من الكماليين أثرتهم بالانتفاع بمنتجات بلادهم حتى وأن الحكومة ذاتها تحث الاهالى على تعضيدهم لبعضهم وتحتم على موظفيها أن لايشتروا الضروريات الا من صنع بلادهم . وأننا نقدر لهم أيضا تقدمهم فى مرافق الحياة كلها فهم ينشئون المصانع ويشقون الترع ويقيمون الجسور ويمهدون الطريق ويطيرون فى الهواء ويغوصون فى الماء وكل هذا جميل وحسن ولكن مابال المرأة التركية تصد خدرها وتهجر عشها هل المدنية كلها تنحصر فى بروز المرأة سافرة متبرجة ؟ فيا اسفا على المرأة التركية القديمة التى كانت تضىء البيت بجمالها وكمالها وكانت كالوردة النضرة التى لايجسر احد على العبث بها او الاقدام على مسها وكان الرجل التركي لايرتكن على المرأة لتسعى بجانبه كما يفعل الاغيار من الامم بل كان يكد ويكدح لاجل اسعادها وصونها

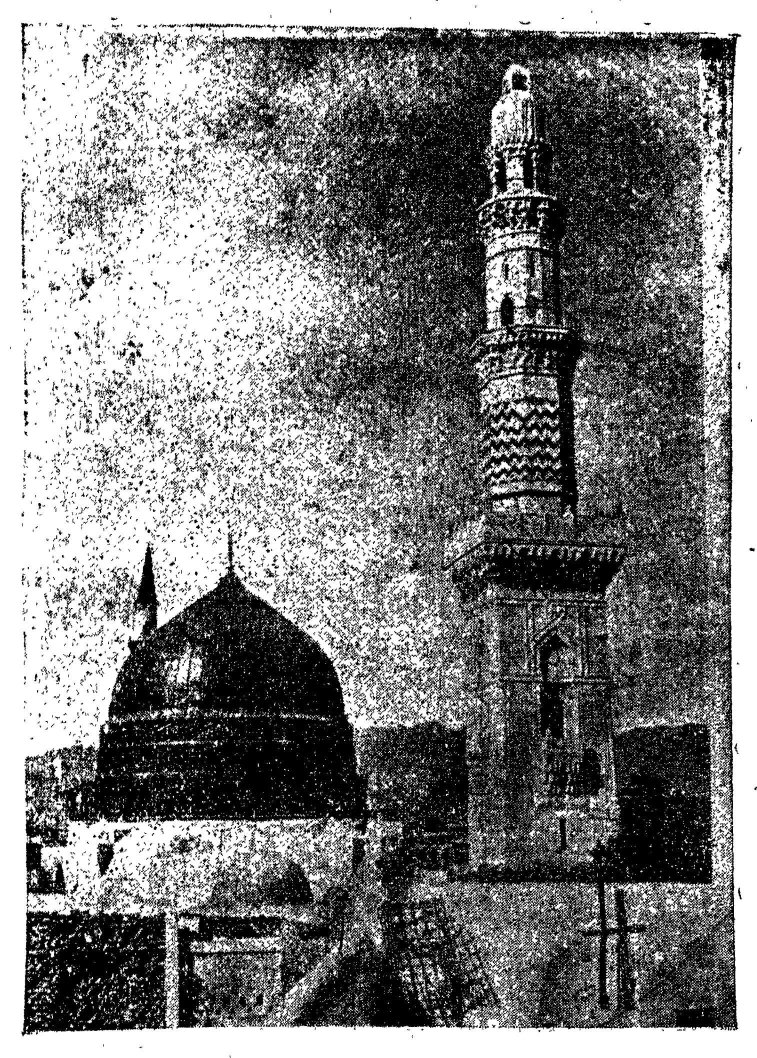
ولقد قيل بان الذى جعل الكماليين ينأون بجانبهم عن الشرق ولم يريدوا أن يروا بينهم اثارة من أثره حتى أبدلوا أحرف كتابتهم بالاحرف اللاتينية انهم وجدوا المسلمين من كل الجنسيات يتألبون عليهم حتى خسروا الحرب

وقد نتج من هذه الحالة ظهور اية من ايات الله الكبرى تعرفنا بأن

كل من اعتز بغير الله لا بد ان يذل على يديه فترى الذين ظاهروا الخلفاء بالامس يعضون النواجذ أسفا اليوم حيث انهم قلبوا لهم ظهر المجن ونكثوا بعهودهم معهم (إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم) - قرآن كريم -

النهار السعيد

استيقظنا فى الصباح المبكر من يوم الخميس ١٦ الحجة ٧ مايو وبعد



رسم قبة النبي عليه الصلاة و السلام

ان أدينا واجبنا نحو ربنا ونحو نفوسنا ركبنا السيارة وقلوبنا تخفق لشدة الفرح وقد شعرت بقشعريرة بسبب برودة الجو ارتديت لاجلها المعطف وكان هـذا برد المدينة وسلامها هدية الكريم لتحية القدوم

يقول هانوتو وزير خارجية فرنسا سابقا (وما قبر محمد الانور كهربا ئي يجذب قلوب المسلمين) وهذه هي الحقيقة بعينها لان قلبي كان يستبطىء السيارة وهي تنهب الارض نهبا وتهد الجبال هدا ويود ان لو يطير ليحظى بشرف المثول

هذه آبار على بشائر أعلام المدينة شربنا من ماءها حتى ارتوينا لانه عذب زلال ثم تابعنا السير حتى شاهدنا النور والبهاء والجمال

في حضرة الكمال

مدينة النور

هذه مدينة المدنية الصحيحة التي تبعد الانسان عن عبادة الاشخاص. هذه مستودع النور الذى يشع على الانسانية فينير لها طريقها الى الهدى والرشاد . هذه مهبط الوحي ومهد العرفان ومنبع الكمال والجلال . هـذه مدينة الايمان الذى ارتشف من منهله العـذب خلصاء المؤمنين فصارت قلوبهم عامرة بالعلم الصحيح والرأي الرجيح علم الحيـاتين وسعادة الدارين

وقفت اللوري بالمتسع الكائن امام محطة السكة الحديد القديمة ويرحم الله أيام هذه السكة الحجازية كنا نكتتب ويكتتب الناس لاجلها حتى اذن الله تعالى لها بالتمام فكانت سفرتنا بها عام ١٩١٠ سفرة مريحة مزيحة للاتراح حتى جاءت هذه الحرب العالمية المشؤمة فعطلت هذه السكة المباركة ولله فى خلقه شؤون

المسافة بين مكة والمدينة ٥٠٠ كيلو مترا تقريبا وكان يمكن السيارة

ان تقطع هذه المسافة بالراحة فى ظرف سبع عشرة ساعة أي باعتبار ثلاثين كيلو مترا فى الساعة الواحدة لان الطريق ليست ممهدة بل كانت السيارة تسير بين وهاد ونجاد وقد قطعت السيارات هذه المسافة فى نحو الستين ساعة لانها كانت تجنح الى الراحة حتى تصلح من شأنها وتأمن سخونة عدتها وحتى يستريح السواق ومساعده أيضا

فى مقعد بنى حسين

تقدم الينا بعض أهل المدينة يدعوننا الى النزول عندهم ولكننى كنت



الباب المصرى بسور المدينة المنورة

أحمل اسم الشيخ عبد الله صالح فضايلي ولما ذكرت اسمه حضر أخوه الشيخ حمزة فضايلي وأحضر الحمالين التكارنة حملوا الامتعة وسرنا من باب العنبرية (وهو احد أبواب السور الاول) الى المناخة الى الباب المصري (أحد أبواب السور الثاني)

وهنالك قريبا من باب السلام عطفنا جهة اليمين على نزلة بني حسين ودخلنا دار الفضايلي وهي معروفة (بمقعد بني حسين) وقابلنا الشيخ عبد الله ببشاشته وحسن خلقه . واهل المدينة المنورة كلهم على جانب عظيم من الوداعة ولين العريكة . واخلى لنا دورا ارضيا وحدنا اما الحاج محمد سليمان فانه نزل بغرفة بدور علوي مع حجاج اخرين من الهنود والجاويين وكان يتوعك من مرض اصابه الا انه ببركة تقواه وورعه كان يقاوم هذا المرض مع اخذه باسباب العلاج والسيد الافغاني قد ذهب الى منزل اخر وكان لابد لي ان انظف ثيابي وبدني حتى استعد للقاء العظيم

امام الحضرة النبوية

بدت أنوار طه فكانت قرة العين وفرحة القلب فوقفت أمام الحجرة الشريفة وليس عندي جارحة الا وتضطرب لعظم هـذا الموقف وجلاله وهذا بعد ان قمت للمسجد الشريف بواجب التحية بالصلاة

وضعت يدي على صدري وقلت السلام عليك يارسول الله . السلام عليك ياحبيب الله . أشهـد انك بلغت الرسالة وأديت الامانة فجزاك الله عنا وعن أمتك خير الجزاء . ثم انتقلت خطوة الى يميني وسلمت على سيدنا الصديق الكريم ثم خطوة أخرى وسلمت على أمير المؤمنين الفـاروق وبعد هذا استقبلت القبلة ودعونا الله تعالى ان يصلح شأننا وشأن المسلمين وكنت أرى الجند السعوديين يكفون أيدي الناس عن التمسح بالقبر

الشريف ويقولون للناس ان هو الا نحاس أحضر من الاستانة وصاحب القبر قد أدى مأموريته التى كلف بها ثم مات

وهنا ساءلت نفسى هل العساكر عندنا فى مصر يجندون من الطبقة المتنورة حتى أقيم لقول العساكر السعوديين وزنا ؟ كلا بل هم قوم لا يعرفون من الدين الا قشوره ويتمسكون بجزء جامد غير مرن من التعليم لا يتمشى مع روح الاسلام العالية وتعاليمه المجيدة التى توافق كل زمان ومكان

لقد وصل الى علمنا ان الصحابة وهم الذين ائتمناهم على أخذ ديننا عنهم كانوا يمسحون بوضوء الانسان المكمل أبدانهم للتبرك ووصل الى علمنا أيضا ان يده الشريفة وريقه المبارك كم ابرآ من مرض وكم أذهبا من وصب ومتى عرفنا هذا نعتقد بان جسده الشريف مبارك وكل مايلامسه مبارك أيضا . سيما وانه يقول الخواص من المسلمين ان هذه البقعة من الارض التى تضم اعضاء أشرف الورى هي أفضل من كل شيء فى الوجود

ويقول الجند السعوديون أيضا ان المصريين تبعدبهم الشقة ويتجشمون مشاق الاسفار الى بلد الله الحرام فتغسل ذنوبهم ثم يستأنفون مكابدة السفر الى المدينة المنورة فيحملون من الاوزار مايعودون الى بلادهم وقد تنوء به كواهلهم

سل أية عجوز من المصريات هل الذى هنا فى هذا القبر آله أو شريك للآله أو وزير للآله ؟ تجبك بصريح العبارة . حاشا وكلا . انه عبد الله ورسوله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولكن مولاه اجتباه وبعثه الى الخلق ليرشدهم الى الحق حتى اختاره الى جواره الكريم

فنحن ان قطعنا الفيافي والقفار [illegible] الى أحد [illegible] التى

تشد اليها الرحال فما هو الا لطلب رضوان الله تعالى والتماس المدد الذى استمده منه رسوله وحبيبه

وهو عليه الصلاة والسلام حي فى قبره يرد السلام على من يسلم عليه ومن يعارض فى هذه الحياة فهو يتشكك فى الايمان بالآخرة والجنة والنار حيث ان أهل النار يعذبون فيها ولا يموتون والنار فى علمنا انها مميتة فالقدرة التى تبقى الحياة فى أجساد هؤلاء المخلدين فى العذاب قادرة أيضا على اعطاء الحياة للجسد فى البرزخ بغير حاجة الى غذاء أو هواء

وبما ان وظيفتى هنا كمؤرخ فحسب وان انتقادى هو من ناحية العمران والاجتماع وأما من ناحية الشفاعة والوسيلة والمعجزات والكرامات والحياة البرزخية وما الى ذلك فليس من شأنى البحث فيه . بل من عندهم علم الكتاب سادتنا العلماء الذين هم ورثة الانبياء هم الذين يبينون ويرشدون . ولقد ارتاحت نفسى كثيرا الى مايكتبه حضرات علمائنا الاجلاء بمجلة نور الاسلام الازهرية الغراء فى هذا الصدد مما أرضى الله سبحانه وتعالى وأرضى الامين المأمون فى قبره

الاتصال بالمدعى

أصبحنا الجمعة ٢٠ الحجة ٨ مايو فبكرت الى المسجد النبوي الشريف لأحظى بشرف الزيارة وقد مكثت فى هذا المتاع الحسن حتى مطلع الشمس ثم خرجت الى جهة مقبرة المدينة المنورة وهي (بقيع الغرقد) فقابلنى رجل مدني من رجال الشيخ حامد الخطيرى الذى ينزل عنده أهل مصر وأهل الوجه البحري من القطر المصري وقد أخذ اسمى وبلدى وطبع صورتي أيضا فى مخيلته ولزاما على كل نازل بالمدينة المنورة ان يتصل بالمدعى ،

كما كان يتصل بالمطوف بمكة والمطوفون فى مكة كثيرون لان الحجاج ينزلون بها فى وقت واحد أما المدينة المنورة فان الزوار يأتون اليها زمرا زمرا وفى أوقات مختلفة

عند أنوار البقيع

دخلت من الباب المقام هناك فوجدت القبور كلها صارت مع الارض فى مستوى واحد ولقد أخذ منى العجب أي مأخذ من مبدأ الوهابيين فى الكراهة الشديدة للقبور فما رأيت امة ولا مذهبا يقول قولهم

وضعت حذائى تحت ابطى ومشيت ولو استطعت ان امشى على صفحات خدى ما ترددت لانهم اهل البقيع وما ادراك من هم اهل البقيع هم اقرباء النبي الكريم وانسبائه وعترته واهل بيتـه بل هم الكواكب المتألقة فى سماء الاسـلام الصاحية فهم هداته وهم قادة الخلق الى عز الحياتين

مولاتى الزهراء

انه يعزعلي ان تندثر معالم قبرك الشريف حتى يداس عليه بالاقدام ولو أقيم بجانبه مسجد أو أي بناء مامشي عليه احد وهو يدب بالنعال

قامت الحرب بين روسيا واليابان فكان الشبان اليابانيون يتطوعون للجندية مدفوعين بعامل التحمس للوطنية وقد تقدم الى مكتب الفرز فتي من اهل طوكيو فلم يقبله الكشف الطبي لضعف في بصره فقال اذا لم

أنفع فى الجهاد مع الجيش فانى أصلح لان أوضع فى غرارة ويلقى بى فى أليم بدل أحد الاحجار التي يلقونها فى ميناء بورت ارثور لسدها فى وجه الاسطول الروسي . ونحن لانكون أقل غيرة من هذا اليابانّي يامولاتى فاذا أعوزتهم الاحجار فانى أرضى ان أكون بدل أحدها لتشييد بذكرك العطر

مولاتى الزهراء

لولا ان الذى انتهك حرمة قبرك الشريف هو الرجل العادل الذى أمن الطريق الى مقام أبيك الكريم لغضبت ثم غضبت . ولكن يامولاتى (ان الحسنات يذهبن السيآت) فسلام عليك وعلى أخيك الطفل المحبوب سيدنا ابراهيم وعلى أختك الكريمة سيدتنا رقية

ان كافة المسلمين يعترفون بمجد بيتكم وسابقتكم وانتفاعهم بانواركم وفضلكم حتى وانهم انتفعوا من جهة أخيك الطفل المبارك سيدنا ابراهيم لانه عند ما انتقل الى العالم الآخر وجلس أبوك العظيم على قبره يلقنه كلمات التوحيد انتحى سيدنا عمر ناحية من المكان وأخذ فى البكاء حتى بكى لبكائه سادتنا الصحابة ولما سأل الرسول الكريم عن سبب هذا البكاء اجابه سيدنا عمر اذا كان هذا المائت طفلا لم يبلغ الحلم بعد وانت تلقنه كيف يرد على الملكين فماذا يصنع الكبار الذين خاضوا فى بحر هذه الحياة الخضم ؟ عند ذلك نزل الوحي بقوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة

مولاى ابا محمد الحسن

ان انسي لا انسي وانت واخوك الجليل الحسين تدبان بين يدي جدكما

العظيم وقد دخل عليه وفد نجران النصارى ولما عرض عليهم سيد الانبياء قول الله تعالى (فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فلم يقبل الوفد هذه المباهلة ولما سئل كبيره عن سبب امتناعه عن تلبية هذا الطلب قال لانني نظرت وجوها لو طلبت من الله تعالى قلب البسيطة لقلبها

كذلك ولا انسى يوم ان دخل احد الصحب الكرام فوجدك وأخاك تلعبان على ظهر جدكما العظيم فيقول الصحابي (نعم الجمل جملكما) فيرد عليه سيد الاكوان (ونعم الراكبان هما)

ثم ومن حسن ادبكما الذى ادب الله تعالى به بيتكما انك وجدت رجلا لم يسبغ الوضوء فمنعك حياؤك الغض وادبك النضر أن تجبهه بالنصيحة بل قلت له . اسمع ياعم . ان اخي هذا يقول ان وضوءه احسن من وضوئي فتعال نتوضأ امامك لتنظر أينا احسن وضوءا فلما توضأتما امامه قال والله ياولادى ان وضوءكما احسن من وضوءى ثم اصلح هو من وضوءه

وكنت يامولاي المثل الاعلا فى التضحية لصالح المسلمين حيث انك لم تعبأ بابهة الملك وعز الخلافة وتنازلت عنها عن طيب خاطر حتى هدى الله بك طائفتين عظيمتين من المسلمين

وكنت أيضا يامولاي القدوة الصالحة فى الأناة والحلم حيث كان والى المدينة مروان بن الحكم يريدان يثير غضبك بصلفه وغروره فلا تأبه به وتحلم عليه وانت ابن الاكرمين حتى عندما انتقلت الى الدار الآخرة كان يبكيك فقيل له كيف تبكيه وكنت تغضبه فيقول لانه احلم من هذا وتشير الى الجبل

مولاى العباس بن عبد المطلب

إن لك على الاسلام لفضلا يسجله لك التاريخ فى صفحاته الخالدة بمداد من نور إذ كنت عينا على الكفار تخذل عن الاسلام بما استطعت من من حول وطول وكنت عونا لابن أخيك الكريم تساعده على رفع لواء الاسلام عاليا

مولاى سفيان بن الحارث

إننى أذكر لك بكل طيب من القول وقفتك المحمودة بجانب ابن عمك الامين المأمون تمرغ خدك على رجله فى الركاب وهو يمتطى (دلدل) يوم حنين إذا عجب المسلمين كثرتهم فتهاونوا فى النزال حتى كان ما كان إلى أن رمى الكريم الحليم حصياته فأنزلت عليه آية التسليم بالقدر (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى)

مولاتى الحميراء

أنت التى أخذ المسلمون عنها نصف دينهم وأنت (الحصان الرزان) من نزل ببراءتها القران يتلى على مر السنين وكر الاعوام فسلام عليك ياسيدتنا عائشة الصديقية وعلى جيرتك الزوجات الشريفات أمهات المؤمنين

سيدنا ابا امامة اسعد بن زرارة

انى لا أنسى تاريخك الجليل وخطواتك الميمونة نحو قومك الاوس والخزرج تحثهم على اتباع النور الذى انزل من السماء فكنت بشير الهناء

اليهم وكنت محمود الطلعة و(نقيب) الخير عليهم حيث كنت تعاون فتى قريش مصعب بن عمير على نشر كلمة اليقين بين السادة الانصار

سيدنا سعد بن معاذ

كنت ياسيدى فى الانصار كابى بكر فى المهاجرين وانى اثنى عليك ثناء طيبا لما أظهرته من العطف نحو صاحب المقام المحمود كما وانى اذكر لك موقفك المشرف يوم أن أقامك حكما على بنى قريظة فقلت قولتك المأثورة (قد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم) ثم حكمت حكمك الذى صدر من سبع سموات

وأيضا لا يفوتنى التنويه برفعة مقامك وقت أن قدمت على خير الناس ويحيط به صحبه الكرام فيقول للسادة الانصار (قوموا لسيدكم) سادتى السابقين الاولين

سيدنا عثمان بن عفان

صاحب النورين وزوج الزهرتين كريمتى خير المرسلين كنت ياسيدى غيورا على الاسلام حتى جهزت جيش العسرة من طيب مالك ولما القيت بالذهب فى حجر سيد الزاهدين صار يقلب فيه ويقول (ما ضر عثمان بعد هذا) وكفى بهذا فخرا

سيدنا عبد الرحمن بن عوف

ان قلمى الضعيف ليعجز أن يلم بطرف من مناقبك العالية حيث كنت

ممن هاجر الهجرتين وتوجه شطر القبلتين. وإني أذكر عندما تلاحي معك سيدنا خالد بن الوليد (وكان ممن اسلم أخيرا فى العام الثامن الهجري) ولما سمع بهذا سيد المرسلين قال له (مهلا يا خالد دع عنك اصحابي فوالله لو كان لك احد ذهبا فانفقته فى سبيل الله تعالى ماادركت غدوة رجل منهم ولا روحته) والمراد باصحابه السابقون الاولون

سيدى سعد بن ابى وقاص

انك يامولاي السيد الكريم حيث فداك سيد ولد آدم بابيه وامه وانت ترمى فى اليوم العصيب يوم احد اذ يقول لك (ارم سعد فداك ابي وامى) وأي شرف بعد هذا ؟ وكنت ياسيدى مجاب الدعوة بدعاء سيد الخلق

سيدى ابا عبد الرحمن عبد الله بن مسعود

كنت ياسيدى كاتم سر الامين المأمون وبعد أن انتقل الى الرفيق الاعلا كنت ترجمان لسانه فاخذنا عنك معظم تعاليمه المرضية

سادتى السعداء اهل البقيع

أننا لا نرضى أيها السادة أن يغمط فضلكم ويقبر ذكركم وأنتم جيرة الحي الزاهر والركن العامر جيرة البقعة الطاهرة خير بقاع الارض طرا

هـذا ولما أرادت صاحبتى أن تتشرف بزيارة البقيع منعها الجند عن الدخول فاوقفتها على تل عال يشرف على هذه الانوار وسردت لها شيئا من أسرار هؤلاء الاقمار الثاوين فى هذه الاجداث الاطهار

صلاة الجمعة بحرم المدينة

كنت فيما مضى أرى المجمرة توضع كل يوم جمعة أمام القبر الشريف ويطاق بخور الندوالعود ثم يأتى رجل من الفقهاء ويقف أمام الواجهة الشريفة ويتلو آيات منتقاة من بين الآيات الكريمة مثل قوله تعالى (سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبي الدار . سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين . ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون . الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب)

ووقتها كان ضمن الزوار رجل من أهل مصر المحبين ذوى الصوت الحسن فأخذ يترنم بقصيدة غراء فى مدح افضل ممدوح فكان جمال صوته يلين القلوب فتذرف العيون الدموع من شدة الوجد والهيام .

فتذكرت يوم أن عاد سيدنا بلال إلى المدينة بعد انتقال سيد الانقياء إلى العالم الآخر وقد ألح عليه سادتنا الحسن والحسين وبعض أعيان الآل والاصحاب أن يؤذن فلما اذن استعبر الناس واجهشوا بالبكاء تشوقا لذكر الحبيب المحبوب

وقد رأينا الآن بعض الناس ينقمون منا أن نمتدح الامين المأمون ونحن دونه مقاما واحتراما بل لا نكون قطرة من غيث فضله ولا نقطة من بحر علمه وقد مدحه مولاه المهيمن الكريم بآيات بينات من القرآن الحكيم وكان أظهرها (وإنك لعلى خلق عظيم)

وكما أنى لم أسمع أحدا يقرأ السورة بالحرم المكي كذلك لم أسمع من يقرأها بالحرم المدني . وقد سمعت رجلا مقرئا من بلدة مجاورة لمدينة طنطا

بالقطر المصري يقرأ شيئا من سورة الكهف وهو فى وسط الناس وكان رخامة صوته تجعل قلوبنا تخشع لذكر الله تعالى



منظر بواكى داخل الحرم النبوى الشريف

ولقد رأيت الجند يفسحون مكانا فى الروضة الشريفة من جهة الطرقة حتى حضر والى المدينة وجلس فيه بين خواصه وأضيافه وكنت أحيطه بنظرات العطف لانى أتحيز للعرب إكراما لمن تشرفت به العرب

كان الخطيب فيما مضى يلبس عمامة كبيرة أشبه بعمامة الخلفاء العباسيين ويلبس عليها شالا كشميريا ثم يرتقى المنبر ويلقى خطبته وكلما يذكر شيأ من الاحاديث يشير الى القبر الشريف ويقول (قال صاحب هذا المقام)

وانى أرى اليوم الخطيب وهو يرقى المنبر بلباسه العادي النجدي وقد ارتاحت نفسى اليه لأنه كان يتكلم بتؤدة ورزانة وقد أذن المؤذن بين يديه والقى خطبته وهي تحث على ترك البدع والاخذ بصحيح السنة ثم صلى على سيد الكائنات وترحم على أهل البيت الاطهار وعلى الصحابة الاخيار منهم العشرة الكرام وغيرهم من المهاجرين والانصار . ثم أخذ يدعو للحجاج

والمسلمين وكانت خطبته لاتختلف عن الخطبة عندنا الا انه لم يأت فيها بالحديث الشريف . ثم أقام الصلاة بخشوع وسكون مع اتمام الاركان

الدرر والتحف

أمعنت النظر بالحرم الشريف فطفقت أسدد اللعنات الى هذه الحرب العالمية لانها كانت سببا فى ضياع التحف والهدايا التى كان عظماء المسلمين يهدونها الى القبر الشريف حتى كان منظر الحجرة يبهر الابصار لما تزين به من نفيس الجواهر وكان أبهاها منظرا الجوهرة الثمينة الكبيرة المسماة بـ (الكوكب الدري) هذا عدا الشماعات الذهب والثريات المرصعة (والدنيا مظاهر)

وانى أذكر من باب التحدث بنعمة الله تعالى انه فى أثناء زيارتى الاولى لم أشغل نظرى بهذه الجواهر مطلقا بل كنت أتفرغ لمناجاة العالم بالسر والنجوى حتى يتفضل ويأذن بتبليغ سلامى واحترامى لمقام الرسالة العظمى

انوار الحرم

كان يحلو لى الائتناس بالجلوس فى الروضة الشريفة التى قيل فيها (ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة) وكنت أفكر مليا فى مآل اليه أمر الحرم النبوي الشريف حيث تراه لابسط ولا طنافس ولا أنوار كافية فدار بخلدى ان القوم لايزالون على مبدأ تقليل الانوار بالمساجد وكأنى بهم وقد غاب عنهم ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لما رأى كثرة الناس الذين يؤمون المسجد الشريف زاد فى اضاءته فلما رأى سيدنا الامام علي هذا النور قال (من نور مسجدنا ينور الله عليه ضريحه) وفى هذا حث على انارة

المساجد بالنور الكافى

عادت بي الذكرى الى زمن العثمانيين أيام كنا نرى حفلة الاضاءة تنظم عند الاصيل من القنديلية والوقادين وهم يلبسون ملابس بيضاء ومعهم مندوب من قبل الخازندار وآخر من قبل شيخ الحرم (وكان برتبة الباشا) ويصحبهم بعض الاغوات من خدام الحرم الشريف النبوي والجميع يلبسون ملابس بيضاء من نوع واحد (أي فراجية بيضاء) ثم يأتى المبخر ويطيبهم بماء الورد يرشه من (قمقم) معه ويطاق البخور من مجمرة معدة لذلك ثم يقومون صفين متراصين ويدخلون الى الحجرة الشريفة من باب السيدة الزهراء (وهذا الباب دائما موصد ولا يفتحه الا الخازندار أو من ينوب عنه) فينزل القنديلي القنديل ويسرجه الوقاد ويرفعه الآخر وهكذا الى ان تتم عملية الاضاءة فى الحجرة الشريفة ثم يقفون صفا منظما امام الواجهة من الداخل ويلقنهم (المدعى) المرافق لهم بأن يطلبوا من الله تعالى ان يتفضل بقبول هذه الخدمة لرسوله وحبيبه ويسألوه تعالى أيضا بان يجعله راضيا عليهم

ولقد سبقت لى السعادة وتشرفت بالاندماج فى هذه الحفلة المباركة وكنت أعدها نعمة عظيمة كما كان يعدها كل الناس حتى وان المرحوم السلطان عبد الحميد قد أنعم على سمو الخديوى السابق عباس الثانى برتبة وقاد شرف بالحجرة الشريفة النبوية أثناء تشرفه بزيارة القبر الشريف

وليس فى هذا اشراك بالله تعالى اوانا ندعو مع الله احدا بل اننا نتقرب اليه سبحانه وتعالى بتكريم من اكرمه وشرفه وعظمه

وانك تنظر الآن فلا ترى اي نور بالحجرة الشريفة ولا من يعتني بها وترى ثريات الكهرباء المضاء بها المسجد الشريف قليلة وضئيلة حتى صرت اتشكك في عقيدة من اثنتين اما عقيدة الامة التي ظلت القرون

العديدة وهي تقوم بخدمة هذا القبر الشريف وتكريمه وتعظيمه واما عقيدة الوهابيين الذين لايعتنون بالقبور ويعتبرون ان لاكرامة للميت مادام انه مات وانقطع عمله . ولكن عقيدة الاكثرية هي التى يرتاح اليها العقل ويقرها العرف

تزويق المساجد

ومن الناس من تختمر فى رأسه عقيدة وقل من يستطيع ان يزحزحه عنها حتى ولو كانت سقيمة وكانت لاتتمشى مع العمران ولا مع العقل اذ يقول بعضهم ان تزويق المساجد امر غير ممـدوح لانه يشغل افكار المصلى . واي مصل لايشتغل فكره اثناء الصلاة وهذا سيدنا عمر بن الخطاب كان يعبىء جيشا كاملا وهو فى الصلاة ، ثم واشتغال الفكر رحمة من الله تعالى بعبيده الضعفاء أمثالنا اذ لو أخلى الانسان ذهنه من الاغيار وافتكر يقين انه ماثل امام العزة الصمدانيـة لذاب جسمه من الخشية والرهبـة لمقام الربوبية العظيم

وعلى كل حال ان التزويق المقوت هو من قبيـل الصور التى أمر السيد الكامل بازالتها عن الكعبة المشرفة يوم الفتح الاعظم

مناصب الدولة

ترى الحكومة السعودية وهي تعطى كل منـاصب الدولة الرئيسية للنجديين فكنت ترى الوالى وشيخ الحرم والخطيب والعلمـاء والاطباء أكثرهم من النجديين ولا تثريب عليها فى ذلك لانهـا تود ان تحفظ كيان الدولة من كيد المناوئين

ولقد سمعنا اشاعة صاغها مروجوها فى قالب من عواطفهم ونسجوها على منوال من ميولهم وفحواها ان فرج أهل الحجاز سيكون بعد سبع سنين كما يقول العارفون بعلم الجفر واليازرجة . وهم يقصدون بهذا ان هذه الدولة السعودية لا تمكث بالحجاز سوى هذه المدة ولكن فات هؤلاء المهتورين ان المسلمين كلهم مدينون لهذه الدولة بحياة أفراد الحجاج منهم والجميع يتمنى لها العمر المديد والعز والتأييد

المؤسس على التقوى

فى طريق قباء

أين تذهب ياصعلوك وسط الملوك ؟ ضربت هذا المثل لنفسى عندما تخيلت وأنا أركب العربة مع صاحبتى ووجهتنا قباء أننى أخرج مع السادة الانصار لملاقاة مولانا صاحب الأنوار ولكننى وجدت أنه ينقصنى الثوب الابلج والبرذون المهملج والحسام السمهر والرمح الاسمر حتى أنزل فى حلقة البرجاس فرحا بلقاء خير الناس ثم عدت فانكمشت وقبعت فى العربة حيث لا قبل لى على الامر العظيم الذى أقدم عليه السادة الانصار وهو الثبات عند مشاهدة الجمال والكمال والبهاء والضياء . نعم إن السادة الانصار كادت تطيش أحلامهم عند ما تبدت للعيان طلعة صاحب الجبين الوضاء ولكن المولى الكريم أراد أن يبقى عليهم ليجعل انقاذ الانسانية على أيديهم ويأتى بالخصب إلى الارض المجدبة من بين ظهرانيهم

أني ارهفت سمعي وكأني أسمع اليهودي وهو واقف على أطم مرتفع من آطامهم فيبهره السناء المتلألىء بين مسارب السراب فلم يمتلك نفسه إلا أن ينادي بأعلا صوته (يامعشر العرب هذا حظكم الذى تنتظرون قد اقترب) فركب بنو قيلة (وهم الاوس والخزرج) وخفوا إلى ملاقاة المهاجر العظيم وصديقه الحميم مؤهلين مرحبين فرحين مستبشرين

ويقول فى ذلك سيدنا أنس بن مالك . لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء وصعدت ذوات الخدور على الاسطحة عند قدومه وهن يغنين مع الصبيان والولائد

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعى لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

خرجنا من باب السور الشمالي وكان به مخفر الشرطة وسارت بنا العربة فى طريق معبد بين حدائق غناء أكثرها من النخيل وكنت أرى كل شيء يضيء فى الافق أمامي. نعم إنني خلفت مبعث الانوار وسر الاسرار فى مكانه الطاهر ولكنني أسير أولا مع خيالى حتى نصل الى قباء قبل العربة لنشاهد منازل كلثوم بن الهدم بن امرىء القيس شيخ بنى عمرو بن عوف الذى جاءته السعادة طائعة مختارة عند ماتشرفت دياره بيمن قدوم رحمة العالمين وقد هاجر الى طيبة ونزل ضيفا كريما على هذا الشيخ العظيم .

هاجر السيد الكريم وكانت هجرته خيرا وبركة على العالم حيث انتشرت تعاليم الاسلام القويمة وسرت روحه العالية فى كل الارجاء ونزلت غيوث العرفان فاحيت الارض بعد موتها حتى صار الانسان يتقلب فى نعيم الحياة ورغد العيش

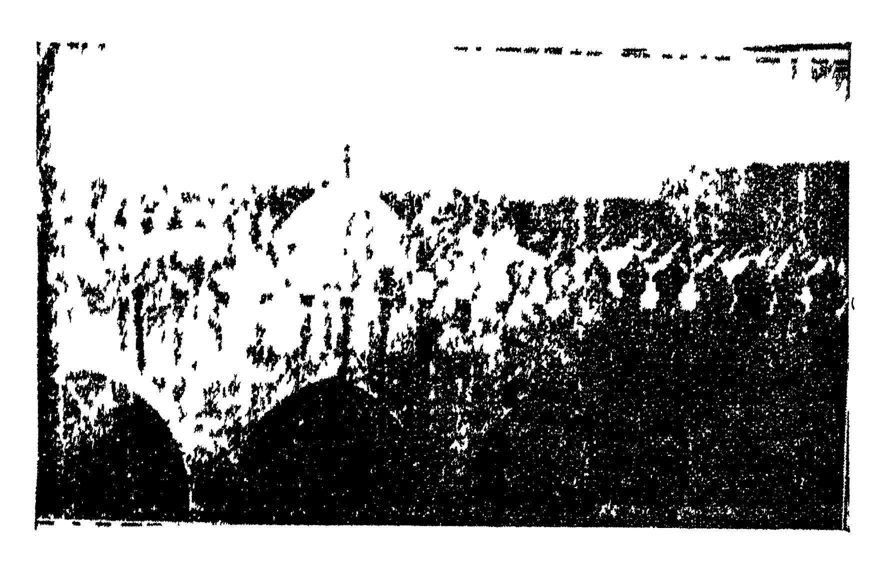
ما أفضل الحب فى الله تعالى خالصا مخلصا إذ كان سيـدنا أبو بكر الصديق وهو يسير فى طريق الهجرة مع رفيقـه العظيم يمشى تارة أمامه وتارة خلفه وطورا بجواره ويقول فى ذلك إنى أخشى الرصـد فأمشى أمامه وأخشى الطلب فأكون خلفه وأخاف الـكمين فأسير بجانبه فانظر إلى الاخلاص لله ولرسوله

وكم جرت من معجزات وبركات فى الغار وبعد الغار إلى أن وصـلا إلى مستودع الاسرار ومدينة الانوار ومثوى الاخيار الابرار

ماء المدينـــــة

وصلنا بالعربة إلي محلة قباء وجلسنا فى مقهى مقامة على عريشة من الخوص وشربنا ماء خلنا أنه مبرد بالثلج ولكنه مفعول القلل الفخار وخاصية طينتها فى التبريد وخاصية الماء المبارك أيضا

وماء المدينة المجعول للشرب هو من العين الزرقاء أو (عين الازرق) وهو بئر بقباء غربي مسجدها وسبب تسميتها بالازرق نسبة إلى مروان ابن الحكم لانه كان ذا عينين زرقاوين وقد أجراها إلى المدينة المنورة وهو عامل معاوية عليها وبأمر منه وسار بها حتى أوصلها إلى مصلى الاعياد (عند مسجد الغمامة) ثم صار الناس يصلحونها ويمدونها بعد ذلك إلى أن وصلت إلي الحرم النبوي الشريف وماؤها عذب فرات وكنت أشرب منها على الريق فلا أشعر بأي تعب وكانت طريقة حصولنا على الماء كحصولنا عليها فى مكة المكرمة



داخل مسجد قباء

فى مسجد قباء

تشرفنا بالدخول الى مسجد قباء الذى يقول الله تعالى فى شأنه بعد ذكر مسجد ضرار (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون . لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق ان تقوم فيه . فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين افمن اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم)

وسبب إنشاء مسجد ضرار هذا ان جماعة من الانصار بنوا مسجدا وكان أبو عامر الفاسق أحد كبار المنافقين يحضهم على بنائه ويقول انى أستنجد بقيصر الروم فيمدكم بجنود ذوى بأس وقوة لتخرجوا محمدا وأصحابه من المدينة

ولما فرغوا من بناءه طلب مشيدوه من النبي الكريم ان يصلي فيه ولما نزل قوله تعالى (لا تقم فيه أبدا) امتنع وأرسل نفرا من الصحابة ليهدموه ويحرقوه

أما مسجد قباء فان السيد العظيم بناه أثناء اقامته الشريفة بها ولما تحول الى المدينة المنورة كان يذهب اليه ويصلي فيه وكذلك فعل الصحابة من بعده

زرنا مسجد قباء وهو كائن بالجنوب الغربي للمدينة المنورة وفيه موضع يقال له (طاقة الكشف) وبه بئر يقال انها لابي أيوب الانصاري

صلينا ودعونا الله تعالى لنا ولاولادنا ولجميع المسلمين

وفى غرب المسجد مسجد السيدة فاطمة الزهراء وبه مكان يقال انه الموضع الذى كانت تطحن فيه الشعير وقد عمل الآن مخفرا للشرطة

ابار المـــــدينة

ولما خرجنا من المسجد توجهنا لمشاهدة الآبار وهي بئر العين الزرقاء التى سبق الكلام عنها . وبئر اريس وهي فى الشمال الغربي من مسجد قباء وهي داخل حديقة وعمقها نحو الاثنى عشر مترا وبها فتحتان يجرى بهما الماء وفتحة ثالثة تصل الى العين الزرقاء

واريس الذى سميت البئر باسمه رجل من اليهود ومعنى اريس (الفلاح) بلغة اهل الشام

وتسمى هذه البئر بئر الخاتم لان خاتم سيدنا رسول الله وهو مكتوب فيه (محمد رسول الله) تختم به سيدنا ابو بكر ثم سيدنا عمر ومن بعدهما سيدنا عثمان وبعد ست سنين من حكمه جاس على هذه البئر وخلعه من اصبعه وصار يعبث به فوقع منه فصاروا ينزحون البئر مدة ثلاثة ايام فلم يجدوه

وتسمى ايضا بئر التفلة لان سيدنا ومولانا المصطفى تفل فيها بريقه المبارك ومقام عليها ساقية وهذه الساقية مخالفة لترتيب السواقى عندنا وتسمى عندهم (سانية)

وبالمدينة أبار كثيرة منها (بئر الاعواف) وهي احدى صدقات النبي المختار (وبئر أنس) وهي جهة الحديقة المعروفة بالعينية وبقرب هذا البئر قبر الشريف الكريم والد خير المرسلين (وبئر بيرحاء) الذى أوقفها أبو طلحة الانصاري على أقاربه وبنى عمه (وبئر رومة) وهي التى اشتراها سيدنا عثمان بن عفان وجعل ماءها المسلمين يشربون منه مجانا (وبئر غرس) وهي بقباء شرقي مسجدها وعدا هذا يوجد آبار كثيرة مثل بئر القويم وبئر العباسية وبئر الصفية وبئر البويرة وبئر عروة بوادى العقيق ويوجد آبار أخرى وكل أهل المدينة يعولون على هذه الآبار فى سقي أراضيهم ومواشيهم

دار ابى ايوب

كانى أرى العضباء وهي تبرك أمام دار خالد بن زيد المكنى بابى أيوب الانصاري بعدماكان كل من السادة الانصار يحرص على نزول راكبها العزيز بداره ولم تسع الدنيا ابا أيوب من الفرح وأدخل الرحل الى الدار ونزل الراكب الكريم بفناءها. نزل بهذه الدار مفتاح أسرار الربوبية العظمى ومبعث أنوار تجلياته ورحماته الى خلقه ويالها من بركة حلت بهذه الدار

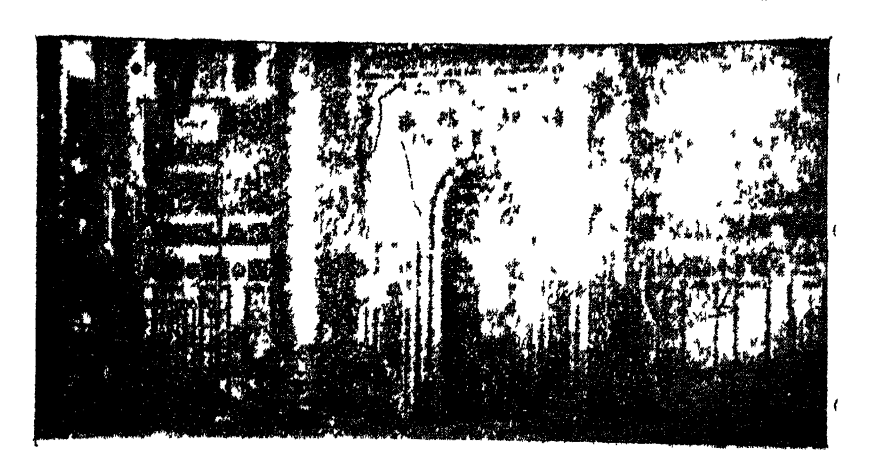
وقد تحول المهاجر العظيم الى مسجده الشريف بعد ان مكث بها مايقرب من العام وبهذا المقام يجعل لهذه الدار قيمة ثمينة أحرى بنا ان نحتفظ بها مع آثارنا الخالدة التي يهم العالم الاسلامي ان يراها مشيدة شامخة البنيان عالية الاركان ولكنني وياللاسف وجدتها أيضا مغلقة كانها خشية التسمح

وهـذه الدار أيضا لها تاريخ مجيد حيث قد ثبت ان حسان بن تبع قد وجد فى العلم الغيبي ان يثرب هذه ستكون مقرا لنبي يبعث فى آخر الزمان فارصد هذه الدار لتكون سكنا له ولكن لما تقادم العهد على هذه الوقفية لم يبق لها من أثر واننا نصدق بهذا الحديث لان هؤلاء القوم كانوا يستوحون الغيب من طريق استراق السمع من السماء ومن علم التنجيم والسحر والكهانة وغير ذلك

واننا نؤمن بالسحر أيضا لانه عند ما افتتح قبر توت عنخ أمون الفرعون المصري خرجت منه البعوضة السحرية وطارت حتى وصلت الى اللورد كارنرفون نابش القبر ولدغته فمات على الاثر

الحوض المورود

ولقد وجدت قريبا من هذه الدار سبيلا معطلا يسمونه (الحوض المورود) كان يستقى منه الناس ماءً عذبا فراتا ولكن اسمه جنى عليه فاغلق لانه لايوجد فى هذه الحياة الدنيا (حوض مورود)



المحراب العثماني بالمسجد النبوي الشريف

جلاء الظلمة

أردنا ان ننتهز هذه الفرصة السعيدة ونجلو ظلمة النفس بالتبرك بالانوار المحمدية فكنا نقوم وقت السحر ونؤدى ماعلينا من الواجبات المفروضة ثم نتشرف بالجلوس أمام الواجهة الشريفة ونستحضر بقلوبنا ذكر الله تعالى ونرجوه ان يتفضل بتبليغ تحياتنا الى حبيبه وصفوته من خلقه وكنا نسمع القائمين بتلقين الناس الدعاء فتنشرح صدورنا بهذا المنظر المفرح ولكن كان ديدنى ان لاأرتاح الى الجهر فى الدعاء بل كانت ميولى تتجه نحو مناجاة مولانا عز وجل فى سرى وضميرى

وكنا نستمر فى جلستنا هذه متنعمين بالقرب من مقام الحبيب حتى تتعالى الشمس فى كبد السماء

محاورة يوسف

بينما نحن جلوس هذه الجلسة السعيدة واذا برجل من أهل مصر اسمه يوسف محمد بيومى قد وقف ليهدى أطيب التسليمات الى سيد ولد آدم فتحكك به أحد الجنود وقال له

لماذا تضع يدك على صدرك هكذا ولمن هذا التأدب وصاحب القبر مائت ؟

فاجابه يوسف . انى أضعها لله تعالى

فيقول الجندي . ولكن الذى فى القبر ليس هو الله

فيجيبه . ان الله موجود فى كل مكان وقد أمرنا ان نتأدب مع صاحب هذا القبر الشريف

ثم يرجوه يوسف ان يسمح له بان يضمخ المقصورة الشريفة بالطيب الذى فى يده . وأراه القارورة

فيتهكم عليه الجندي ويقول له . ولكن هـذا النحاس لاينفعه الطيب فانتفع انت بثمنه

فيتأفف يوسف ويفهمه بان الملائكة هم الذين ينتفعون بالطيب وما النحاس إلا أداة لحمله فقط

فيستمر الجندي فى جداله ويسأله وأين هم الملائكة ؟

فيرد عليه اننا نسمع من أشياخنا بان الملائكة تتنزل على صاحب هذا القبر الشريف ليسلموا عليه تسليما

مايرومه يوسف

يروم يوسف أن يقول للعسكري بأن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز (يا أيها الذين آمنوا لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم لبعض)

ويقول عز و جل فى موضع آخر (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) ويقول جل ذكره أيضـا (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) فالله سبحانه وتعالى يأمرنا بأن نتأدب فى حضرته الشريفة ولو تأدبنا أمام قبره الشريف الآن نكون قد قمنا بالواجب واتبعنا أوامر الله تعالى والله يعلم ما نخفى وما نعلن

يقول الصادق المصدق (حبب إليّ من دنياكم ثلاث الطيب والنساء

وجعلت قرة عيني فى الصلاة)

حبب اليه الطيب لانه كانت تحيط به الملائكة ولا بد أن تزور قبره الشريف الآن لتصلي عليه كما قال تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي) وإذا سلمنا جدلا وقلنا أنهم يصلون عليه بعيدا عن قبره الشريف فانه لكل منا ملكان من الحفظة والمكان قط لا يخلو من إنسان فحينئذ لا بد من وجود الملائكة . وانتفاعهم بالطيب مؤكد

هذا والافكار الخاطئة التى تمر فى أذهان الفئة التى تهرف بما لا تعرف تلجئنى لان أبين هنا بأنه حبب اليه النساء ليس لغرض نفساني بل لاجل أن يرى أمهات المؤمنين فعاله الشريفة فيعلمنها للناس كما أمرهن المولى الرحيم إذ يقول سبحانه وتعالى (واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا) إننا نتعلم من هذا البيت الرفيع العماد بيت المجد والادب كيف نغتسل ونتوضأ وكيف نصلي ونتهجد وكيف نصوم ونتعبد وكيف نرفق بالصاحبة والولد ونحلم على الخادم ونرأف بالامة

ونتعلم أيضا كيف نسوس الاسرة ونمسك زمام البيت حتى لا يفلت قياده من أيدينا ف (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) وبالجملة أننا نتعلم آداب اللياقة وحسن المعاشرة ولا نظهر أمام أطفالنا الا متسربلين بلباس التقوى والفضيلة حتى ينشبوا عليها والانسان ابن البيئة

هذا ولقد حصلنا على فائدة عظيمة من ناحية هذا الجنس النسوي حيث كلما أذكر شيئا عن صاحبتي أذكر بجانبه واجبات النساء فى الحج واتكلم عن المرأة فى مناسبات أخرى

محبة يوسف

والذى يحبب إلي يوسف أنه محب وأنه محسوب ومن اللائذين باعتاب السيد الامين إذ وجدته يأتى إلى الحجرة الشريفة من جهة الروضة وهو المكان الذى كنت أحرص على الجلوس فيه بين العشائين كنت أجده يأخذ التراب من أرض الحجرة الشريفة ويكتحل به وهو سليم العينين قوي البنية

وها أنا ذا أرى القراء يسخرون من يوسف ويعيبون على قلمي أيضا أن يتفوه بمثل هذا القول ولكن أقول للمعترضين أنى قرأت فى احدى مجلاتنا الزاهرة مقالا يصح أن أذكره هنا للدليل على أن العقيدة لها نفعها وراحتها

الدجال امام المحاكمة

قدمت نيابة محكمة السين أحد أبناء فرنسا اليها بتهمة التدجيل والشعوذة وهي تطلب محاكمته على ما اقترفه من هذا الاثم فقال المتهم وهو فى موقف الدفاع عن النفس إذا كان البتة من محاكمتى فيجب أن تحاكموا معى الاطباء أيضا لان الدواء الذى يصفه الطبيب لا يؤثر بنفسه بل إن عقيدة المريض فى دواءه بأنه ناجع فى استئصال الداء هي التى تتمشى مع سريان الدم فتساعد على الشفاء . وكذلك إن المريض يعتقد فى التعاويذ والرقى التى أعملها له أنها مؤثرة وفيها سر النجاح فى الشفاء

وكأنى بهذا الدجال وهو يقرر الحكمة التى قيلت في القدم (من اعتقد فى حجر لنفعه — اعتقاده —)

وقد أخذ الدجال يبرهن على صدق نظريته بقصة امريكي من أصحاب الملايين كانت له ابنة وحيدة لازمت الفراش لداء عياء استعصى برؤه على نطس الاطباء وقد أعلن عن استعداده لاعطاء جائزة ثمينة لمن يكون سببا في شفاء وحيدته فجاءه رجل وقال أنه يتسنى لى علاجها على شرط أن تعرفوا أن الدواء لو زاد عن مقداره كما أواصف عليه فانه يؤذي المريضة وأن نقص يكون عديم النفع واشترط عليكم أيضا أن تكتبوا لى تعهدا بذلك وعلى هذا فانه جهز الدواء وتناولته المريضة فكانت تتماثل إلى الشفاء وتعود اليها العافية شيئا فشيئا حتى تم برؤها

وقد دار البحث الدقيق عن كنه هذا الدواء الذى لم ينفع معها غيره وعند تحليله وجد أنه مزيج بسيط من الدقيق والصودا ويقول الطبيب إنى داويتها بالوهم وهو من جنس دائها لانها توهمت انه لا يوجد دواء يتلاشى معه داؤها

هذه عقيدة يوسف وعلى كل حال فانه يجب أن لا نترك الاخذ بالاسباب كما كان سيد الحكماء يأخذ بها ويتداوى

لا سلام ولا كلام

سبق أن نوهت بأن والى المدينة حل من نفسى مكانا عظيما من التجلة والاكرام ولقد رأيته وأنا فى جلسة الصباح السعيدة يدخل إلى الحرم الشريف ليوصل أحد أضيافه للزيارة ولما مر على الحجرة الشريفة لم يسلم ولم يتكلم فتحققت من عقيدتهم فى مقام النبوة المنيف انه مات وانقطعت صلته بالكون . وهل يغيب عنهم أن الجسد ماهو إلا ظرف للروح ومتى اطلقت الروح من هذا الظرف فهي تسبح فى الكائنات وخصوصا هذه الروح الشريفة سيدة الارواح

ارباب الطرق

تذكرت وانا عند الباب المجيدي اننا كنا فيما مضى نخرج منه الى دار الشيخ محمد الدندراوي فنقابل فيها الشيخ عبد الله وكيل طريقته المنتشرة فى سائر الامصار والاقطار وكنا نرى داره زاخرة بكل الاجناس من المسلمين فكنت ترى الحجازي واليمني والمصري والشامي والهندي والجاوي والصيني وكلهم تجمعهم رابطة قوية هي طريقة الشيخ الدندراوى المتصلة بالطريقة الادريسية وقد دالت دولتهم عند ما تبوأت هذه الحكومة كراسى الحكم بالحجاز

وأنى لست هنا الآن فى موقف الدفاع عن أرباب الطرق ولكننى اذكر القصة التالية لادلل على أن هذه الطرق تنفع ولا تضر

قرأت فى احدى المجلات مقالة تحت رسم (كريكاتورى) يرسم شيخ الطريقة يأخذ بيد الافندى الذى ينتقد الصوفيين ويذهب به الى الخمارة حتى يريه العامي وهو فريسة الاغريقي الخمار يسقيه السم الزعاف (السكالانس) حتى يقوم مخمورا لايعى شيئا ويصبح خملا متكاسلا عن عمله ثم يسأله . هل الاصوب أن أترك هذا العامي فى هذه البؤرة أو ادعوه الى الذكر فيوفر عليه صحته وماله ودينه؟

فى ساحة التأبين

كان لزاما علينا ان نبر بأرواح عظمائنا ونعطف على من اجهدوا انفسهم لاجلنا ومن الواجب المحتم أن نزور هذه القبور العزيزة علينا للذكرى

وللعبرة وللقـدوة . قبور هؤلاء الذين لايستطيع أحد ان يرقى الى سماء علياءهم أو ان يلحق مجد مجتهد بآثار فضلهم لانهم مثـال التضحية العظمى وإنكار الذات امام المبدأ الاسمى الذى يجاهدون فى سبيله

اكترينا عربة وخرجنا من الباب الشامي وعلى بعـد ثلاثة أميال من المدينة المنورة وصلنا الى ساحة التأديب الآلهي لخواص المسلمين حيث لم يعملوا برأي الحكيم المدرب وقد أراد ان لاينبـذ الى المشركين خارجا عن المدينة بل يقاتلهم تحت جدرها عند ماجاءت قريش لاخذ ثأر قتـلاهم فى غزوة بدر الكبرى ولكن فتيان الموحدين أرادوا ان يزهوا ببطشهم وان يظهروا شجاعتهم أمام عدوهم ويحاربونه بالعراء بعيدا عن عقر دورهم فكانت

موقعة احد

لما تلاقى الجمعان تظاهر جيش الاسلام وكان له النصر والغلبـة واذا بالرماة يخالفون أمر قائدهم وسيدهم فتركوا موقفهم بجوار الجبل الذى يحمى ظهرهم والذى أوصاهم وأكد لهم الوصية بان لايبارحوا موقفهم سواء انتصر الجيش أو انخذل

ولما رأى خالد بن الوليد قائد جيش الاعداء ان المكان أصبح خاليا من الرماة احتله برماته ونضح المسلمين بنباله وكر عليهم بخيله ورجله حتى انعكس ظفر الموحدين الى هزيمة

يلهو الطفل بعود من الثقاب بشعله وقد تحترق مـدينة باسرها وهو لاه يلعب ولا يقدر نتيجة طيشه وكذلك الرماة فانهم لم يستمعوا حتى ولا لنصيحة كبيرهم عبد الله بن جبير وهو ينهاهم عن مخالفة أوامر القيادة العليا فلم يتبصروا ولم ينظروا الى العواقب بل انهم اتجهوا الى حطام الدنيا الفانية

وصاروا يجمعون الاسلاب والغنايم مع جيشهم الظافر ولم يثبت منهم مع كبيرهم سوى عشرة أشخاص راحوا كلهم ضحية الواجب

وكادت النواة الصالحة للاسلام ان تقطع من أصولها قبل ان تنمو وتزهر وكاد أيضا ان يطفىء نور الايمان الذى ابتدأ ينتشر ضوءه من هذه الشرذمة المباركة لولا فضل الله ورحمته بالارض حتى يعبد ويذكر فيها اسمه

وكانت أيضا رعونة الرماة وطيشهم سببا فى ايصال الاذى الى المقام الرفيع مقام القائد الاعظم حيث كسرت رباعيته السفلى . وكانت القبة المقامة عند أحد تذكرنا بهذه المأساة الفاجعة . وهناك أيضا ترى الصخرات عند الشعب فيعز علينا ان نرى سيدنا ومولانا أبا القاسم وهو لا يستطيع النهوض حتى يرقى الى الصخرة فيرفعه طاحة الفياض اليها وذلك بسبب انهاكه من الوقوع فى احدى الحفر التى احتفرها ابو عامر الفاسق وما نزف من دمه المبارك حيث شج وجهه الشريف بدخول شظايا من المغفر فى جبينه الوضاء

اننا نذكر هذا لنذكر معه مثلا صالحا من الصبر على احتمال المكاره فى سبيل نصرة الحق

انه ليصعب علينا جدا ان نرى عظماء السابقين من المسلمين وشفار السيوف تلعب فى نفوسهم الزكية وليس لهم ذنب فى نظر المضلين الا ان يقولوا ربنا الله . وعلى كل حال فان الحرب سجال ولكن العاقبة للمتقين

السادة الشهداء

وقفت على قبر سيد الشهداء سيدنا حمزة بن عبد المطاب وكم تمنيت ان اقيه من حربة وحشي وأنفذها فى احشائي حتى يتمم هو المهمة التي كرس حياته لاجلها وحتي لا يتسرب الحزن الى هذه النفس الزكية نفس ابن اخيه الحليم الرشيد

وبهذا القبر الشريف سيدنا عبد الله بن جحش صهر الرسول الكريم وابن عمته وهو اخو أم المؤمنين السيده زينب بنت جحش وقد دفن مع خاله فى قبر واحد وهناك ايضا حامل لواء المسلمين سيدنا مصعب بن عمير حيث قطعت يمينه فتسلم اللواء بالاخرى ولما قطعت هذه ضمه بعضديه حتى قتل راضيا مرضيا وكان احسن فتيان مكة مالا وجمالا وهنداما فلما تذوق بشاشة الايمان تقشف اعراضا عن هذه الدنيا وهو من خاصة قريش حيث كان بعلا كريما للسيدة حمنة بنت جحش اخت ام المؤمنين السيدة زينب بنت جحش وهو ايضا من اشراف بنى عبد الدار حملة اللواء فى قريش

هؤلاء من وعيتهم الذاكرة من السادة المهاجرين

اما السادة الانصار فقد تحملوا الصدمة لأنهم اكثرية الجيش فكان الشهداء منهم كثيرون واخص بالذكر من بينهم سيدنا عمرو بن معاذ أخا سيدنا سعد بن معاذ من عرفنا مناقبه الكريمة ومكانته من نفس سيد الكائنات

وكذلك نذكر شيئا عن سيدنا سعد بن الربيع احد وجهاء الانصار الذى نصح لله ولرسوله حيا وميتا حيث تفقده خير المرسلين بعد الموقعة ولما لم يجده أرسل من يبحث عنه فوجده ملقى جريحا يكاد ان يلفظ النفس الاخير فقال له سعد (بلغ الانصار وقل لهم . الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله ليلة العقبة فوالله مالكم عند الله عذر)

كان اليق بهذه الاجداث الطاهرة ان تتحول الى قصور فخمة تحيط بها الحدائق الغناء وتوضع مناقب أقبارها الذين يزدهى بهم تاريخ الاسلام الحافل بمآثر العظماء من أبنائه وتكتب باحرف بارزة حتى يعرفها الخلف عن السلف فيقتفوا أثرهم ويهتدوا بهديهم

ماذا بالوادى ؟

فى وادي حمزة عيون الماء التى تنبع نبعا طبيعيا وبعضها ينزل اليه بدرج وبعض الناس ينزلون اليها بقصد الاستحمام وبالوادى الحدائق الكثيرة من النخيل والاشجار الباسقة

وهناك بعض المبانى يسكن بها الدهماء من أهل الضواحى وهناك أيضا بعض الآثار وكانت توجد مساجد ومبانى كثيرة عفت آثارها فى عصر هذه الحكومة الوهابية

وجاء عندنا رجل من أهل هذه الضاحية يدلنا على هذه القبور العزيزة ويلقننا الدعوات التى ندعوها عندها وكان هذا الدليل يمشى على وجل ولا يكاد يبين كانه يخشى الرقباء ولقد أبدى كثيرا من الامتعاض والتوجع لما أصاب بعض المدنيين الذين كانوا يرتزقون من زوار هذه الاضرحة وهو يطلب من الله تعالى الفرج القريب واننا نطلب معه هذا الفرج ولكن فى ظل هذه الحكومة التى حقنت دماء المسلمين

شماتة المنافقين

ونحن عائدون الى المدينة المنورة تذكرت فلول الجيش العزيز المنهزم وهي تدخل الى المدينة فيقابلها المنافقون بالشماتة والتشفى وبما أن هذه الحياة الاولى ليست محلا للجزاء لهذا تراها دائما لا تصفو لاحد وخصوصا الاخيار فيها فانهم أكثر الناس ابتلاء بها ليزيد الله تعالى فى أجورهم فلقد تنفس الصحب الكرام نسيم الحرية عندما هاجروا الى طيبة وتركوا المشركين واذاهم واذا بهم يواجهون براكين دفينة من العداء والحقد الذى تتأجج ناره فى صدور

هؤلاء المنافقين الذين كانوا يصانعونهم فى الظاهر وفى باطنهم يتمنون أن تدور عليهم الدوائر فكانت هذه الحزازات تسبب متاعب كثيرة للقائمين بالدعوة الى التوحيد حتى أصبحت مأموريتهم شاقة ولكنها تريد جمال صبرهم جمالا

والمنافقون فى الامم دائما أسباب شقائها وعلة بلائها فهم دائما يكشفون سجف سترها أمام المغير حتى يطلع على عورات المخلصين منها فيبطش بهم ويقضى على مايبذلونه من جهد فى خدمة الاوطان

ومن الغريب أنك ترى المنافق مزعزع العقيدة سقيم الوجدان فيعيش دائما أسير تأنيب الضمير حتى يفقد الكثير من شجاعته الادبية فتراه ينفر من أقل صفير ولكن لما كانت البعوضة تدمى جبهة الاسد فلهذا كان أذى المنافقين سببا لتدهور أممهم وتعاستها



مسجد الغمامة بالمدينة المنورة

مساجد المدينة

كانت عند الناس فكرة الاحتفاظ بآثار سيد الاولين والآخرين فكانوا يشيدون المساجد على كل أثر منها وهي كثيرة ولكنني سأذكر أشهرها

(مسجد الغمامة) وقد اقيم مكان مصلي الاعياد بالمناخة خارج الباب المصري

(مسجد الفتح) وهو المكان الذى دعي فيه الرسول الكريم على الاحزاب فى غزوة الخندق

(مسجد القبلتين) وهو المسجد الذى تحولت فيه القبلة من بيت المقدس الى البيت الحرام وهو كائن جهة وادى العقيق

(مسجد أبي بن كعب) وهو على يمين الخارج من درب البقيع

ويوجد مساجد اخرى كثيرة مثل مسجد عروة ومسجد ابي بكر ومسجد عمر ومسجد المائدة ومسجد بنى ظفر ومسجد بني قريظة ومسجد الراية وغير ذلك

اليمين الغالى

لا ازال اذكر جلسة الصباح السعيدة التى يكل القلم عن وصفها وكانت صاحبتى تجلس معى لتحظى هي الاخرى بنفس هذه السعادة وكانت ترى الزائرات من المصريات يستعملن كل وسائل الحيل للوصول الى الشباك فتود ان تضع يدها مثلهن لان السيدة عند ما تعود من الحج يكون اليمين الغالى عندها (وحياة النبي اللى حطيت يدي على شباكه) فماذا أصنع الان والجند السعودي واقف بالمرصاد يمنع الايدى ان تصل الى الشباك ؟ ثم وماذا أصنع ايضا وقد

ترجع صاحبتي وكأنها ماحجت لانها لا تستطيع ان تتفوه بذكر هذه اليمين الغموس ؟

أأعمل كما يعمل الدهاة المحنكون حيث يصلون الى أغراضهم ولو على جسر من التمويه؟ واخيرا تمكنت الحاجة ان تمديدها حتى وصلت الى الشباك وقد تخلصنا من هذا المازق بسلام

الامن فى طيبة

اردت ان اسبر غور الامن هنا كما خبرته بالبلد الحرام وكنت فى عام ١٩١٠ اخرج من الباب المصري لامشي فى المناخة بين السورين فينصحنى أحدهم بعدم المشي بمفردى خوفا من اذى العربان ولكننى سرت ولم الق كيدا . واليوم اخذنا طريقنا من وراء السور من البقيع الى الباب المجيدي ولم يعترضنا احد فى طريقنا حتى ولم يصادفنا انسان

وكنت اخرج بنفسى من المنزل واتوجه الى المناخة من الخلاء من وراء نزلة بنى حسين واشترى حاجتنا من الخضر والفاكهة والخبز والسمن وما الى ذلك وايضا لاستحضر السقا من البازان عندما يبطىء علينا فى المرور

وكان التجار يتركون حوانيتهم مفتوحة ويذهبون الى المسجد وقت الصلاة كدأب السعوديين فى المحافظة على إقامة الصلوات فى أوقاتها ومع هذا لم يجرأ أحد على انتهاب متجر أو حانوت أو تحدثه نفسه بسلب أو اختلاس

التكية والبعثة الطبية

الانسان فى الغربة يتلهف على ان يستنشق رائحة بلاده الزكية ويمتع ناظره باي أثر من آثارها المباركة ولذا توجهت الى التكية المصرية هذا



واجهة التكية المصرية بالمدينة المنورة

البناء المؤسس لفعل الخير والبرهان الحي الذى يشهد لمصر بانها أحسن بلاد الاسلام برا وعطفا على هذه البلاد المقدسة وعندما خطرت فى رحابها آنست من نفسى ارتياحا وانشراحا دعانى لان أبتهل الى بارىء النسم جل وعلا ان يحفظ كنانته من كيد أعدائها حتى يدوم عطفها وبرها على حرمه وحرم نبيه وحبيبه ولقد لقيت من ناظرها الهمام كل ترحاب واكرام ماجعلنى الهج بشكره والثناء عليه

وكانت البعثة الطبية قد وصلت بصيدليتها وعقاقيرها وعمالها واتخذت دار التكية سكنا لها وكتبت على الباب بالقلم العريض (البعثة الطبية المصرية) فكان فرحي بذكر بلادي كاعجابي بالخدمات الانسانية التي تقوم

بها البعثة الطبية وانني أعود فاطريها ايما اطراء كما وانني وجميع الحجاج
نثني عليها أطيب الثناء

الصحة بالمدينة

تخبرني الحاجة عزيزة هانم جارتنا في معظم تنقلاتنا بهذه السفرية السعيدة على الاطناب في الادارة الصحية بالحجاز حيث تخبرني صاحبتي عن لسانها بانه اعتراها مرض دعاها الى الذهاب لمركز الصحة الحجازية الكائن قريبا من باب السلام فلاقت من العناية بامرها والاعتناء في شرح دائها ووصف الدواء اللازم لعلاجها ماجعلها بفضل الله تعالى تحصل على الشفاء فشكرا ثانيا بل وشكرا دائما للادارة الصحية بالحجاز

جلسة الصباح

قد يراني القارىء أحاول الاكثار من ذكر هذه الجلسة الصباحية السعيدة وما هذا الا لأنني عانيت الصبابة حتى عرفتها وأمعنت النظر في هذه الجلسة فقدرتها حق قدرها اذ كنت أجلسها والجو صحو والوقت صفو والذهن رائق والمزاج معتدل والقلب فرح طروب بقرب الحبيب المحبوب فاية سعادة هذه وأي هناء ؟

انني أعرف ويعرف معي كل عارف انني ماثل أمام الرحمة التي تفضل الله تعالى بها على الارض فاصبحت ولا خسف ولا مسخ ولا قمل ولا ضفادع بل رفع عنا المقت ببركة هذا الجسد الطاهر الميمون

انني أعرف انني ماثل امام سر الله الاعظم الذي كان يلتمسه البدوي الجافي فيخرج اماما يمشي الناس بهديه كانه علم في رأسه نار

أعرني قلبك حتى أتقوى به على تحمل هـذه المشاهدة التي تتصدع لها الجمادات فضلا عن المضغة التي بين الصدور لانني ماثل امام هذا المكان ولا اسميه (القبر) لان اللغة العربية على غزارة مادتها الى هـذا الوقت لم تخرج له اسما لانه أفضل من العرش وأفضل من اللوح وأفضل من القلم وأفضل من الكرسي وأفضل من السماء وأفضل من الارض

انني اخال وانا بهذه الجلسة السعيدة ان الجنة مني على قاب قوسين أو أدنى ولكن أين هي الجنة ونعيمها من شرف هذا المكان ورفعته

انني امام بيت السيدة عائشة الصديقية وبجانبه الحجرات الشريفات التي كان يؤمها الامين جبريل وفى يمناه النور ينشره على الارض فيهتدى الانسان على ضوءه الى الطريق الذى يوصله الى السعـادة السرمدية . وفى يسراه الرحمة يوزعها على المسكونة فيسكن الناس اليها ويتفيأون ظلالها الوارفة

كان هذا المسجد المركز العـام الذى تستمد منه الانسانية سعـادتها ورفاهتها . وكان المعهد الاكبر الذى تتخرج منه الامامة والقطبية والروحانية ولا يزال الى الآن أحد المساجد الثلاث التى تشد اليها الرحال فيعود منـه زائره رابح البيع مجبور الخاطر يحمد غب السرى

وبالمسجد أعمدة معلمة فى وسطها بنقوش بارزة قيل انها حدود المسجد فى عهد الخلفاء الراشدين

وبجانب المقام الشريف ثمانية اسطوانات يسمونهـا . اسطوانة محل صلاته . واسطوانة عائشة وتسمى اسطوانة القرعة . واسطوانة التوبة وهي محل اعتـكافه . واسطوانة السرير . واسطوانة علي . واسطوانة الوفود واسطوانة جبريل . واسطوانة التهجد

حمام الحمى

كأني بهذا النوع الجميل من الحمام وقد قطع الدرب ليحنوا على صاحب شريعة الاسلام. وكأني بالحرم المكي وهو يعطف على ابن زمزم والمقام فيهديه شيئاً مما عنده من الحمام. لم يروق للاحداق منظر هذا الحمام وهو يمرح في أمان وسلام وكنا كما كان الناس نلقي اليه الحب ليكون له طعام

وكنت أراه فيما مضى يتنقل على غصون الحديقة الصغيرة التي كانت في صحن المسجد الشريف ويقولون انها موضع نخيل كان للسيدة الزهراء سلام الله عليها وعلى أهل البيت الاطهار والصحابة والانصار والآن قد قطعت هذه الاشجار. وكنا نجد أيضا في الصحن بئراً كانوا يسمونها (زمزم المدينة) والاخرى عفت آثارها ومحي رسمها

الشعب العراقي

ان أكبر رابطة من روابط الاخاء الانساني هي رابطة الدين كما قيل (ان لاعصبية في الاسلام) ولقد وجدت أحد اخواننا العراقيين وهو يتفجر اخلاصا وحنانا لعارفيه ولمن حوله من المسلمين وقد انيحت لي فرصة سعيدة للكلام معه فذكر لي الكثير من البشائر المفرحة عن الشعب العراقي حيث أنه ينهض الى الرقي والحضارة بخطوات موفقة حتى امتلأنا أملا بأنه سيجدد شباب المدنية الاسلامية ويعيد الى (بغداد) مجدها القديم

ثم أخذ محدثي يتدفق غيرة ونصحا اذ يقول. انهم يصمون الاسلام بالجمود وهو منه براء ولو نقبت في بطون الاسفار لرأيت النشاط والشهامة احدى سجاياه الكريمة حيث ترى صاحب الشريعة المطهرة وهو يقف على

فتية من الانصار يترامون بالنبال فيشجعهم ويحثهم على الرمي والتراشق بالسهام وكان يدخل فى سباق الخيل ويتسابق هو بذاته الكريمة فيه وهذه هي الرياضة البدنية التى يقولون انها من ابتكار هذا الزمان

ان هذا الدين دين الاجتماع لانه يحث على العلم والاحاديث الشريفة عن طلبه اشهر من ان تذكر

الدين لايأمرك بالقعود فى الزوايا بل يقول لك ان السماء لاتمطر ذهبا ولا فضة ويحثك على السعي حتى وانه يقول (ان هناك ذنوبا لايكفرها الا السعي على المعاش)

الدين يفرح بك لو انك تنط على الحبل وتلعب على الشنكل وتنزل الى ميدان المصارعة وفى حلبة السباق وفى مسابقة السباحة ويفرح بك ايضا عندما تصيب هدف الرمي وتطير فى السماء وتغوص فى الماء وهو لايكلفك الا بشيء بسيط جداً لاتغرم فيه ولا مليما واحدا هو ان تصلى الفريضة عندما يحين وقتها ولا يرهقك عسراً بان تذهب الى المسجد بل انك تصلى مكانك حيث جعلت لك الارض طهوراً

يقول لك الشاب ان ثوبى تلوث بالنجاسة فقل له ان الدين يسر حتى وان بعض المذاهب تقول ان ازالة النجاسة العينية سنة . ويعود فيقول لك ان لبس البنطلون يرغمنى على ان ابول واقفا فيطير الرشاش عليه فقل له اترك الوسوسة وصل فمثل هذه الاحوال الطفيفة يعفو عنها الشرع المصون

ثم والدين يأمرك أن لاتنظر بريبة إلى أخت صديقك فينظر صديقك إلى أختك ولا يرضيك العبث بعرضها . وبالجملة انك تعادى الدين والدين يعطف عليك ويحرص على بقاء نوعك فى هذه الحياة وفى اتصاله بالملكوت الاعلا فى الحياة الآخرة

الطواقى الحجازية

اعتزمنا على مشترى الطواقى التى لابد أن نزين بها رؤوس أطفالنا وكانت هذه الطواقى هي المحك الذى فحصت به الحالة الاقتصادية فى هذه المدينة المباركة حيث كانت أحسن طاقية مزركشة تقدم للمبيع بسعر ثمانية قروش سعودية وهي تساوى ثلاثة قروش ونصف مصرية ولو نظرنا فى أسعار الخامات المركبة منها هذه الطاقية لوجدنا ثمنها يساوى ضعف هـذه القيمة من قماش ملون وقماش مقصب وترتر هذا عدا أجرة الخياطة والاغرب من هذا أنه كان يعرض علينا بعض الطواقى الواطية بثمن قـدره هللتين أي نصف قرش سعودي وربع قرش مصري وهذه القيمة أقل من ثمن بطانة الطاقية . فكنت أسأل المدنية بائعة الطواقى عن سبب هذا الرخص فتجيب بأن السبب أننا نشتغل فى خياطة هذه الطواقى من العام إلى العام حتى نجهز منه كمية كبيرة تكفى كل الزوار . ولما كان حج هذا العام قليلا جدا لحـد الثلث فاضطررنا أن نتخلص من المخزون عنـدنا ونصرفه بأبخس الأثمان حيث لا طاقة لنا بان نتحمل تخزين أية كمية نحن فى حاجـة إلى ثمنها لسد الرمق وكم أتمنى للمدينة التى يأرز اليها الايمان كما تأرز الحية إلى وكرها أن يأرز اليها الرخاء واليسر والسرور والهناء

ثمرات النخيل

من البركة التى حبا الله تعالى بها المدينة المنورة أن جعل ثمار نخيلها أحسن ثمار العالم حلاوة ونكهة وطعما فترى البلح أنواعا شتى تفوق المائة عدا فمنها الحار ومنها الرطب ومنها الحلو والمتوسط فى الحلاوة وأهم أنواعه

العنبرية وهو غالى القيمة ويليه الشلبي ثم الحلوة والسكرة والمكتومي وغير ذلك وأهم مايستصحبه الزوار من هدايا المدينة المنورة هو هذا التمر اللذيذ

التجارة فى المدينة

من فرط محبتى للمدينة المنورة وساكنيها الكرام أنى أرجأت مشترى بعض الهدايا حتى اشتريها منها وقد اشتريت بعض الاشياء من أنواع كثيرة مثل العباءة النعماني والعقال القصب والشال المزركش والكوفية الحرير وغيرها وكان قلبي يميل كل الميل إلى تجارها ورقة طباعهم وعذوبة ألفاظهم واسأل الله تعالى أن يجعل النجاح والفلاح قرين أعمالهم

الخمر الفاسد بالمدينه

تصادف ونحن بالمدينة المنورة ان الاسبيرتو المعجون بالاسبيداج (كأصابع الطباشير) والاسبيرتو السائل أيضا أن نفدا منا فبحثت كثيرا حتى اهتديت إلى تاجر يبيع هذا الصنف فاشتريت منه قارورة صغيرة تسع ربع لتر تقريبا بمبلغ اثنى عشر قرشا مصريا والامر الذى أعلق عليه من الاهمية فى سرد هذا الخبر ليس هو غلاء الصنف فحسب بل لانى رأيته يتغير طعمه ولونه حتى صار عنابي اللون ولما سألت عن سبب ذلك أخبرنى التاجر بأن الحكومة من زيادة حرصها على تحريم دخول الخمر فى بلادها أنها تأمر الصحة بأفساد هذا الصنف لانه من الكحول التى تضاف إلى الخمر أو يشكل منها الخمر. ويا ليتنا نحرم الخمر فى كل بلاد الاسلام كما يأمرنا ديننا الحنيف الذى أهملنا تعاليمه القويمة وعمل بها غيرنا وهذه أمريكا تحرم الخمر فى بلادها . فمتى نرعوى حتى يرجى لنا صلاح الحال وهدو البال ؟

تلغراف المندوب

أعلنت الشركة ركابها بان سياراتها ستبارح المدينة المنورة فى مساء

يوم الجمعة ٢٧ الحجة ١٥ مايو فصرت أبذل مساعي كثيرة لاجل ان نتمكن من المكث مدة أطول من هـذه التسعة أيام حتى نتمتع بزيادة المشاهدة (والطمع فى الدين) واذا بالشيخ الخطيري يخطرنا بان آخر باخرة تقوم من جدة الى القطر المصري في يوم الثلاثاء المقبل كما ورد من مندوب الداخلية عن لسان البرق ولذا لم نجد بدامن الانصياع لتعليمات الشركة حتى نلحق آخر باخرة

فكنا نعـد الاوقات وما أسرع ماتمر أيام الهناء فكل ثانية تمضى كانت تدق لها نبضات القلب حتى صار كثير الخفقان سريع الحركة وما كان اصعب علينا من يوم الخميس نذير الفراق. ولقد دفعت فى هذا اليوم رسوم الكوشان الى الشركة وقدرها تسعة عشر قرشا سعوديا عنى وعن صاحبتى

صلاة الجمعة الثانية

بكرنا فى صباحها كعادتنا فى جلسة الصباح السعيدة ثم نعود الى المنزل نتناول طعام الافطار ونقضى بعض المصالح ولما حان وقت صلاة الجمعة توجهنا الى المسجد الشريف وكانت صاحبتى تجلس فى المكان المعد لجلوس النساء وهو كائن وراء دكة الاغوات مباشرة ثم اقبل الخطيب ذاته والقى خطبته

ولقد سبق ان حضرت صلاة جمعتين فى الزيارة الماضية وكنت أرى الخطيب فى المرة الثانية غيره فى المرة الاولى الامر الذى عرفت منه وجود خطباء كثيرين بالمسجد الشريف

ولقد صلينا وحمدنا الله تعالى وكان القلب يضطرب لشده وقع الفراق لاننا كنا فى الصلاة والمتاع بالمنزل محزوم

الوداع الوداع

ماذا يبدى القلم وماذا يعيد ؟ انه امام أمر جلل ليس من السهل الهين ان يخوض غماره ويأمن العثرات وعدم السداد

محب مغرم دنف يتمتع بالقرب من مقام الحب وبعد سويعات يسقمه البعد ويضنيه السهاد

صب مستهام مسعد بالزلفى لدى باب الله الذى كل من يغشاه ينال الحظوة ويحظى بالمراد

كلف متيم يبسم له الدهر فيمتع ناظره بالنور الاول النور الذى يخبرنا عنه جابر بن عبد الله فى حديثه اذ يقول له رحمة العالمين (اتدرى أول ماخلق الله ياجابر ؟ . نور نبيك ياجابر)

فماذا يكتب القلم وماذا يقول ؟ انه مهما كان جريئا مقداما فلا بد ان يكبو فى هذا المضمار

لان الثاوي هنا فى هذا المكان هو حجة الله تعالى على الناس حيث يقول له مولاه جل ذكره (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا)

هنا فى هذا المكان غيث الاخلاق المنهمر الذى يرتشف منه كل الناس فيروى غلتهم ويشفى فؤادهم

هنا الجود والسخاء هنا المروءة والشهامة والشجاعة والاقدام والعفاف هنا الحياء والقناعة والتقوى والورع والحلم والعفو والصدق والامانة

هنا الفضل الذى شهدت به الاعداء قبل الاصدقاء اذ يقول (فون غوت) فيلسوف المانيا الكبير (ان محمدا استطاع بثاقب فكره ان يقلب نظام المعمورة)

ياسيدى ياأبا القاسم انى واقف باعتابك لائذ بجنابك فاسمح وجد لى بنظرة أتقى بها نوب الزمان . ياسيدى ياأبا الزهراء عسى أن أوفق لاعمل عملا صالحا فاكون تحت لوائك واسقى من حوضك . أرجو ان يكون ودادا بعد هذا الوداع والسلام على سيدنا ومولانا الحبيب ورحمة الله تعالى وبركاته

إلى الرحيل

خرجنا من الحرم الشريف النبوي بعدما أدينا فريضة الجمعة وواجبات الوداع وسرنا الى طريق البيت ونحن نتعثر فى أثواب الشجو لهذا الفراق الاليم وقد أحضر لنا الشيخ عبد الله فضايلى الحمالين التكارنة لحمل الامتعة وأخذنا معنا ما جهزناه من الطعام لنقتات به أثناء الطريق

بارحنا المنزل بعد ان ادينا الواجب فى وداع ساكنيه وداعا حارا وكنا نودع الديار إكراما لساكنيها ونودع الاماكن لانها محل خطرات الحبيب إلى أن وصلنا إلى الساحة الواسعة عند محطة السكة الحديد محل موقف السيارات من كل الشركات

على متن السيارة

ايضا

بحثنا على موقف الشركة الخيرية حتى اهتدينا إلى سيارتنا رقم ٢٧٠ ووجدنا سواقها (بكر السوداني) فى انتظار الركاب ليجلسهم فى أماكنهم ووجدنا أصحابنا الافغانيين قد حضروا وأخذوا مجالسهم فيها ثم جلسنا فى محلنا وجلس أيضا الحاج محمد سليمان وكان لا يزال متعبا من أثر التوعك

والذى كان يعوض علينا عدم التفاهم مع اخواننا الافغانيين إننا كنا فى راحة معهم لانهم مؤدبون ويتحلون بحلية الحياء والوقار

وقد أخذت الحكومة فى قيد السيارات ورقمها وتعداد الركاب وجنسياتهم وكتابة التصاريح اللازمة لهم وكلما تنتهى سيارة تخرج من باب المدينة وتسير في طريقها وقد صلينا العشاءين مكاننا ولم يأت الدور لسيارتنا بعد

وبعد ما مضى هزيع من الليل ابتدأت سيارتنا تتحرك وكنت أوجه هذه الحالة إلي ما نحن فيه من ألم الفراق حتى تخيلت أن السيارة ترثى لحالنا فلم ترد إن تفارق هذه الانوار لاجلنا

انطلقت بنا السيارة كأنها جان ولى مدبرا وبعد ربع ساعة من مسيرها كنا وصلنا الى أبار علي فتوقف السواق عن المسير لانه نسي التصاريح ولم يأخذها من مندوب الشركة الذى كان عليه أن يستلمها من الحكومة ويسلمها اليه وصرنا نترقب وصول المهندس الاحتياطي حتى نستدل منه عن هذه التصاريح ولكنه لم يصل بعد

انظر يارعاك الله كيف تقف السيارة ونحن على مقربة من المدينة المنورة اليست هذه السيارة كانت تجاملنا فلم تخرج من المدينة الا بعد أن مضى من الليل ثلثه ؟ ثم نقف هنا ونبيت وحدنا فى آبار علي بينما السيارات الاخرى تجد السير فى الدرب حتى قطعت مسافة شاسعة

كان فى ابار علي مقاهى من نوع التى وصفناها سابقا فشربنا بها الشاي ثم استرحنا فى احد الاماكن المنعزلة ولما لاح الفجر وبدا الصبح بوجهه البسام ادينا الفريضة وقد اراد السواق أن يعود الى طريق المدينة حتى يبحث عن التصاريح فحول مقدم السيارة الى [illegible] وسار مع قلوبنا الطائرة الى هذا النور الذى يجذب كل قلوب المسلمين وبعد أن مشى قليلا وجدنا المهندس منهمكا فى اصلاح سيارة ندت عن [illegible] لعطب اصابها فاستلمنا منه التصاريح وعاد السواق ادراجه بعد أن ارسلنا صلواتنا وتحياتنا الى سيدنا صاحب الانوار

سرنا من آبار علي. الى بئر درويش. الى المساجيد . الى الشفية : الى ابار بنى الحصين. الى ابار الشيخ . الى مستورة ثم الى رابغ وبتنا بها فى غرفة من القش أيضا وكنا نستريح ببعض النقط التى مررنا عليها

الوصول الى جدة

اصبحنا الاحد ٢٩ الحجة ١٧ مايو فقمنا من رابغ وسرنا الى القضيمة. الى ثوال. الى دهبان .وكانت السيارة تتعطل كثيرا بسبب خلل حدث في عجلاتها فلم نصل جدة الا قبل الغروب

ولما وصلت السيارة الى منزل الحاج محمد باتان الوكيل وجدنا لديه تعليمات من حسن افندى كتوعة المطوف بان ينزل السيد الافغاني بمنزل هناك اما نحن فاننا توجهنا الى منزله على البحر وقد اكترى لى وصاحبتي دورا خاصا بنا بمنزل يجاوره اما الحاج محمد سمان فانه نزل عنده بمنزله

وقد بعث الينا الوكيل باتان (بالاخراج) فوجدتهما سليمين لم تمتد اليهما يد بسوء. ووجدنا من حسن افندى كتوعة التفاتا نحونا حيث ارسل لنا غلاما صغيرا ليقوم بخدمتنا وكانت صاحبتي محل رعاية السيدات من عائلته حيث كن يعطفن عليها ويدعونها بمنزلهن المجاور لمنزلنا مباشرة حتى لهجت كثيرا بالثناء عليهن كما اثنت من قبل على السيدات اخوات الحاج محمد باتان وصاحبته ووالدته

اصبحنا الاثنين وبالطبع انها كانت سانحة ثمينة نتهزها لنصلح من شأننا ونلم شعثنا ونهيء أمتعتنا للرحيل الوشيك . وقد أخذ الوكيل باتان جوازينا للتأشير عليهما ثم عاد الي يخبرني بان أكتب إقرارا بقبول النزول في الباخرة بالدرجة الثالثة حيث لم يوجد اماكن خالية بالدرجات الاخرى فذهبت الى دار حضرة مندوب الداخلية وأشرت على الجوازين بتغيير في الدرجة. وقد مضينا بقية اليوم في الفسحة والرياضة في أنحاء البلد

واقعون في الاثم

تصادفوا التأشير على الجوازات من دار مندوب الداخلية ان وجدت مصريا ينشد متاعا واها [illegible] منه وكان يصحبه احد الخدام الجداويين وقد رأيت

هذا الجمال وهو يجلس على المقعد (الكنبة) فى حضور الحكام المصريين وغيرهم وكنت ألاحظ على الحجازيين هذا الخروج على النظام وعرفت أيضا ان النجديين يخرجون خروجهم حتى وان الامير والحقير يستويان عندهم فى المقام وهذا مخالف لما يأمر به الشرع الشريف ولا يتمشى أيضا مع قواعد العرف وقد ورد بالقرآن الكريم فى قوله تعالى (وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات) وصاحب الشريعة المطهرة يأمر الانصار بأن يقوموا لسيدهم (سعد بن معاذ) ويقول أيضا (وأنزلوا الناس منازلهم)

ولست أدرى لماذا يتمسك الوهابيون ببعض الدين ويناأون عن بعض؟ فتراهم يعملون على طمس معالم الآثار الشريفة باسم الدين وفى الوقت نفسه تراهم يخرجون على الدين من حيث النظام والاجتماع

فان ذكروا لنا المساواة فنقول لهم ان المساواة المطلوبة هي فى الحقوق لا فى الدرجات وإن ذكروا لنا الحرية فنقول لهم أيضا إن الشيء إذا زاد عن الحد انقلب الى الضد والمغالاة فى الحرية قد تتحول الى فوضى

اخر العهد بالحجاز

استيقظنا صبيحة الثلاثاء ٢ محرم ١٩ مايو وبعد أن قمنا بالواجب نحو المقام الاعلى الاسنى مقام العزة الالهية من الصلاة والدعاء والحمد على نعمه العميمة وبعد أن أخذنا حظنا من الافطار والشاي والقهوة شرعنا فى حزم الامتعة ثم أحضر لنا حسن افندى كتوعة العربة الكارو لحملها وسرنا إلى جهة المينا ويرافقنا المطوف ووكيله وهناك صار التأشير على الجوازات وقد وضعوا العفش فى السنبك الذى يقل جزءا من الحجاج ونزل معه الحاج محمد سليمان أما أنا وصاحبى فقد انتظرنا الحصول على فلوكة بخارية (لانش)

أنك ترانى أغفلت ذكر قيمة النقود التي كنت أناولها لكل من

يقدم أي خدمة لنا ولم أذكر إلا المقررات الرسمية فحسب لأننا ما جئنا هنا إلا بقصد البر والاحسان وقد أنفقنا كل النقود ولم يبق معنا سوى جنيهات قليلة تعد على الاصابع ولو كنا اطلنا الاقامة لاحتجنا لان نسحب نقودا من أحد المصارف المالية . ولو أمعنت النظر لوجدت أننا كنا حمالين لهذه النقود فقط أما العاطي فى الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى

الكلمة الاخيرة

الآن وقد حان الوقت لان أودع هذه المملكة الروحية للعالم الاسلامي فقبل أن أنقل قدمي من اخر تخومها الارضية المباركة لابد ان ألقى كلمة وجيزة أظهر بها سروري وارتياحي لما لاقيناه من العناية ممن كانت لنا بهم صلة فى المعاملات وأننا نشكر للحكومة السعودية عنايتها براحة حجاج بيت الله المطهر وعلى قيامها بعزم وحزم فى إقامة قسطاس العدل حتى استتب الامن فأمن الناس على حياتهم وعلى أموالهم وان كنت معها على طرفي نقيض لما قوضته من الابنية العزيزة علينا وعلى العالم الاسلامي بأسره

العودة بالباخرة

تحرك (اللانش) من المينا والقينا نظرة وداع أخيرة إلى الشاطىء المقدس وكم تمنينا أن يكون لهذه الرحلة الميمونة عودات وعودات

رسي بنا اللانش على سلم الباخرة فصعدنا اليها وكانت بالصدفة الجميلة انها هي الباخرة (دمشق) التي اقلتنا فى الحضور

وكان هذا آخر العهد بمرافقة الرجل الطيب الحاج محمد سليمان لانه لزم محله بعنابر الباخرة ومع هذا [illegible] للعيان عليه

وبالضرورة أني أسعى لمقابلة صديقنا الوديع حسين يسرى افندى مندوب الشركة فلما تلاقينا أظهر أسفه الشديد لامتلاء جميع غرف الباخرة وكان الركاب النازلون فى الدرجتين الاولى والثانية ينيفون المائة والعشرين بينما المحلات لا تسع أكثر من ثمانين نسمة لهذا اضطر المندوب أن يستحضر وسائد {مراتب} وملاءات زيادة لكي يستريح الركاب الزائدين عن المحلات على ظهر الباخرة (الكوكرته)

ومع هذا فقد دقق البحث لأجلنا حتى وفق إلى العثور على (قمرة) نظيفة كانت معدة لسكن أحدهم فاسترحنا بها ولما وصل (السنبك) المقل للحجاج الذين معهم متاعنا استلمناه منه وكنا نميزه عن باقى السنابك بظهور (الاخراج) الخاصة بنا (ظاهرة بارزة) وعسى أن لا يكون القارىء نسي هذه الاخراج التى قربنا وصفها إلى ذهنه حيث كانت مثار اللفتات والنظرات

قيــــام الباخرة

لما اتمت الباخرة كل استعداداتها أقلعت بنا عند الاصيـل على بركة الله تعالى تحدوها رحمات الاله الذى يضرع ويتوسل اليه حجاج بيته المطهر بطلب سلامتها وتحف بها الطافه الصمدانية سبحانه وتعالى

وكانت مأمورية حضرات مندوب الداخلية والطبيب قد انتهت من جدة بقيام هذه الباخرة الاخيرة فقاما وعائلاتهما معنا بهذه الباخرة قاصدين ينبع ليمكثـا بها لحين قيام البواخر التى تقل الحجاج العـائدين من الزيارة الشريفة مع حملة الجمال لهذا كانت وجهة الباخرة إلى ينبع

وكانت دواعى الجـذل والسرور الذى ترتاح اليه نفوسنا وتنشرح له صدورنا كثيرة وجليلة . منها شعورنا بأن وفقنا لاداء ركن عظيم وقاعدة من قواعد الاسلام الخمس . ومنها أننا تمتعنا وتملينا بزيارة القـبر الشريف (الذى لا يقف عليه شقي) ومنها أننا على وشك الحظوة بمشاهدة الاوطان

والعيال . وكأن البحر كان يشعر شعورنا فلم يرد أن يعكر صفونا واستمر
هادئا حتى لم نجد للباخرة أي أثر من الاهتزاز

محاورة بين الامواج

كنا نتبادل العطف والوداد مع ركاب الباخرة وهم من طبقات متفاوتة
منهم العلماء والاطباء والتجار والصحافيون والاعيان والمحامون . ومن
بين الاخيرين محام شرعي كان يحاول دائما أن يتغلب على مناظريه بزلاقة
لسانه وشدة عارضته فى الجدل ولقد ضمني واياه مجلس سمعته فيه يذم الباخرة
وعمالها فكنت الفته لان هذا القدح يضر بسمعة مصرنا المحبوبة فيكون
مثله كمثل من يتلقى بصاقه على وجهه لان الذى أخذ على عهدته ترحيل
الحجاج فى هذا العام هو رجل وطني وما أشد ما كنا نتلهف على أن
نرى أحد الوطنيين يزاحم الشركات الاجنبية فى هذا الامر الحيوي

كنت أذكر للشيخ أنه فى اعتراضه هذا يكون كمن يرى طفلا يخطو
خطواته الاولى وهو يتعثر ويقع فلا يعينه على المشي بل يثبطه ويقعده كما
وكنت أنبهه إلى الواجب علينا بأن نضحي بالشيء القليل من راحتنا نظير
أن نأخذ بيد مواطنينا فى هذه الاحوال الاقتصادية . وكم أتمنى من صميم
الفؤاد أن من يرسو عليه العطاء كل عام يكون من مواطنينا الكرام

ومع هذا فأن الحالة بالباخرة كانت لا بأس بها ولولا هذا الزحام بسبب
تراكم الحجاج للسفر فى آخر دور لكان كل شيء على ما ينبغي ويرام

إلى ينبع

فى ضحى يوم الاربعاء ٣ محرم ١٣٢٠ الحجة القت الباخرة مراسيها أمام ثغر ينبع
وهي ميناء أقل من ميناء جدة و نظام البلد كانظمة مدن الحجاز الا انها صغيرة . وبمجرد
مارست الباخرة أنزلت فناطيس المياه التي ستوزع على الزوار العائدين من المدينة

المنورة على الجمال. وبعدما انتهت هذه العملية نزل المندوب ومن معه بعد الظهر

وأثناء وقوف الباخرة كان اهالى البلد يحضرون فى فلايك صغيرة لبيع البطيخ والقاوون والخبز والسمك النيء والسمك المملح (الفسيخ) وكانوا يعرضون أصنافا أخرى مثل الصدف والحنا وغيرهما

والامر الذى كان يثير إعجاب الحجاج وعجبهم أن بعض الاهالى كانوا يسبحون فى البحر وعند مايقذف أحد من الحجاج لاحدهم قطعة من النقود يغوص وراءها فى الماء ويأتى بها فيضحك الناس ويحصل لهم غاية الانشراح

القيام من ينبع

وقد مضى هذا الوقت السعيد والناس جذلون فرحون ثم أقلعت الباخرة قبل أن تغيب الشمس. وكنا لانجد (بالاستراتور) كفايتنا من الاكل لعدم استعداده فكنا نحصل عليه من (الكنتين) أو نقتات من الطعام الذى أحضرناه من جدة

واستمرت الباخرة فى سيرها إلى الصباح حتى وصلنا أمام مينا الطور فأخرج العمال عفشنا إلى أعلا الباخرة وانتظرنا النزول



نظرنا أمامنا فاذا بنا نشاهد مناظر سارة تروق للعين وتسر الفؤاد. نرى مرفأ طبيعيا هادئا وعلى حافته المبانى المعدة للتبخير وعلى بعد منها مبانى الحزاآت وعلى يسار المواجه لهذه المبانى نرى قرية صغيرة يسكن بها الدهماء من أهل هذه النواحى

الصعقة الاولى

وترى على مدد الشوف جبلا شامخا يتصل بجبل المناجاة الذى تجلى له رب العزة فجعله دكا وخر موسى صعقا ، وهو جبل الطور المعروف من

كل الملل والذى أقسم به المولى عز وجل فى قوله تعالى (والطور وكتاب مسطور)

هذا وأننى اغبط النعمة التى وصل اليها سيدنا موسى عليه السلام حيث أنه أخذ دوره فلم يصعق ثانيا مع الخلق وقت الصعقة المذكورة فى قوله تعالى (ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون)

معجزات سيدنا عيسى

انظر إلى ابن آدم وهو يلعق فى كوز العسل يلهو به عن المستقبل الهائل الذى يلاقيه وهذا المستقبل يتلخص تبيانه فى القول المأثور (ان الموت أصعب ماقبله وأهون مابعده)

أمامنا أهوال أقل ما أصفها به أن سيدنا عيسى عليه السلام لما كان يباشر احدى معجزاته فى احياء الموتى أنا حي رجلا طلب الناس منه احياءه فلما قام هذا من القبر أنكره الناس وقالوا له ان عهدنا بك أن مت شابا حدثا ولماذا نراك الآن وقد ابيض فودك؟ فقال انى توهمت ان النداء الذى سمعته هو النفخة فى الصور فشاب رأسى للرهبة من هول الموقف العظيم يوم لاينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه

عجبي لقوم يعرفون أنهم قادمون على حياة اخرى وهي أما نعيم أبدا وأما شقاء سرمدا ثم لا يعملون لهذه الحياة ولا يتزودون لطريق الوصول اليها

تقلبات الحياة

يحكى أن رجلا ضاقت به سبل الحياة فخلى الدار تنعى من بناها وسار يتلمس الرزق من غير بلده وبينما هو سائر اذا به يرى اناسا يؤلفون موكبا ضخما ثم يقابلونه بالتكريم والتعظيم ويقولون له أهلا بملك الزمان وفريد

العصر والاوان وصار كل من المواكبين يتملقه ويتزلف اليه الى أن اجلسوه على تخت الملك فى مدينتهم ثم أخذ هو يفكر فى هذا الحال وماذا يكون المآل بعد هذا ؟ فلما استقر فى الملك بضعة أشهر استخلص من بين خواصه احدهم ثم أخذ يبوح له بضميره وسأله . ياترى ماذا يكون مصيرى بعد أن تملكت عليكم ؟ فقال له اذا انتهى العام يتنكر لك كل عارفيك ويسحبونك من عرش ملكك وينزلونك فى فلوكة صغيرة ثم يخرجونك الى جزيرة قاحلة فتستمر بها حتى تلاقي حتفك وهكذا فعلنا باسلافك

فلما عرف هذا أمر باحضار مهندسى المملكة كلهم وأرسلهم الى هذه الجزيرة ليعملوا له تصميم مدينة بها ثم أمر البنائين ومن اليهم بالبناء فورا ثم غرس فيها الاشجار المثمرة واجرى الأنهار العذبة حتى صارت جنة رضوان

ولما انتهى العام اذا به يرى خادمه بالامس يجره اليوم ويوثقه كتافا ويسحبه الى الفلوكة فيجدف الفلايكي الى أن أوصله الى الجزيرة فلاقى حياة طيبة ورزقا كريما بها

ومغزي هذا القول ان مدة الجنين فى احشاء أمه هو الوقت الذى قطعه هذا المهاجر . والموكب الذى لاقاه هو مقابلة أهل الوليد وفرحهم به . ومدة العام فى المملكة هي الاجل المحدود ثم يهجره احباؤه واعزاؤه عندما يموت حتى وان كلا منهم يسعى لاخراجه من بينهم والفلوكة هي النعش والجزيرة هي الآخرة فأما أن يغفل الانسان عنها فيكون مصيره كمن لقي حتفه فيها وأما أن يتزود من دنياه فيجد الجزيرة عامرة كما وجدها هذا المفكر السعيد

إلى طريق المباخر

كنا أول من نزل بالصندل واستمر هذا سائرا إلى الاسكلة الممتدة فى البحر وأخرج الحمالون الامتعة ووضعوها مع أمتعة الحجاج المكدسة على عربة

(الترولى) التى تسير على سكة حديدية ضيقة وسرنا إلى رحبة بها بعض (الاكشاك) يشتغل فيها العمال باستلام الجوازات من الحجاج ويسلمونهم أوراقا موضحا بها رقم الجواز وكان فريق الرجال وحدهم والنساء وحدهن ثم ندخل إلى المباخر

ولما جاء دورى فى تقديم الامتعة إلى التفتيش الصحي وجدوا أن (الاخراج) جميلة ومحتوياتها من فراش وملابس جميلة أيضا ونظيفة فعز عليهم أن يتخللها دخان المباخر ولهذا تقرر معافاتها

ثم ولقد مثلت رواية المساواة على مسرح الادارة الحازمة فأخذت دور البطل فيها حيث نزلت تحت (الدوش) الملح ولم أتميز عن سواي سوى ان نظافة ملابسي وجدتها وغلاء قيمتها أبعدها عن احتباس الانفاس فى أتون التبخير . أما صاحبتى فانها تخلصت من هذا (الدوش) باعجوبة وذلك أنها استمرت جالسة فى انتظارى فى ردهة المبخرة ولم تدخل مع النساء فى المكان المعد لاستحمامهن حتى جاء وقت الخروج فخرجنا معا

حسن النظـــام

طال بنا الانتظار حتى سئمناه ولكن لما عرفنا سببه زال ما بنا من سأم وكان سببه ان سيدة حاجة ادعت على أحد الموظفين بأنه عرض عليها خدمته فى انجاز جوازها نظير أن نعطيه (واحدة بخمسة) فقامت قيامة الادارة وكبر لديها أن يجرأ عامل على العبث بالنظام ويخرق حرمة تشبثها بالحزم والعزم وبعد بحث دقيق وتحقيق عميق اتضح أن الموظف برىء براءة الذئب من دم ابن يعقوب

وكان صديقنا حضرة المسيرى بك قد وصل الى الطور ليشرف بنفسه على سير النظام وبالطبع انه قابلنا وعطف علينا وكان هو بذاته محبوبا من الجميع حتى ومن عماله الذين يحترمون قوة ارادته فيعملون بغير توان أو ملل

الى الحزاات

فتحت الابراب الحديدية وحمل الحمالون الامتعة على سيارات نقل ثم ركب النساء فى سيارات أخرى ولقد لقيت عناية فى نقلي وصاحبتي والامتعة حتى وصلنا الى الحزاء الاول فالفيت غرفه الخصوصية قدملئت فاضطررنا أن نذهب الى الحزاء الثانى وأخذنا به غرفة بداخلها سريران ندفع عن كل سرير جنيها مصريا

كانت غرفتنا رقم٨ وبها النوافذ الكافية لجاب النور والهواء والدفء وكانت دورة المياه عمومية لسكان الغرف الخصوصية الا أن المياه كانت اشبه بالمياه المعدنية

وكنا نرى من عمال المحاجر الرفق واللين فى المعاملة وكانت طلباتنا تنجز بهمة وبسرعة .هذه المعاملة الحسنة مع المناخ النقي والهواء الطلق والجفاف اللطيف والمناظر السارة كل هذا كان يعوض علينا الحبس فى القفص الواسع الذى كنا نرتع بين شبكات اسلاكه .

وانك عندما تحجر على حرية العصفور فى قفص ذهبي وتعبئ له وعاء الغذاء باللوز والفستق وتملأ اناء الماء بالشراب المحلي تراه يرغب عن كل هذا لانه يتعشق الحرية والحرية بالنسبة لنا معشر الادميين هي حق طبيعي لكل انسان

وكنا نجد الطعام متوفرا حيث يباع (بالكنتين) كل أنواع البقول والجبن والحلاوة والسردين وغير ذلك وكان أيضا يطبخ الخضروات والفول المدمس . وكانت تأتى مراكب شراعية من جهة السويس تحمل الخيار والشمام لتبيعه على ذمة (الكنتين)

ويتبع (الكنتين) أيضا مقهى نظيفة يديرها وطنيون وبها الشاي والقهوة وأنواع الشربات والغازوزة وأدوات التدخين والامر الجدير بالذكر أنك تجد الاسعار لا تختلف عن أسعار القطر فى شيء وتقع الطامة

الكبرى على رأس المتعهد لو غبن المشترى فى أي سعر

الاجراءات الصحية

كان الطبيب يمر يوميا على الغرف الخصوصية وعلى العنابر ويكشف على المرضى ويعالج من يحتاج منهم إلى العلاج . ويقدم لكل حاج (قصرية) مرقومة برقم مبين بدفتر عندهم ليتبرز فيها . ولما تسلم العمال كل القصارى وتمت عملية تحليل البراز اشتبه الاطباء فى وجود جراثيم الكوليرا (ولكنها كانت ميتة) لهذا أعادوا الكرة فى أخذ البراز . وكان قد تقرر الرحيل بعد ثلاثة أيام ولكنه أجل إلى أجل غير مسمى حتى يتحققوا من نوع هذا الميكروب واتخاذ الاجراآت اللازمة نحو المصابين به

حب التظاهر

من الناس من تترنح أعطافه فرحا باذاعة الصيت وبعد الشهرة حتى ولو من طريق (خالف تعرف) فلقد سمعنا ضوضاء أقامها سكان الجزاء الاول مدفوعين وراء شهوتهم فى الظهور فصاروا يستكتبون الناس إشارات برقية وعرائض للداخلية للتظلم من تأخيرهم فى الحجر الصحي ولكنهم لو عرفوا بأن (الشجاعة صبر ساعة) ولو عرفوا أيضا بأن (الشجاع من يملك نفسه عند الغضب) لما تورطوا فى هذه الفرية التي تولى كبرها بعض المتورعين وكان الواجب أن ينظروا إلى هذا الامر باعتدال وروية لان الاحتياطات الصحية مقدمة على كل شيء والمثل يقول (الوقاية خير من العلاج)

الاشارات والصحف

ما وضعنا أقدامنا بأرض الطور وخابرنا أهلنا بسلامتنا إلا وأنهالت علينا الاشارات البرقية تترى يقدم بها أصحابها تهانيهم وكنت ملزما أن أرد على كل اشارة منها حتى استنفد هذا فراغا كبيرا من وقتي

وكذلك قد أعطى لنا أصحابنا الجرائد المصرية من قديم وحديث فكنت أطالعها بشوق ولهفة لانها صحف البلاد التي نشأت بينها فاقلتني أرضها وأظلتني سماؤها بشائر الهناء

تلك سبعة أيام كاملة مضيناها بهذا الوادي الرحيب ومع راحتنا وانسنا كنا نترقب بفارغ الصبر صدور الامر بالخروج من هذا القفص المحبوب وكنا نود ان لو نطير حتى نشاهد الاهل والاحباب واذا بالامر يصدر في صباح الخميس ١١ محرم ٢٨ مايو بالاستعداد للرحيل فكانت فرحة لا تقدر فبعد أن تناولنا طعام الافطار وحزمنا الامتعة حضرت سيارات النقل حوالى الظهر بعد أن نقلت الجزاء الاول ولما وصلنا الى البحر أخذ الحمالون الامتعة على العربات الترولي أيضا ومنها الى الصندل ثم نزلنا

بالباخرة ثانيا

صعدنا الى الباخرة ولما توجهنا تلقاء (قرنتنا) وجدناها مشغولة لان الركاب الزيادة احتلوا جميع المساكن فتقابلت مع حضرة يسري افندي فبحث لنا عن سواها . وكان البشر والسرور يلوحان على محيانا جميعا لفرحتنا بالعودة الى الوطن العزيز متمتعين بالصحة والعافية

وما أطيب ما كنا نقف على حافة (الكوكرتة) نشاهد الكوكب المحبوب وهو يرسل أشعته القمرية فتتلون موجات الماء بلونه الفضي الجميل وكنا نحمد لكوكبنا المنير ارسال أنواره الى شواطىء الخليج حتى نراها واضحة كفلق الصبح . وكان منظر الفنارات المقامة على الشاطىء يبعث في النفس كل دواعي الجذل والحبور ثم بتنا بخير ليله واهنأ بال

المنظر الجميل

طلت الغزالة من كناسها وكلما تشرق بوجهها المضيء كلما يمتد ضوءها على الكون حتى استيقظنا عند ما رأينا بصيصا من نورها يشع علينا من كوة القمرة فهرعنا الى السطح واذا بالعين تقر والقلب يفرح ويمرح بمنظر اعلام الوطن المقدس

شاهدنا مدينة السويس وكانها هي التي تتقرب الينا لتحنو علينا بحنوها الطبيعي وكأني بجبلها العظيم (عتاقة) يفتح ذراعيه ليحتضننا ويعطف علينا

القت الباخرة مراسيها بالمرفأ حوالى الساعة السابعة صباحا الى ان جاءت زوارق الصحة وادارة الميناء والسواحل وبعد عمل الاجراآت القانونية تصرح للباخرة بالدنو من الرصيف فسارت تتهادى بحراسة الله تعالى الى ان التصقت به حيث كانت الساعة بلغت الثامنة. وقد تصرح ايضا بصعود الحمالين على دفعات فتخيرت احدهم وسلمته المتاع (والاخراج) ثم نزلنا من السلم بفرحة عظيمة لاننا نازلون

الى الوطن العزيز

وضعت قدمي على ارض الوطن كانني اضعها على تيار شديد من الكهرباء حيث شعر جسمي بهزات عنيفة على أثر ماطفح من السرور على الفؤاد. وقد انحدرت لآلىء العبرات على الوجنات الى هذا الوطن المفدى الذى غذانا بنباته وروانا بنيله المبارك. هذا الوطن الذى نجأر اليه بقلوبنا كما يجأر الطفل الى احضان امه الحنون. هذا الوطن الذى اهتف له بالحياه وانشد له الانشودة الجميلة التي كان يغرد بها في مصر. بلادى بلادى. لك حبي وودادى. لك روحي وفؤادى. نعم اهتف له واعطف عليه لان (حب الوطن من الايمان)

هذا وقد اعتبرت اداره (الكورنتينات) ان باخرتنا ملوثه لسبب ما

ظهر من الميكروبات الوبائية عند بعض الحجاج ولهذا تقرر أن يستعد قطار خاص ليقوم بالحجاج الى بلادهم مباشرة بغير أن يعرجوا على مدينة السويس ولم يتصرح لاحد بالاختلاط بنا حتى ولا للباعة المتجولين

أخذ عمال الكمارك فى تفتيش الامتعة ثم خرجنا من الباب وهناك (شباك) مكتب التلغراف فزاحمت بكتفى حتى سلمته رسالة برقية تتقدمنا الى تحيات مصر وسكان مصر . وقد أحضر الحمال الامتعة ثم ركبنا فى القطار

ومن حسن حظنا أن الذى رافقنا بديوان العربة احد أصدقائنا الاعزاء وحرمه المصون وما أطول وقت الانتظار حتى ونحن نتعجل المسير طرق سمعنا نغمة لذيذة هي صفير القاطرة ينبهنا الى اللحظة السعيدة لحظة تحرك القطار وكان قطارنا لا يقف الا فى المحطات التى ينزل فيها حجاج وكنا نمرح ونفرح ونتناول ثمرات بلادنا العزيزة من أيدى الباعة بالمحطات حتى وصلنا بسلامة الله تعالى الى مصر

وافرحتاه . هذه مصر الجميلة . مصر الذهبية العجيبة . مصر الكنانة الامينة. مصر ابداع المبدع جل صنعه وتبارك اسمه. نظر اليها باطف الكاف والنون فكانت جنة الخلد تتيه افتخارا ودلالا على نظائرها فى المنطقة المعتدلة. انه سقاها من غيث رحمته وفضله ليمدها سكناطيبا الاعظم أسرة فى الوجود أسرة لا تصح الصلاة الا بالتسليم عليها. رحمه الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد

كانت المحطة غاصة بأقارب الحجاج يقابلونهم بالموسيقات والاحتفالات ولو طاوعت فتيان عشيرتى لكانت (زفة) يالها من زفة ولكن سارت بنا السيارة حثيثا الى البيت وكانت الاعلام تخفق والثريات تنير المكان والولائم تصحب التسليمات والهدايا توزع على الافراد والجماعات والعاقبة عندكم فى المسرات

هذا وقد مكثنا تحت المراقبة الصحية نحو الثلاثة اسابيع والحمدلله قد وهبنا الوهاب الكريم من الصحة والعافية الكثير الوفير

حسن الختام

هذا المرقوم المختوم قد يتضوع اريج ختامه لو ان القـارىء الكريم يغض الطرف عما يصادفه من غلطات موضعية او سقطات مطبعية والله ولينا هو نعم المولى ونعم النصير

وكما بدأنا اول قول نعيده بالحمد والثناء على من هدانا لهـذا وما كـنا لنهتدي لولا ان هدانا الله. والصلاة والسلام على قطب ملك الوجود واقرب الخلق الى مولاه. وعلى الآل والصحب الكرام وكل من والاه

استدراكات

الاخطاء وما يقابلها من الصواب تراها مبينة بالصحيفة ٢٣٠ من هذا الكتاب



﴿ الحاج مصطفى محمد الراعي ﴾

صحيفة	خطأ	صواب
٣	الثلاثة	الثلاث
١٦	اجمعون	اجمعين
٢٢	تحرم بوجهها	تحرم بوجهها ويديها
٤٢	وما نعبدهم	مانعبدهم
٥٩	هذه المهمه	هذا المهمه
٦١	احتسب	واحتسب
٦٥	نحن الاثنان	نحن الاثنين
٩١	ثلاث وخمسون	ثلاثة وخمسون
١٠٥	وان زعت	ان وزعت
١١٥	لتقيه	ليقيه
١١٧	المدينة	المدنية
١١٨	فدنياك	فدينناك
١٣٦	واستعفرا	واستغفروا
١٤٠	المفلحلون	المفلحون
١٤١	الصديقون	الصادقون
١٤٤	مضيناة	مضيناه
١٤٥	ان الارض لله	ان الارض يرثها
١٨٦	بنيانه على شفا	بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا
١٩٩	ونحن عائدون	ونحن عائدين
٢٠٥	ثمانية	ثمان
٢٠٦	طعام	طعاما


فهرست


ساعدوا الراعى فى رواج الصناعة والتجارة

استلطافات

قد يجد القارىء الكريم —

شيا من الادب فى الصفحات ٤٦ و ٤٩ و ١٣٣

ومن الاخلاق فى ٧٥ و٨٨ و ٩٠ و ١٠٥ و ١٠٨

ومن التاريخ فى ١٥ و٢٥ و٣٠ و٣٥ و٤٠ و [illegible] ١٢٢
و ١٨٣ و ١٩٥ و ٢١٩ و ٢٢٠

ومن العمران فى ١٩ و ٤٥ و ٨٢ و ١٢١ و ٢٢٦

ومن الاجماع فى ٨ و ١١٧ و ١٢٤ و ٢١٦

ويجد أيضا —

كلاما عن الخطابة فى الصفحات ٨ و ١٠

وعن الاحكام « ٧٦ و ١١٣

وعن الصوفية « ١٤٥ و ١٩٥

وعن الصحة « ٢٤ و ١٣١ و ٢٠٢ و ٢٠٤

هذا عدا الكلام عن الرحلة وعن المناسك والحجاز وسا كنيه الكرام

مطبعة المدينة المنورة
بسراى ال العزائم بالحنفى بمصر